الدكتور أحمد درويش

ابن دريد

رائد فن القصة العربية

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

ابن دريد

رائد فن القصة العربية

تأليف

الدكتور أحمد درويش

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

الـكـتـاب : ابن دريد رائد فن القصة العربية

المؤلـف : د/ أحمد درويش

رقـم الإيـداع : ٢٠٠٣/٤١٨٢

تـاريـخ الـنشـر : ٢٠٠٤

الترقيم الدولى : I. S. B. N. 977 - 215 - 719 - 5

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة للناشر ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملا أو أى قسم من أقسامه ، بأى شكل من أشكال النشر إلا بإذن كتابى من الناشر

الـنـاشـر : دار غـريـب لـلـطـبـاعـة والـنـشـر والـتـوزيـع

شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)

ت : ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

الـتـوزيـع : دار غريب ٣٠١ شارع كامل صدقى الفجالة - القاهرة

ت ٥٩٠٢١٠٧ - ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق والمعرض الدائم : ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر - الدور الأول

ت ٢٧٣٨١٤٢ - ٢٧٣٨١٤٣

مقدمة الطبعة الثانية

صدرت طبعة أولى محدودة من هذا الكتاب ، منذ نحو عشر سنوات .

كانت الهيئات الثقافية فى سلطنة عمان ، قد نظمت ندوة علمية حول ابن دريد، الذى ينتمى إلى عمان ، مع أن شهرته ذاعت فى العراق وفارس ، وفى إطار هذه الندوة، تم إصدار طبعة محدودة من الكتاب ، وزعت على حضور الندوة ، وتحركت فى دائرة ضيقة ، نظرا لعدم وجود دور للنشر والتوزيع هناك آنذاك .

وكنت ومازلت أعتقد أن القضايا التى أثارها الكتاب ، لها من الخطورة والحيوية. ما تستحق معه أن تطرح فى دائرة أوسع ، لكى تستفيد وتفيد من خلال حوار المتخصصين والمهتمين ، وتأتى أهمية هذه القضايا من الفترة الزمنية التى تحركت منها، وكذلك أيضًا من الفترة الزمنية التى تصب فيها ، فابن دريد ينتمى إلى القرن الرابع الهجرى ، وهو قمة نضج الحضارة العربية الإسلامية ، وكان ابن دريد يلقب فيه بأستاذ الجيل ، فقد عاش نحو مائة عام وتخرج على يديه معظم أدباء هذا القرن وعلمائه ، وما يزال الكثير من كنوز هذا القرن غفلا فى حاجة إلى أن تمتد إليه أيدى الدارسين بالمراجعة والتحقيق والاكتشاف ، ليستفيد منه عصر يحاول البحث عن جذوره قبل أن تقتلعه رياح عاتية لاترحم من لا جذور له .

ومع أن الكتاب تناول ابن دريد المؤلف الغزير الإنتاج ، والشاعر المبدع ، فإنه ادخر الجزء الأكبر من صفحاته للقضية التى اتخذناها عنوانا لهذه الطبعة . وهى «ريادة فى القصة العربية» من خلال «أحاديث ابن دريد» التى سبقت المقامات ، وكانت تتكون من سبع مجلدات ، ضاع معظمها ، وقد حاولنا رصد الملامح الفنية لهذا الجنس الأدبى الذى أثر تأثيرا مباشرا على بديع الزمان الهمذانى تلميذ ابن دريد فكتب فن المقامة ومن ثم تحركت فكرة القصة العربية .

ثم حاولنا من ناحية ثانية ، تتبع الشذرات التى بقيت من هذه الأحاديث فى كتب تلاميذ ابن دريد ، وخاصة تلميذه أبو على القالى ، وأعدنا ترتيبها وتصنيفها فيما أطلقنا عليه «محاولة لتجسيد نص أدبى غائب» آملين أن تكون الدراسة الممهدة والنصوص المجمعة عونا يساعد على العودة إلى المنابع فى فترة من أزهى فترات الحضارة العربية ، وفى عصر يعتبر امتداد العصر الإحياء الذى بدأ مسيرته منذ نحو قرن ، والذى مازال فى حاجة إلى مزيد من تسديد خطواته وتصحيح مساراته حتى تستعيد الثقافة العربية قامتها الحقيقية .

والله ولى التوفيق

المهندسين – القاهرة **أحمد درويش**

٨ أغسطس ٢٠٠٢

بين يدى الكتاب

تمثل شخصية ابن دريد واحدة من الشخصيات الهامة فى التاريخ اللغوى والأدبى ، فقد كان علمًا بارزًا من أعلام القرنين الثالث والرابع الهجريين ، اللذين يمثلان فترة الازدهار فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ومع ازدحام هذين القرنين بكثير من الأعلام فى مجالات المعرفة والإبداع المختلفة، فقد ظل صوت ابن دريد واحدًا من الأصوات المتميزة ، سواء فى رسوخ قدمه فى مجالى الشعر والعلم معًا ، رسوخًا لم يعهد إلا عند نفر قليل فى تاريخ الحضارة العربية الممتد ، أو فى تنوع مصادر المعرفة عنده تنوعًا يمتد إلى معظم شعب الثقافة التى عرفها عصره ، ما كان منها قديمًا موروثا أو طريفًا مستحدثًا ، ما اتصل منها بالرواية عن الآخرين أو بالدراية بطرق البحث والنظر ، أو باستشراف آفاق جديدة للمعرفة والإبداع ، قد تجر عليه غضب بعض معاصريه ، أو قد تدفعه إلى هنات تحسب عليه ، ولكنها فى كل الحالات - تفتح الطريق واسعًا للتجديد فى مجال الدرس والنص ، تجديدًا يترك أثره على معاصريه ويمتد ذلك فى تاريخ العربية المتصل الحلقات.

وتميُّزُ هذه الظاهرة الثقافية المتمثلة فى ابن دريد، لم يأت من فراغ ، وإنما أتى من عوامل كثيرة ، عنى البحث بالوقوف أمامها ، واستكشاف آفاقها ، فهناك ظاهرة الإطار الزمانى لعمر امتد نحو قرن من الزمن، وذاكرة حافظت على خصوصيتها حتى النهاية، وظاهرة الإطار المكانى التى جعلت حركة ابن دريد على مدار سنوات عمره ، تحيط بالجزيرة العربية من جنوبها إلى شمالها ، وتتفاعل مع مراكز الحضارة الإسلامية فى بلاد فارس مثلما تفاعلت معها فى البصرة من قبل وفى بغداد من بعد ، ومثلما تأثرت

وتشكلت وأثرت فى الحياة الثقافية والسياسية فى عمان موطن ابن دريد الذى إليه ينتمى وبه كان يشتهر ، كما دعاه تلميذه المسعودى عندما أرخ لوفاته فى مروج الذهب داعيًا إياه بـ «ابن دريد العمانى» . ولقد ظلت فكرة علاقته بوطنه عمان غائمة فى بعض فتراتها عند بعض الباحثين ، وقد عنى هذا البحث بمحاولة تجلية هذه القضية ، وترتيب الأحداث والمعطيات التاريخية والاستعانة بنصوص ابن دريد الشعرية فى محاولة للإجابة عن بعض التساؤلات التى ظلت من قبل معلقة .

وكانت ظاهرة التفاعل مع العصر أخذًا وعطاءً ، إحدى الظواهر التى وقف أمامها البحث ، محاولاً تصور مناخ القرنين الثالث والرابع الهجريين ، وصراع الثقافتين القديمة والحديثة ، وموقف ابن دريد منهما ، ومحاولاً كذلك تصور صعوبة البحث عن صوتٍ متميزٍ فى عالم الدرس فى عصر ازدحمت فيه المؤلفات ، وكثر فيه العلماء ، وكيف أن كثيرًا من مؤلفات ابن دريد شفت عن ذلك الصوت المتميز الذى يتسم به رواد التجديد والتطوير فى العصور المختلفة ، وكان الوقوف أمام جانب آخر من العطاء ، يتمثل فى تلاميذ ابن دريد الذين غطوا معظم مجالات المعرفة فى القرن الرابع الهجرى ، وبرزوا فيها ، فكان منهم مؤرخ الأدب أبو الفرج الأصفهانى ، والناقد الشهير الآمدى ، والجغرافى المؤرخ المسعودى ، وعالم الأندلس المعروف أبو على القالى ، والنحوى البارز أبو سعيد السيرافى ، ومؤرخ الشعر المرزبانى ، وشاعر العصر المتبنى ، وغيرهم كثيرون حملوا علم ابن دريد وطرائقه فى التفكير والبحث ، إلى مختلف الأمكنة والأزمنة ، وجعلوه يستحق لقب «أستاذ الجيل» .

أما النتاج الفنى لابن دريد فقد ضاع الكثير منه ، وإن كان القليل الذى بقى يشى بقدرة فنية رفيعة ، كان له ديوان من الشعر فى خمسة مجلدات ، وكتاب من «الأمالى» النثرية فى سبعة مجلدات ، وقد تحدث عنهما علماء القرن السابع ، بعد أكثر من ثلاثة قرون على وفاته ، ولم يبق من هذا كله إلا القليل ، أما ما بقى من الشعر فقد

جمع فى ديوان صغير حقق مرتين ، وقد وقفنا أمام نصوصه من حيث المعمار الهندسى للقصيدة ، ومن اللافت للنظر أن بعض صور هذا المعمار كالمثلثة والمربعة والقافية المعكوسة سجل فيه ابن دريد ريادة فى بناء القصيدة العربية لم توجد صورها عند غيره من الشعراء ، وقد سلم من قصائد ابن دريد المفردة قصيدته الطويلة «المقصورة» التى تعد من أشهر قصائد الشعر العربى ، وقد بدا لنا أن هذه القصيدة يمكن أن تقرأ قراءة جديدة من خلال تمثيلها لعالم ابن دريد النفسى كبطل جنوبى عاش معظم عمره فى الشمال، وساعدتنا على القراءة ، اللوحات الفنية المحكمة التى رسمها ابن دريد خلال القصيدة.

أما نثره وأحاديثه التى شعر بعض مؤرخى الأدب منذ القدم كالحصرى بأنها أصل فن المقامة والنموذج الذى حاكاه بديع الزمان الهمذانى ، فقد وقفنا أمامها من زوايا متعددة ، فتتبعنا ما جمع منها ونشر فى مؤلفات منسوبة إلى ابن دريد ، وأهم هذه المؤلفات : «تعليق من أمالى ابن دريد» الذى حققه الدكتور سيد السنوسى ، ثم ما نشر متفرقًا خلال مؤلفات أخرى أهمها الأمالى لأبى على القالى ، الذى أكثر من النقل عن ابن دريد ، وحاولنا أن نقوم بتجربة علمية أطلقنا عليها «محاولة تجسيد نص أدبى غائب»، وتمثلت هذه المحاولة ، فى جمع النصوص المتفرقة التى رواها القالى من أحاديث ابن دريد، وإعادة تنسيقها وترتيبها ، ووضع عناوين لها وشرح الغامض منها ، لكى تتشكل أمام القارئ المعاصر كعمل أدبى لا كمجرد عمل لغوى كما أوردها القالى . واعتقدنا أن ذلك منهج يمكن - إذا ثبت صلاحه - أن يطبق على كثير من نصوص التراث ، التى كاد ينقطع الخيط بينها وبين القارئ المعاصر ، وكادت تفقد تأثيرها فى الحياة الأدبية ، مع أننا فى حاجة إلى تمثلها ، واستصفاء العناصر التى يمكن أن تدفع بالمسيرة الأدبية للأمام، وربما كانت هذه هى المحاولة الأولى لتجسيد أحاديث ابن دريد ، التى طال الحديث عنها، دون أن يراها الناس عملاً أدبياً حيًّا ، وربما كانت هذه المحاولة فى حاجة إلى مزيد من الدراسة والتفصيل ، وقد قدمنا لهذه الأحاديث مقارنة بفن المقامة التى حذت حذوها، وسار ذكرها أكثر من الأحاديث .

ولعل البحث من خلال هذه الوقفات أمام شخصية تراثية غنية فى مجالات مختلفة ، يكون قد قدم مساهمة متواضعة ، فى إعادة قراءة التراث التى نعتقد أنه لا تستغنى عنها حركة إحياء أدبية جادة ، وإذا كانت تلك سنة قد أفلحت فى أمم تربطها بتراثها خيوط أقل صلابة من الخيوط التى تربطنا بتراثنا ، فكيف بنا نغفل عنها ونَحْنُ نحاول أن تتمسك أقدامنا بالأرض ، فى عصر تجرف التيارات فيه الأقدام المهتزة ولا تعترف بالأجساد الطافية؟!

ربنا اشرح منا الصدور ويسرلنا الأمور واحلل عقدة التفكير والتعبير،،

أحمد درويش

القاهرة فى ٢٠٠٢/٧/٢٩

الإطار الزمانى
وخصوصية الذاكرة

الاطار الزمانى وخصوصية الذاكرة

قدر لمحمد بن الحسن بن دريد أن يعيش حياة طويلة حافلة شارفت القرن من الزمان ما بين عامى ٢٢٣ و ٣٢١هـ . وقدر أن يكون هذا الكم الزمنى كله حركة وحيوية وعطاء فى محاور متعددة ، وظروف مختلفة ، وفروع من المعرفة والإبداع تبدو متقاربة حينًا ومتباعدة حينًا آخر ، ولكنها فى النهاية تتكامل لكى تعطى صورة لنبض الحياة العلمية والفنية فى قرنين من أخصب قرون الحضارة الإسلامية ، وهما القرن الثالث والقرن الرابع الهجرى .

كادت حياته أن تكون قرنًا زمنيًا متدفقًا ، لم تستوفه أنفاسه فقط حين عاش على ظهر الأرض ثمانية وتسعين عامًا كان يمكن أن يذهب قسط كبير من أخرياتها كشأن الكثيرين ممن أجهدتهم سنين العلم المبكرة ، فى سكون وراحة أو فتور وخمول اكتفاء بما قدمته سنين الشباب والكهولة والرجولة والشيخوخة الأولى ، ولكن حيويته وعطاءه ظلت معه إلى النهاية ، فقد تواترت الآراء على أنه أملى معجمه الشهير «كتاب جمهرة اللغة»[١] وهو فى الرابعة والتسعين من عمره ، أملاه اعتمادا على الذاكرة دون استعانة بالنظر فى الكتب إلا فى باب الهمزة واللفيف ، وهى قدرة ذهنية عالية قد يصعب الآن تصورها فى عصر أضعفت فيه الآلات الحافظة قوة الذاكرة عند الرجال ، وخاصة إذا اتصل الأمر بكتب مثل كتب المعاجم بتفاصيل مفرداتها . ولا يخفف من الاندهاش من قوة الذاكرة فى هذه الحالة أن يقال - كما كان بعض معاصرى ابن دريد يقولون - إن كتاب الجمهرة كان فى جوهره إعادة لترتيب المادة اللغوية التى تضمنها كتاب العين

١- انظر : كتاب جمهرة اللغة لابن دريد أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى البصرى المتوفى سنة ٣٢١ هـ ، تصوير دار صادر ببيروت عن مطبعة مجلس المعارف - حيدر أباد ١٣٤٤ .

للخليل بن أحمد ، فأن يعاد حتى ترتيب مادة ضخمة كتلك فى الذاكرة وليس فى الأوراق ، وعلى أساسين متباعدين ينتمى أولهما إلى ترتيب مخارج الحروف وينتمى آخرهما إلى ترتيب الحروف الأبجدية ، أى ينتمى الأول فى الحقيقة إلى أساس سمعى للغة ، وينتمى الثانى إلى أساس بصرى لها[٢] أن يحدث هذا كله فى ذاكرة رجل فى الرابعة والتسعين ، فإنه لأمر يدعو إلى التأمل فى شدة خصوبة الفترة التى وقعت بين تاريخ ميلاده وتاريخ وفاته .

بل إن بعض الروايات تذهب فى الحديث عن قوة حافظته واستمرار عطائه العلمى إلى سن الثامنة والتسعين نفسها ، فها هو تلميذه أبو على القالى يروى عن مرض موته ، فيقول إنه أصيب بالفالج فتداوى منه فشفاه الله ثم عاد إليه ، وكان يصيح لذلك صياح من يغشى عليه أو يسل بالمسال إذا دخل عليه أحد ، ومع ذلك كان ثابت الذهن كامل العقل يرد فيما يسأل عنه ردًّا صحيحًا ، وقال القالى : «وكنت أسأله شكوكى فى اللغة وهو بهذه الحال ، فيرد بأسرع من النفس بالصواب» قال : وآخر شىء سألته عنه قال لى : «يا بنى حال الجريض (أى الغصة) دون القريض»[٣] «أى الشعر» ولو وضعنا حتى فى الاعتبار قدرًا متصورًا من المبالغة فى مثل هذه الأخبار ربما لكى تخضع القصة للنموذج الأمثل الذى يحقق للمثل العربى مضربه القياسى وقلنا أنه ليس من الضرورى أن تكون إجابات العالم الدقيقة قد استمرت حتى لحظة الموت ذاتها ، فإن دلالة الخبر التى لا شك فيها هى أن «خرف الشيخوخة» قد أفلت منه ابن دريد وأنه مع اعتلال جسمه فى أخريات أيامه ، قد صحت له قوة عقله حتى النهاية .

وإذا كانت لحظات قوة الذاكرة فى نهايتها توغل بها إلى هذه الفترة المتأخرة فإن

---

(٢) للمقارنة بين طريقتى «العين» و«الجمهرة» انظر د. أحمد مختار عمر : البحث اللغوى عند العرب ص ٢٠٤ وما بعدها ، الطبعة السادسة ، عالم الكتب - القاهر ١٩٨٨ .

(٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبى العباس شمس الدين أحمد بن خلكان ج ٤ ص ٣٢٩ تحقيق د. إحسان عباس - دار صادر ببيروت د.ت.

لحظات حدتها فى بدايتها كانت تعطى ومضات قوية تشى بموهبة عظيمة فى مجال الإلمام بالدقائق ، والسيطرة على بحر اللغة الواسع ، فها هوعمه الحسين بن دريد الذى كان يتولى العناية به يدخل عليه يومًا وهو فى صحبة أستاذه أبى عثمان الأشناندانى يقرء عليه إحدى قصائد الحارث بن حلزة اليشكرى ، ويستصعب الحسين القصيدة ويقدر مدى ثقلها على ذاكرة ابن أخيه ، ويحاول أن يشجعه على التصدى لها فيعده بجائزة إذا أسرع بحفظها ، ثم يجلس مع الأستاذ بعد هذا جلسة للغداء ، وعندما ينتهيان منها يفاجئهما محمد بن الحسن لا بحفظ قصيدة الحارث وحدها بل بإستيعاب ديوانه كله[٤] .

وبين لحظة البداية المومضة ، ولحظة النهاية الموغلة يشهد العصر نشاط ذاكرة قوية حافظة مقلبة مجددة ، تطرق مجالات فى الدرس اللغوى والأدبى لم تكن معهودة ، وتجدد فيما كان مألوفًا وتصل حبل البادية بالحاضرة والشمال بالجنوب والثقافة العربية بغيرها من الثقافات ، والعلم بالفن ، وتملأ الدنيا وتشغل الناس ، وتترك الدنيا والناس بين راض عنها أشد الرضا ، وساخط عليها أبلغ السخط ، لكنها فى كل الأحوال لا تدع قارئًا ولا باحثًا يمر بالقرن الثالث أو الرابع وهما عصب الحضارة الإسلامية ، إلا ويجد نفسه محتاجًا إلى أن يقف ويطيل الوقوف ، أمام هذه الظاهرة العلمية الفنية المتميزة ظاهرة أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى .

(٤) انظر مقدمة الاشتقاق ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، دار المسيرة ببيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م وانظر الخطيب البغدادى ، المكتبة السلفية - المدينة المنورة ج ٢ ص ١٩٦ .

الإطار المكانى
ومجـــال الحـــركــة

الإطار المكانى ومجال الحركة

فى عمر طويل كذلك العمر، وذاكرة متميزة كتلك الذاكرة، يبدو التوقف أمام فكرة «الإطار المكانى» وفكرة «مجال الحركة» أمرًا ضروريًا، لا من حيث تحقيق الآراء التى قد يتضارب بعضها مع بعض حول شخصية ابن دريد من هذه الناحية فحسب، ولكن أيضًا من حيث تصور الأثر المتوقع لاختلاف البيئات ولتغير المشاهد ولتوالى الأحداث ووقعها وأثرها ولرصد تصور محاولات إثبات الذات فى الغربة، وتحمل أعباء الريادة بين الأهل. وإذا كان التوقف أمام هذه العوامل أو بعضها لازمًا فى حالة عالم ما لرصد تأثيرها على القوى الفكرية لديه، أو أديب ما لرصد تأثيرها على القوى الوجدانية عنده، فإنها إلزم فى حالة ابن دريد الذى أخذ من مجالى العلم والأدب بنصيب وافر وبرع فيهما براعة لم تكن معتادة فى عصره، ولا أصبحت معتادة فى العصور التالية، حيث التعود على غلبة احدى النزعتين الفكرية أو الوجدانية عند علم من الأعلام ومن ثم إقصاؤها للنزعة المقابلة، لكن حالة هاتين النزغتين عند ابن دريد كانت مختلفة حين لم تستطع إحداهما إقصاء الأخرى فتزاحمتا عنده، وتعبير «التزاحم» هو التعبير الذى اختاره العلماء القدماء وعبر عنه أبو الطيب اللغوى حين قال: «ما ازدحم العلم والشعر فى صدر أحد ازدحامهما فى صدر خلف الأحمر وابن دريد»(٥) وعبر عنها تلميذه المسعودى المؤرخ الشهير حين قال: «وكان ابن دريد ببغداد ممن برع فى زماننا هذا فى الشعر وانتهى فى اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها وأورد أشياء لم توجد فى كتب المتقدمين، وكان يذهب بالشعر كل مذهب، فطورًا يجزل

(٥) أبو الطيب اللغوى: مراتب النحويين ص ٨٤.

وطورًا يرق»[٦] وعبرت عنها كذلك العبارة التى شاعت فى ذلك العصر: «ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء»[٧] .

وإذا تناولنا فكرة «الإطار المكانى» لابن دريد ، فإننا سنجد أن خريطة متحركة لحياته الواسعة ، تختصر أحيانًا فى خطوط عريضة فى مثل تلك العبارة : «ولد أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بالبصرة فى خلافة المعتصم ٢٢٣ هـ ثم صار إلى عُمان فأقام بها مدة ثم صار إلى فارس فسكنها مدة ، ثم قدم بغداد فأقام بها إلى أن مات ٣٢١هـ»[٨] هذه هى الخطوط العريضة لحركة الحياة عند ابن دريد ، وقد تضيف إليها بعض كتب المختصرات بعض التحديدات الرئيسية كتحديد زمن مغادرته البصرة إلى عُمان ومدة إقامته بها : «ولد بالبصرة ونشأ بها وأخذ العلم عن علمائها ، ثم غادرها فى فتنة الزنج إلى عُمان ، فأقام بها اثنتى عشرة سنة يأخذ اللغة والشعر عن الأعراب ، ثم عاد إلى البصرة .. إلخ»[٩]

والمراحل الرئيسية إذن فى هذه الخريطة هى :

(أ) المولد والنشأة . (ب) الرحلة إلى عُمان . (جـ) الرحلة إلى البصرة .

(د) الرحلة إلى فارس . (هـ) الرحلة إلى بغداد ونهاية العمر .

وسوف نرى أن الروايات حول هذه المراحل تحتاج إلى إعادة قراءة للاستعانة بها فى رسم «صورة حياة» لابن دريد .

---

(٦) المسعودى : مروج الذهب ج٤ ص ٣٢ وانظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤٩٧.

(٧) انظر نزهة الألباء ص ٣١٣.

(٨) د. زكى مبارك ، النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى ج ٢ ص ٢٧٨ المكتبة العصرية - صيدا ببيروت - دون تاريخ .

(٩) أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربى ص ٣٣٧ - دار نهضة مصر ١٩٧٧ .

(أ) المولد والنشأة :

وفيما يتصل بقضية المولد والنشأة ، فإن معظم الروايات تتفق على أنهما كانا فى البصرة فى عام ٢٢٣هـ فى خلافة المعتصم[١٠] ، ولكن هناك روايات تخرج عن هذا الشيوع وتستحق الاهتمام ، وبعضها يخالف فى قضية المولد والنشأة معا ، والبعض الآخر يخالف فى مسألة النشأة فقط كما فعل الخطيب البغدادى من القدماء ، حين ذكر فى التعريف بابن دريد أنه «بصرى المولد ، ونشأ بعُمان وتنقل بجزائر البحر والبصرة وفارس»[١١] ، والمولد بعُمان أو النشأة فيما ، مقولة تؤكد عُمانية ابن دريد وهى مقولة يهتم بها مؤرخو الأدب فى عُمان الذين لا يشيرون غالبًا إلى مولده بالبصرة أو يشيرون إلى ما يقابلها وهو المولد فى عُمان ، فالشيخ نور الدين السالمى يشير إلى ابن دريد بأنه من أهل عُمان ، ويقول «ومنهم ... ابن دريد ... وهو صاحب كتاب الجمهرة .. إلخ»[١٢] ويتابعه فى ذلك صاحب شقائق النعمان فى أسماء شعراء عُمان فعنده أن ممن «قال الشعر من أهل عُمان .. ابن دريد .. سكن فى صحار من الباطنة ، ويقال أيضًا سكن فى دما التى كانت مأوى الأخيار والعلماء وهى بلد السيب من خط الباطنة»[١٣] .

أما الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش ، فهو أكثر وقوفًا أمام قضية المولد والنشأة وأكثر ميلاً إلى اعتبار أنها كانت فى عُمان ، وهو ينسب إلى بعض المؤرخين العُمانيين دون أن يشير إلى أسمائهم ما يرجح وجهة نظره تلك ، يقول : «كتب بعض مؤرخى عُمان،

---

(١٠) هناك أخطاء واضحة يقع فيها بعض الكاتبين كما فعل شارح مقصورة ابن دريد حين قال : «ولد بالبصرة فى عصر العلم الذهبى ، عصر هارون الرشيد وولده المأمون» انظر شرح مقصورة ابن دريد للأستاذ عبد الوصيف محمد من علماء الأزهر الشريف ص ٥ - مكتبة الحلبى - مصر ١٩٣٩م .

(١١) الحافظ أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى ، تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩٦ المكتبة السلفية - المدينة المنورة ، دون تاريخ .

(١٢) أبو محمد عبدالله بن حميد السالمى ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ج١ ص ١٢ - مطبعة الإمام بالقلعة - مصر ، دون تاريخ .

(١٣) محمد بن راشد الخصيبى ، شقائق النعمان ، على سموط الجمان فى أسماء شعراء عمان ، جـ١ ص ١٩ - وزارة التراث القومى والثقافة - مسقط ١٩٨٤ م .

وهم أهله ومنهم أرومته وفيهم منبته ، قال : هو من بلد «قدفع» هكذا نص عليه صاحب «رسالة الأئمة والعلماء»[١٤] .

والإشارة إلى أماكن عُمانية فى حياة ابن دريد مثل «قدفع» فى الرواية السابقة ، وصحار ودما أو السيب فى روايات سابقة تؤكد روايات عن الجذور العُمانية لابن دريد بعضها منسوب إليه هو نفسه مثل تفسيره لاسم جده الخامس «حمامىّ»[١٥] حيث يقول عنه : «كان أول من أسلم من آبائى «حمامى» وهو من السبعين راكبًا الذين خرجوا مع عمرو بن العاص من عُمان إلى المدينة لما بلغتهم وفاة الرسول ﷺ»[١٦] . ويفسر ابن النديم اسم الجد ، فيقول : «هو منسوب إلى قرية من نواحى عُمان يقال لها حماما» (ويقول بعض العُمانيين المعاصرين أنها تسمى الآن قرية خور الحمام) .

هذه الروايات فى مجملها تلقى علامة استفهام على فترة المولد والنشأة ، وهى فترة تظل غائمة فى معظم التراجم القديمة ، وهو غيام سببه أن تدوين حياة الأفراد لا يصبح موضع اهتمام إلا عندما يثبت هؤلاء الأفراد أنفسهم أنهم جديرون بذلك من خلال التبريز فى مجال من مجالات العلم أو الفن أو السياسة أو الحياة العامة ، وبدءًا من هذه الفترة وحدها تسلط عليهم الأضواء ، لكنهم حين يولدون وينشأون وخاصة إذا لم يكونوا من أبناء المشاهير ، فإنهم يكونون كبقية الأطفال ، لا يؤرخ لهم ولا يكتب عنهم ، وإذا لم يكتب العَلَمُ سيرته الذاتية بنفسه ، فإن كثيرًا من تفاصيل الطفولة والمولد والنشأة تكون عرضة للضياع ، وسوف نرى من خلال مناقشة المراحل التالية أى هذه الآراء يمكن أن تتفق مع سيرة حياة ابن دريد العامة .

---

(١٤) أبو إسحاق إبراهيم إطفيش الجزائرى ، تحقيق كتاب «الملاحن» للإمام أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى ، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ١٩٨٧ المقدمة .

(١٥) فى سلسلة النسب : محمد الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن حمامى .

(١٦) انظر مقدمة «الاشتقاق» تحقيق عبد السلام هارون - دار المسيرة - بيروت ١٩٧٩ .

الرحلة إلى عُمان :

أما الرحلة إلى عُمان فهى شىء ثابت فى تاريخ ابن دريد ، أشار إليها كل من كتب عنه من القدماء أو المحدثين ، بل إن الإشارة إليها تجاوزت الحديث عن حياة ابن دريد وتاريخه لتصبح جزءًا من التقاليد الأدبية المرعية فى القرن الرابع الهجرى ، حيث كانت تمتد تقاليد قديمة ترى أن سلامة اللغة الفصحى تتطلب الرحيل لفترة بعيدًا عن الحواضر التى تختلط فيها اللغات واللهجات ، والذهاب إلى أماكن النقاء اللغوى المتمثلة فى البوادى العربية ومن بينها بادية عُمان ، يقول المستشرق الفرنسى ريجيس بلاشير عند حديثه عن المتنبى : «وكان ثمة اعتقاد قديم جدًّا يذهب إلى أن اللغة التى يتكلمها الأعاجم تنزع دومًا إلى فقدان فصاحتها ، فلابد والحال هذه لكل من جعل من هذه اللغة أداة للدرس من العودة إلى ينابيع أكثر أصالة ألا وهى اللهجات البدوية ، وإلى البدو الرحل ابتغاء الفصاحة والأناقة التى انتفت عن لغة الحضر ، وكان النحاة واللغويون ومؤرخو الأدب يرحلون فى طور الحداثة إلى الصحراء ليمكثوا فيها زمنًا قد يطول أحيانًا وكانت تلك العادة لا تزال مرعية حتى أوائل القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد ، فقد أقام أحد المعاصرين «للمتنبى» وهو اللغوى ابن دريد اثنتى عشرة سنة بصحبة بدو عُمان»(17) .

لكن رحلة ابن دريد هذه إلى عُمان ، إذا كان طلب النقاء اللغوى إحدى فوائدها فإنه لم يكن بالتأكيد فائدتها الوحيدة بل ولعله لم يكن باعثها الأول ، فنسيج حياة ابن دريد ونتاجه الشعرى على نحو خاص قد يوحيان كما سنرى بأن ذهاب ابن دريد إلى عُمان ، لم يكن ارتحالا بقدر ما كان عودة مَن ارتحل ، وإن هذا الذهاب من الصعب أن يحصر فى مرة واحدة قوامها اثنتا عشرة سنة ، والأرجح أن تكون هذه المرة هى أطول المرات أو أكثرها اتصالا ، وأن تكون قد سبقتها أو تلتها مرات أخرى متقطعة ، ذلك أن

(17) Regis Blachre. un poete arabe du IV sicel de L'hegire. About tayyib al' Motanabbiy. 42 libraire Adrien. Maisonneave Paris 1945.

هناك اتفاقًا بين الروايات على أنه عندما ظهر الزنج بالبصرة وقتلوا الرياشى أستاذ ابن دريد كانت هجرة ابن دريد إلى عُمان[١٨] ومقتل الرياشى كما يصوبه صاحب الوفيات كان فى شوال سنة ٢٥٧هـ ، يقول ابن خلكان : «دخل الزنج البصرة فى وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال ٢٥٧هـ فأقاموا على القتل والإحراق ليلة السبت ويوم السبت ثم عادوا إليها يوم الاثنين فدخلوها وقد تفرق الجند وهربوا فنادوا بالأمان فلما ظهر الناس قتلوهم ، فلم يسلم منها إلا النادر واحترق الجامع ومن فيه وقتل الرياشى فى أحد هذه الأيام ، فإنه كان بالجامع لما قتل»[١٩] .

ابن دريد هاجر إذن مع عمه الحسين إلى عُمان عام ٢٥٧هـ أى أن عمره حينئذ كان أربعة وثلاثين عاما ، وما دامت رحلته قد استغرقت اثنتى عشرة سنة فقد ظل بعمان إذن حتى عام ٢٦٩ هـ حين كان عمره ستة وأربعين عامًا ثم تركها إلى البصرة .

وهذا التصور نفسه يحتاج إلى مناقشة من عدة وجوه ..

- أولاً : إن الرحلة لطلب الصفاء اللغوى وتعود اللسان والآذان عليه تكون عادة كما أشار بلاشير فى سن الحداثة ، أى أنها قد تتم فى نهاية العقد الأول من عمر الإنسان أو خلال عقده الثانى لكن من الصعب أن يتصور المرء النهوض لهذه المهمة فى العقدين الرابع والخامس من العمر ، بين الرابعة والثلاثين والسادسة والأربعين ، وتجارب تعلم اللغات وتقويم الألسنة تثبت فى القديم والحديث أن هذه ليست أنسب الفترات لمهمة كتلك ، وإذن فقد سبقت هذه الرحلة فى غالب الظن برحلة أو رحلات أخرى نشدانًا لذلك الهدف الذى لا شك أنه تحقق على نحو جيد عند ابن دريد .

- ثانيًا : يبدو أن هذه الرحلات الأولى من عُمان أو إليها ، كانت فى سن طراوة

(١٨) انظر مثلا وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ج٤ ص ٣٢٣ وما بعدها تحقيق د. إحسان عباس دار صادر بيروت د.ت .

(١٩) المرجع السابق ج٢ ص ٢٧ .

الشباب واحتدام العاطفة ، وهى سن تقترن فيها مفارقة الأوطان بنزعات الحنين وتهيج الذكريات ، على عكس مراحل الكهولة والرجولة التى تقترن فيها الرحلة بالنزعة العملية والهدف المنشود ، ويمكن أن نلمح هذين اللونين من المشاعر فى إنتاج ابن دريد الشعرى نفسه ، يروى أبو على القالى فى كتابه الأمالى نصًّا شعريًّا لابن دريد ذا مغزي فى هذا الصدد ، ويقدم له بعبارات لا تخلو من دلالة ، يقول[٢٠] : وحدثنى أبو بكر بن دريد قال : خرجنا من عُمان فى سفر لنا فنزلنا فى أصل نخلة فنظرت فإذا فاختتان تزقوان فى فرعها ، فقلت :

أقول لورقاوين فى فرع نخلة ... وقد طفل الإمساء أو جنح العصر
وقد بسطت هاتا لتلك جناحها ... ومال على هاتيك من هذه النحر
ليهنكما أن لم تراعا بفرقة ... وما دب فى تشتيت شملكما الدهر
فلم أر مثلى قطَّع الشوق قلبه ... على أنه يحكى قساوته الصخر

واللافت للنظر فى تصدير الأبيات أن ابن دريد يقول : «خرجنا من عُمَان فى سفر لنا» فهو لا يتحدث عن عودته من عُمان ولا عن رجوعه من رحلته إلى عُمان وإنما يورد الخبر على أن ذلك كان عادة مقيم تتكرر ، وأنها مفارقة كانت تقرن بذلك اللون من المشاعر التى نجحت الصورة الشعرية فى أن تنقله من خلال لقطة الحمامتين وجناح إحداهما المبسوط للأخرى ، ونحر أولاهما المائل على الثانية ، وهى صورة فنية يبدو أنها كانت متأصلة فى نفسية ابن دريد الشاعرة ، وهو نفسه الذى يحكى من إنشاد أبيه صورة قريبة الشبه من تلك الصورة حين يقول[٢١] أنشدنى أبى :

---

(٢٠) أبو على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى ، كتاب الأمالى ، ج ١ ص ١٣٣ الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان .

(٢١) المرجع السابق ج١ ص ١٣٣.

دع ذكرهن فما تزال تَشُبُّه ورقاء تركب حانيا ميادا

تدعو حمائم أيكة بهديلها يخضعن حين يجبنها الأجيادا

يا ويحهن حمائمًا هيجن لى شوقًا يكاد يصدع الأكبادا

والمقطوعتان تغترفان دون شك من منبع واحد ، وتمثل مقطوعة ابن دريد مرحلة فى الرحلة ومفارقة الأوطان تنتمى إلى فترة مبكرة فى العمر وهى تختلف عن مرحلة تالية يبدو فيها لون من المشاعر يظهره شعر ابن دريد إزاء مسألة المفارقة والرحلة ، يقول ابن دريد(٢٢) :

وإذا تنكرت البلا د فأولها كنف البعاد

واجعل مقامك أو مقر ك جانبى برك الغماد

لست ابن أم القاطنين ولا ابن عم للبلاد

وانظر إلى الشمس التى طلعت على إرم وعاد

هل تؤنسنّ بقية من حاضر منهم وباد

رحلة ابن دريد الشهيرة إذن بين عامى ٢٥٧ و ٢٦٩هـ إلى عُمان ، لم تكن رحلته الأولى لا من ناحية الهدف العلمى المنشود ، ولا من ناحية الأثر الوجدانى الذى يصوره النتاج الشعرى لابن دريد .

– ثالثًا : هذه الرحلة أيضًا لا يمكن أن تكون الأخيرة ، ويؤيد ذلك مواقف ابن دريد التاريخية ونتاجه الشعرى من أحداث وقعت فى عُمان بعد ٢٦٩ هـ التاريخ المحدد لنهاية هذه الرحلة الشهيرة ، وقد استمرت هذه الأحداث حتى ٢٨٠ هـ على الأقل وكان لابن دريد دور بارز فيها مما يدل على وجوده على أرض عُمان خلال تلك الفترة

(٢٢) ديوان ابن دريد ، تحقيق عمر بن سالم ، ص ٢١ الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٧٠.

التى تكاد تتساوى امتدادا مع فترة الرحلة الأصلية ذاتها ، وهذه الأحداث[٢٣] تبدأ بتولى راشد بن النضر للإمامة عام ٢٧٢ هـ ومبايعة فريق من العُمانيين له على رأسهم موسى ابن موسى ومعارضة فريق آخر منهم شاذان بن الصلت وفريق كبير معه ظلوا متمسكين بإمامة سلفه الصلت بن مالك الذى عزله الفريق الآخر وولى مكانه راشد بن النضر . وقد حدثت فى عهد راشد كثير من الفتن الداخلية كان أبرزها «وقعة الروضة» بالقرب من تنوف بين نزوى والجبل الأخضر ، حين اجتمعت كثير من القبائل على الرغبة فى عزل راشد بن النضر وتولية شاذان بن الصلت ، وعلم راشد بذلك فهاجمهم بالروضة فوقع كثير من الضحايا ، وقد هزت هذه الموقعة نفسية ابن دريد هزًّا شديدا فكتب فيها مجموعة من المراثى الرائعة ، وأخذ يحرض قبائل اليحمد وبنى مالك بن فهم والعتيك وغيرهم على الثأر من راشد وأعوانه حتى تحقق له ولهم ما أرادوا فأسروا راشدا وعزلوه عن الإمامة وبايعوا مكانه عزان بن تميم الخروصى فى صفر ٢٧٧ هـ ولقد حفظت كتب التراث العُمانى من شعر ابن دريد المؤثر فى هذه الأحداث قصيدتين طويلتين تبلغ أولاهما واحدًا وستين بيتًا وهى التى تبدأ بقوله :

نبه نابه وخطب جليل بل رزايا لهن عبء ثقيل

والثانية تبلغ سبعة وأربعين بيتًا وهى التى تبدأ بقوله :

إنما فازت قداح المنايا يوم حازت خصلها بتنوفا

وقد أثبتهما الشيخ نور الدين السالمى فى «تحفة الأعيان»[٢٤] ، ووردا أيضا فى ديوان ابن دريد المجموع[٢٥] . ولم يقتصر المؤرخون العُمانيون على إيراد شعر ابن دريد المتوهج فى هذه الأحداث وإنما جعلوا دوره الشخصى عاملاً هامًّا من عوامل عزل راشد

(٢٣) انظر تفصيل هذه الأحداث فى تحفة الأعيان للشيخ السالمى ، الجزء الأول ص ١٤٧ وما بعدها ..

(٢٤) المرجع السابق ص ١٦٠ وما بعدها .

(٢٥) ديوان ابن دريد ص ٨٩ وما بعدها .

بن النضر بعد أربع سنوات من توليه الإمامة ، يقول السالمى : «وسبب عزله تحرك القلوب عليه ، وكثرة الضغائن بقتل من قتل بالروضة من وجوه الأزد ، وتحريض ابن دريد عليه وموافقة موسى بن موسى لهم فى ذلك»[٢٦] ومن الطبيعى أنه لا يمكن أن يكون لابن دريد هذا الأثر الكبير كله وهو موجود خارج ساحة الوطن ، بل ولا يمكن أن يكون له هذا الأثر إذا كان وجوده وجودًا عابرًا بين رحلتين ، وإنما يتحقق ذلك من رجل يعد نفسه ويعده الآخرون شاعر الأمة فى هذه المواقف الدقيقة ، وذلك يؤكد أصالة جذور ابن دريد فى التربة العُمانية .

وإذا كانت هذه الأحداث تدل على بقاء ابن دريد فى عُمان حتى تولى عزان بن تميم الخروصى فى ٢٧٧ هـ فإن نتاجًا شعريًا آخر لابن دريد يدل على وجوده بعد ذلك بسنوات ، ففى خلال حكم[٢٧] عزان بن تميم عاد موسى بن موسى إلى مكانته وتولى القضاء ، ومع أنه كان قد ساعد فى عزل راشد بن النضر ، فإن عزان لم ينس أنه هو أيضًا الذى كان قد ساعد على عزل الصلت بن مالك وتولى راشد فلم يأمن له وهاجمه فى إزكى وقضى عليه فى موقعة «القاع» التى فر فى أعقابها جماعة من عشيرة موسى يستنجدون بمحمد بن نور حاكم البحرين من قبل الخليفة المعتضد ، فوجههم إلى بغداد، وهناك استصدروا الإذن بأن يقود محمد بن نور جيشًا يغزو به عُمان ويستولى عليها . وقد قاد جيشًا كبيرًا هاجرت بعض الجماعات حين سمعت بمقدمه قاصدة سيراف والبصرة وهرمز وغيرها من البلدان ، وهاجم هو من بقى فقتل عزان بن تميم ولحقت الهزيمة بمن معه ، ثم حاول نفر آخر أن يجمعوا جيشًا لمقاتلة ابن نور ودارت بينهم وبينه موقعة حامية فى دما بالباطنة عام ٢٨٠ هـ انتهت بنصر ابن نور وتمكنه من البلاد وإعمال الفساد فيها ، وفى هذه الموقعة وقتلاها قال ابن دريد قصيدته الخزينة الخافتة كأنها الأنين[٢٨] .

---

(٢٦) تحفة الأعيان ص ١٦٥ .

(٢٧) المرجع السابق ص ١٧٨ وما بعدها .

(٢٨) انظر تحفة الأعيان ص ١٨٠ وديوان ابن دريد ص ١١٠

لا يــفــوت الموت مـــن حـــذر - إن وقـاه الـغـاب والـغـيـل -

مـــفـــرع الاكـــتـــاف ذو لـــبـــد مترص الأوصـــــــــال مجدول

إن دهـــرا فـــل حـــدهـــم حـــده لابـــد مـــفـــلـــول

مـــا بـــكـــاهـــم إن هـــم قـــتـــلـــوا صبرهـم لـلـقـتـل تـفـضـيـل

ابن دريد إذن تبعًا لهذه الأحداث كلها امتدت إقامته فى عُمان على الأقل حتى عام ٢٨٠ هـ وإذا كان قد رحل إليها عام ٢٥٧ هـ عند مقتل الرياشى على يد الزنج فقد قضى بها نحو ثلاثة وعشرين عامًا استغرقت كهولته ورجولته ما بين الرابعة والثلاثين والسابعة والخمسين ، وهى فترة مكنته دون شك من المشاركة الفعلية فى أحداث البلاد وهمومها ومشاعرها مشاركة رائد مقيم لا مسافر مرتحل ، وتلك الفترة لا شك كانت قد سبقتها تلك الزيارات التى تصقل اللسان ويثار على إثرها الوجدان .

- رابعًا : إذا كانت الأحداث الداخلية بعُمان توسع المدى الزمنى لإقامة ابن دريد بعُمان فإن قصة علاقته بأبناء ميكال الذين أصبحوا أمراء خراسان فيما بعد تضيف أبعادًا جديدة على ذلك المدى ، والقصة يتعرض لها شراح المقصورة عندما يصلون إلى قول ابن دريد :

إن ابـن مـيـكـال الأمير انـتـشـانـى من بعد ما قد كنت كالشىء اللقى

ومـد ضـبـعـى أبـو الـعـبـاس مـن بـعـد انقبـاض الـذرع والـبـاع الـوزى

وتذكر فى هذا الاطار قصة[٢٩] تعرفه على عبدالله بن محمد بن ميكال وولده أبى العباس إسماعيل بن عبدالله (٢٧٠ - ٢٦٢ هـ) وكانا من الأسر الكريمة بالبصرة وقد أبحرا يومًا صوب عُمان فى رحلة لعلها كانت تجارية أو استكشافية واصطحبا معهما

(٢٩) انظر فى تفاصيل القصة ، محمد بن راشد الخصيبى ، شقائق النعمان فى أسماء شعراء عمان ج ١ ص ٢٢ وما بعدها .

الدواب والرجال والمتاع ، غير أن عاصفة بحرية حطمت سفنهم وأوشكوا على الهلاك ، وفى هذه الأثناء رأى ربان السفينة أرضًا فكانت «صحار» فجاهدوا للرسو عليها ، فتلقاهم فى هذه الأثناء ابن دريد ساكن صحار ، واستضافهم أربعة أشهر كان المطر فى خلالها متصلاً والمحاصيل مدمرة والغلاء مستعرًا ، وبالغ فى إكرامهم رغم ذلك حتى هدأت الأمور فرحلوا بعد أن قدموا له دعوة لزيارتهم فى محلة العقيق بالبصرة ، ومرت سنتان على هذه الحادثة استمر فيهما الغلاء والقحط فقرر ابن دريد أن يترك بيته وأولاده وأن يهاجر صوب الشمال بحثًا عن انفراج للأزمة ، ونزل بالبصرة فى حالة مضنية وهناك نزل بمحلة العقيق ولجأ إلى مسجدها وسأل عن أصدقائه فوافوه لكنهم لم يبالغوا فى إكرامه ولم يدعوه إلى منزلهم واكتفوا بأن ضمنوا له الحد الأدنى من القوت وهو فى المسجد ، لكنهم فى الوقت نفسه بادروا إلى إرسال سفينة محملة بالخيرات إلى أولاده فى صحار على أنها مرسلة من قبله هو ، وبعد فترة كاد أن ينفد فيها صبره أخبروه أن بعض الأسر تبحث عن معلم لأولادها ورشحوه لتلك المهمة التى درت عليه بعض المال واستمر الحال على ذلك مدة سنتين ، أرسلوا خلالها هم فى العام التالى سفينة أخرى إلى أولاده فى صجار ، وعندما رغب فى العودة إلى عُمان أرسلوا مع عودته سفينة ثالثة دون أن يخبروه ، وكان وصوله إلى صحار، وكانت المفاجآت التى وجدها عندما علم أن أولاده يعيشون فى نعمة من خير أصحابه الذين لم يظهروا له مزيدا من الترحيب الظاهرى .

وأيًا ما كان الرأى فى حاجة بعض جوانب القصة إلى التحليل والمناقشة فإن القصة نفسها ثابتة فى إشارات ابن دريد فى مقصورته وحديث مؤرخى الأدب حولها، وإذا كانت المراجع - التى تحت أيدينا - لم تحدد تاريخًا زمنيًا لهذه الأحداث فإننا يمكن استئناسًا بالأحداث السابقة واللاحقة أن نحدد ولو على وجه التقريب مداها الزمنى .

فأحداث القصة المشار إليها استغرقت نحو خمس سنوات ما بين البصرة وصحار ذهابًا وعودة لكلا الفريقين ، ويبدو أن هذه السنوات جاءت بعد فترة الحروب الداخلية

فى عُمان التى ارتبطت بقضية راشد بن النضر التى أشرنا إليها ، ومن الطبيعى أن تكون الفترات التى تلى الحروب فترات ضيق وأزمات وأن يكون ذلك دافعًا حدا بابن دريد إلى الهجرة إلى الشمال حين بلغت الأزمة ذروتها مستعينًا برصيده عند أصدقائه الذين أتيح له أن يساعدهم فى بداية الأزمة عندما مروا بمحنتهم الخاصة ، وإذا كان أبو العباس إسماعيل بن عبدالله أحد أفراد الرحلة إلى صحار وهو ممن ولدوا فى سنة ٢٧٠ هـ فإن الرحلة يتوقع لها أن تكون قد تمت فى نحو ٢٨٥ هـ وهى فترة كان آل ميكال فيها مقيمين فى البصرة ، قبل أن يتولى[٣٠] الخليفة المقتدر ٢٩٥ هـ ، ويختار عبدالله بن ميكال أميرًا على الأهوار :

وهذه هى الفترة التى مهدت لنقل ابن دريد نهائيًا إلى البصرة فالأهواز فبغداد ، وإذا صح هذا الاحتمال فإنه يضيف نحو عقد آخر من الزمان إلى الفترة العُمانية فى حياة ابن دريد فيجعلها تمتد على نحو أو آخر من ٢٥٧ إلى ٢٩٠ هـ تتخللها دون شك رحلات واضحة كتلك التى أشرنا إليها ، وتسبقها فترات من الاستقرار فى البصرة لطلب العلم والرحيل إلى عُمان أو منها . ووفق هذا التصور فلن تكون حفاوة ابن دريد بآل ميكال وإكرامه لهم فى صحار ، مجرد استقبال لغرباء ألقى بهم البحر على الشاطئ ، وإنما يضاف إليه التكريم لأناس يعرف من أقام فى البصرة مكانتهم العالية فى أنحاء العراق ، وهى المكانة التى يشير إليها ياقوت الحموى عندما يذكر هذه الرواية : «سمعت أبا الحسن يذكر آثار الميكالية فوصف بعض أحوالهم بخراسان فقال : آثارهم عندنا بالعراق ، أكثر منها بخراسان لأنهم نافلة من عندنا إلى خراسان»[٣١] .

ولن تكون كذلك رحلة ابن دريد إلى البصرة مجرد ضرب فى الأرض بحثًا عن أى منفذ أو منقذ وإنما هى اختيار لمكان يعرفه جيدًا ، وتربة له بها صلة العلم وصلة اليد

---

(٣٠) د. أحمد شلبى ، موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة - ج ٣ ص ٣٩٥ - الطبعة الثامنة ١٩٨٥ - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .

(٣١) ياقوت الحموى ، معجم الأدباء الجزء السابق ص ٦ دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان د.ت.

المدخرة ، ولم يكن مصادفة كذلك أن يرشح للخروج من أزمته لكى يكون معلمًا لبعض الصبيان تمهيدًا لترشيحه بعد ذلك لكى يكون معلمًا لأبناء الأمير وصاحب ديوانه .

وخلاصة القول أن تأمل الأحداث التى مر بها ابن دريد حتى اقترابه من سن الستين ، أو على الأقل مجاوزته للخمسين تظهر أنه كان طالب علم وعالمًا وشاعرًا عُمانيًا له صلة قوية بالعراق وبالبصرة خاصة .

العراق وفارس

العقود الأربعة الأخيرة من حياة ابن دريد كانت فى العراق وفارس ، على اختلاف فى أماكن الاستقرار من فترة لأخرى ، وهى الفترة التى شهدت عطاءه العلمى الكبير وزعامته لمدرسة البصرة ، والاستفادة من علمه على المستوى العام والخاص .

هذه الفترة شهدت قوة اتصاله بآل ميكال ، ووثوق العلاقة معهم سواء قبل توليهم الإمارة فى الأهواز أو خلالها ، ولقد توثقت العلاقة خاصة مع تلميذه أبى العباس إسماعيل بن عبدالله(٣٢) بعد أن أسندت إلى ابن دريد مهمة تعليمه ، وذلك بعد أن ولى والده على الأهواز ، يقول ياقوت : «لما قلد المقتدر عبدالله ولاية الأهواز ، حمل إسماعيل إليه ، فاستدعى ابن دريد لتأديبه ، وكان واحد عصره(٣٣) ، وفى مرحلة التعليم هذه كتبت قصيدة ابن دريد الشهيرة «المقصورة» ، وتدل بعض إشارات الروايات القديمة إلى المرحلة التقريبية التى يمكن أن تكون قد تمت فيها كتابة المقصورة ، ففى رواية ياقوت: قال الحاكم عندما سئل عن زمن كتابة المقصورة : أبو العباس إذ ذاك صبى ، فقال : لا والله إلا رجل .. إمام فى الأدب ، والفروسية بحيث يشار إليه(٣٤) ، وإذا كان أبو العباس قد ولد فى سنة ٢٧٠ هـ فإن ذلك يمكن أن يكون قد تم وعمره نحو الثلاثين وهو تصور يتفق مع ما هو معروف من أن عبدالله بن ميكال تولى الأهواز من ٢٩٥ هـ حتى ٣٠١ هـ.

---

(٣٢) من أمارات هذا القرب ذات الدلالة ، الطريقة التى كان يشير بها إسماعيل إلى ابن دريد ، فقد كان يدعوه دائمًا بالدريدى لا بابن دريد ، انظر : ياقوت معجم الأدباء ج ٧ ص ٧ .

(٣٣) المرجع السابق ص ٧

(٣٤) المرجع السابق ص ٧

وقد عبر ابن دريد عن قوة الصلة والعرفان بالجميل والأثر العميق الذى تركه اتصاله بالميكاليين على حياته حين قال فى مقصورته[٣٥] :

حاشا الأميرين اللذين أوفدا ... على ظلاً من نعيم قد صفا
هما اللذان أثبتا لى أملا ... قد وقف اليأس به على شفا
تلافيا العيش الذى رنقه ... صرف الزمان فاستساغ وصفا
وأجريا ماء الحيا لى رغدا ... فاهتز غصنى بعدما كان ذوى
هما اللذان سموا بناظرى ... من بعد إغضائى على لذع القذى
هما اللذان عمرا لى جانبا ... من الرجاء كان قدمًا قد عفا
وقلدانى منة لو قرنت ... بشكر أهل الأرض عنى ما وفى

وقد شهدت هذه الفترة كذلك من نشاطات ابن دريد العلمية البارزة وضع فكرة كتاب الجمهرة عام ٢٩٧ هـ أثناء تبسيط طرق الإلمام بدقائق اللغة لتلميذه أبى العباس[٣٦] ، وهو الكتاب الذى سيعيد بعد ذلك بنحو عشرين عامًا إملاءه من الذاكرة على تلاميذه فى بغداد فى النسخة الأخيرة .

وقد علا نجم ابن دريد السياسى والعلمى فى هذه المرحلة العراقية الفارسية ، علا نجمه السياسى عندما تولى ديوان فارس لآل ميكال ، وأصبحت كتب الدولة لا تصدر إلا بأمره ، وأصابه من الوجاهة واليسار ما جعله يعد عند بعض المفكرين من أرستقراطى القرن الرابع الهجرى[٣٧] وعلا نجمه العلمى عندما عاد إلى البصرة فى أوائل القرن الرابع

(٣٥) انظر شرح مقصورة ابن دريد «سبق ذكرها» ص ٧٣ وما بعدها .
(٣٦) انظر مقدمة الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام هارون .
(٣٧) أحمد أمين : ظهر الإسلام ج٢ ص ١٧ - الطبعة الخامسة - دار الكتاب العربى - بيروت د.ت.

الهجرى (٣٠١ - ٣٠٨ هـ) والبصرة يومها زاخرة بالعلماء والطلاب ، فعقدت لإبن دريد زعامة المدرسة البصرية ، وانتهى فى اللغة وقام مقام الخليل على حد تعبير تلميذه المسعودى ، ثم امتدت هذه المرحلة عندما انتقل إلى بغداد ليواصل العطاء فى كنف الخليفة المقتدر ، وليفد إليه الطلاب من كل مكان وليحملوا عنه العلم إلى أقاصى المشرق والمغرب كما كان الشأن مع تلميذه الشهير أبى على القالى صاحب كتاب الأمالى الذى حمل علم ابن دريد إلى الأندلس [٣٨] وأبى الفرج الأصفهانى صاحب كتاب الأغانى وتلميذه المقرب الذى عد من أشهر مؤلفى القرن الرابع وغيرهما من التلاميذ الذين حملوا علمه إلى بقية الأرجاء والأزمنة .

(٣٨) انظر مقدمة كتاب الأمالى لأبى على القالى - الطبعة الثانية ١٩٨٤ - دار الحديث للطباعة والنشر - لبنان.

بغداد .. هل كانت نهاية المطاف ؟

تذهب معظم الروايات إلى أن ابن دريد منذ استقر ببغداد سنة ٣٠٨ هـ مكث بها ورصد له الخليفة المقتدر عطاءً جاريًا حتى مات ببغداد عام ٣٢١ هـ ، وتصف بعض الروايات جنازته وساعة دفنه فى نهاية النهار ، ورؤية الناس قبيل انصرافهم من الدفن جنازة أخرى قادمة تبين أنها للجبائى عالم الكلام المشهور ، وقد قال الناس يومها : «اليوم مات علم اللغة وعلم الكلام». بل إن بعض الروايات تحدد مكان الدفن حين تذكر أنه دفن ببغداد بمقبرة العباسية من الجانب الشرقى فى ظهر سوق السلاح بالقرب من الشارع الأعظم ». (٣٩)

غير أن الحافظ السيوطى يورد رواية أخرى عند حديثه عن ابن دريد فى كتابه «بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة» إذ يقول إنه : «صار إلى عُمان فأقام بها إلى أن مات» . (٤٠) وهذه الرواية لا تساندها روايات أخرى .. فيما رجعنا إليه .. ومن ثم فإن الروايات التى تحدد الزمان والمكان والملابسات ربما تكون أقرب إلى طبيعة الفترة الأخيرة من حياة ابن دريد. والتى استقر فيها فى ذلك المهجر الشمالى - العراق وفارس وهو مهجر كان مألوفًا لكثير من الشعراء والعلماء والتجار من أبناء عُمان .

هذه الوقفة الطويلة أمام المراحل المختلفة من حياة ابن دريد وعلاقتها بفكرة المكان وكثرة الحركة ومن ثم كثرة ما يرد على السمع والبصر من مواقف ومشاهد وأحداث وتجارب تشكل جانبًا هامًّا من استيعاب شخصية ابن دريد العلمية والأدبية ومدى قابليتها للتشرب والتمثل والبث وهى جزئية سوف نقف أمامها مفصلاً فى الفقرة التالية.

---

(٣٩) انظر مقدمة الاشتقاق لابن دريد والمراجع الواردة به .

(٤٠) الحافظ جلال بن عبد الرحمن السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ج١ ص ٧٦ - المكتبة العصرية - بيروت د. ت .

لكننا نحب قبل أن نترك هذه الجزئية أن نشير إلى أهمية الوقوف أمام المراحل المختلفة لحياة ابن دريد وعلاقتها بالأمكنة المختلفة ، وإلى قضية صلته بموطنه الأصلى عُمان على نحو خاص ، وإلى أن الخريطة الزمانية والمكانية المتداولة حول سيرة حياته فيها بعض التجاوزات ، وهى تجاوزات يقع فيها حتى بعض الدارسين الأكاديميين المتخصصين فى دراسة ابن دريد مثلما حدث لمحقق ديوان ابن دريد الدكتور عمر سالم الذى كتب بالاضافة إلى تحقيقه المفيد كتابًا بالفرنسية عن ابن دريد (٤١) . ومع ذلك فإنه عند عرضه للمراحل الرئيسية لحياة ابن دريد فى مقدمة ديوانه ذكر أنها يمكن تقسيمها إلى المراحل التالية : (٤٢)

١ - المرحلة البصرية الأولى من ٢٢٣ هـ تاريخ ميلاده إلى ٢٥٦ هـ تاريخ هجرته إلى عُمان .

٢ - المرحلة العُمانية من ٢٥٦ هـ إلى ٢٧٠ هـ تاريخ عودته من عُمان عن طريق جزر البحر .

٣ - المرحلة البصرية الثانية من ٢٧٠ إلى ٢٩٥ هـ تاريخ سفره إلى فارس .

٤ - المرحلة الفارسية من ٢٩٥ إلى ٣٠١ هـ تاريخ عودته من فارس .

٥ - المرحلة البصرية الأخيرة من ٣٠١ إلى ٣٠٨ هـ تاريخ سفره إلى بغداد .

٦ - المرحلة البغدادية من ٣٠٨ إلى ٣٢١ هـ تاريخ وفاته .

وهى مراحل بينًا وجهة نظرنا فى مدى التداخل بينها ، وحاجتها إلى إلقاء مزيد من الضوء عليها .

---

(41)Ben salem A.I.Durayd vie aeuvre et influence Masion Tunisie. dedition Tunis 1972

(٤٢) عمر سالم - ديوان ابن دريد ص ١١ - ١٢.

الرجل والعصر
التمثل وتعدد المصادر

الرجل والعصر

التمثل وتعدد المصادر

إذا كان الاقتراب من «خامة» الذاكرة ونوعيتها يساعد فى تصور «وعاء العلم» الذى يستقبل به ابن دريد تراثًا غنيًّا ومدى قدرته على الاستيعاب والتمثل والإسهام بدوره فى حركة التراث اللاحقة وكان الاقتراب من المكان مؤشرًا على مدى سعة الدائرة التى أتيح له التحرك فيها ، فإن محاولة التعرف على ألوان «الاستقبال» و«الإرسال» التى مارستها هذه الشخصية يفيد بدوره فى تصور مدى الأفق الذى استطاعت هذه الشخصية العلمية أن تتحرك فى إطاره ، ومن ثم مدى التطور الذى استطاعت أن تسهم به فى حركة الثقافة العربية .

والمعطيات الأولى التى يمكن أن تساعد هذا المنهج على التجسد ، تكمن فيما يطرح تقليديًّا تحت أبواب «شيوخه وتلاميذه» .

وتكمن كذلك فى تتبع الحقول العامة لمؤلفاته التى تحدد مجال اهتماماته ، ولقد اتيح لابن دريد أن يعيش الحياة العلمية فى العراق وفارس فى أزهى فترات الحضارة الإسلامية ، وأن يسهم فى العطاء بعد أن أسهم فى الاستيعاب فى مرحلة يرى بعض المفكرين أنها القمة التى وصل إليها العطاء العلمى فى الإسلام ، بل وربما كانت خاتمة هذا العطاء . يقول الأستاذ أحمد أمين : «ربما كان هذا العصر خاتمة العلم الإسلامى ، نعم كان بعده علم ، ولكن ليس إلا ترديدًا لعلم القرن الرابع» (٤٣) .

---

(٤٣) أحمد أمين : ظهر الإسلام ج ٢ ص ٢٦٠ - الطبعة الخامسة - دار الكتاب العربى د.ت .

كان شيوخ علوم اللغة والأدب والنحو وعلوم الدين والشعر وأصحاب التراجمات والمولعون بعلوم الأوائل ، كان كل أولئك يعمرون العراق فى هذه الفترة يفدون إليه أو يلتقون فيه أو ينطلقون منه إلى أمصار العالم الإسلامى المختلفة ، وهى أمصار تبدو يومئذ متعطشة للعلم والمعرفة مزهوة بدورها الحضارى مستمرة فى حركة المد الفكرية بقوة اندفاع القرون الأولى حتى بعد أن بدأت تخفت قليلاً حركة المد السياسية نتيجة ضعف الرجال وغلبة الأهواء وتفرق الكلمة ، ومن ثم فقد ظل الناس يخافون من الساسة ويحترمون العلماء ويجلونهم ، وربما كان هذا الاحترام يزداد كلما تم التوغل فى المناطق غير العربية حيث تبدو زهوة العلم مقترنة برهبة الدين وإجلاله فى النفوس ، وربما كانت بلاد خراسان التى سيقدر لابن دريد أن يعيش فيها زمنًا ، من أكثر البلاد محبة للعلماء . ينقل آدم ميتز فى كتابه «الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى» صورة نابضة عن هذه المحبة انطلاقًا من شهود العصر فيقول : (٤٤)

«ولكن خراسان كانت جنة العلماء ، ولا يزال العلماء يتمتعون فيها بجاه واحترام لا نظير لهما فى سائر البلاد ، ومن أمثلة ذلك أن أحد العلماء الزهاد دخل خراسان فخرج أهلها بنسائهم وأولادهم يمسحون أردانه ويأخذون تراب نعليه ويستشفون به ، وكان يخرج من كل بلد أصحاب البضائع بضائعهم ، وينثرونها ما بين حلوى وفاكهة وثياب وفراء وغير ذلك وهو ينهاهم حتى وصلوا إلى الأساكفة فجعلوا ينثرون المتاعات وهى تقع على رؤوس الناس وخرج إليه صوفيات البلد بمسابحهن وألقينها وكان قصدهن أن يلمسها فتحصل لهن البركة فكان يتبرك بهن ويقصد فى حقهن ما قصدن فى حقه» (٤٥) .

---

(٤٤) آدم ميتز . الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة فى الإسلام - نقله إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريده - الطبعة الثالثة ص٣٠٣ - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٥٧ .

(٤٥) طبقات السبكى ج ٣ ص ٩١ نقلاً عن المرجع السابق .

وإذا كان هذا هو تقدير عامة الناس للعلماء فإن كثيرًا من الأمراء والحكام كانوا يزينون مجالسهم بالعلماء ويؤونهم بل كان العالم نفسه وسيلة من وسائل الوصول إلى الوزارة والحكم فى ذلك العصر كما كان الشأن مع ابن العميد والمهلبى والصاحب بن عباد ومع صاحبنا ابن دريد الذى أوصله تفوقه فى الأدب واللغة إلى ديوان الميكاليين.

لهذا كله كان المناخ مواتيًا للإقبال على العلم والاستزادة منه والبلوغ فيه مدى واسعًا ، إذا أتيح للدارس مثلما أتيح لابن دريد من طول العمر وخصوصية الذاكرة وسعة مجال الحركة ، وقبل هذا كله قوة العزيمة وبعد النظر .

وقد أتيح لابن دريد أن يتوسط بين عصرين وأن يكون حلقة جيدة بينهما يضيف إليهما من ذاته الشىء الكثير ، كانت أصداء جيل الأصمعى وأبى عبيدة معمر بن المثنى ما زالت تتردد فى الحرص على التشبث والتتبع وغزارة المعلومات وقوة إسنادها وكان هناك بعض الشيوخ فى البصرة يعتزون بأنهم تتلمذوا على هؤلاء الرواد الكبار ، كان من هؤلاء أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشى ، وكان يعرف أنه عالم راوية ثقة عارف بأيام العرب ، وقد تتلمذ عليه ابن دريد وظل مصاحبًا له يأخذ عنه حتى فرقت بينهما ثورة الزنج عام ٢٥٧ هـ فهاجر ابن دريد فى بدايتها إلى عُمان واعتصم أستاذه الرياشى بالمسجد مع الناس فدهمهم الزنج داخله وقتلوهم .

التقى ابن دريد كذلك بأستاذ آخر هو أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى الذى كان إمامًا فى غريب القرآن والشعر ، وكان قد أخذ عن أبى زيد الأنصارى والأصمعى وأبى عبيدة وقرأ كتاب سيبويه على الأخفش وأخذ عنه وخلف مؤلفات شهيرة مثل «إعراب القرآن» وكتاب «المقصور والممدود» ولعل فكرته هى التى أوحت لابن دريد فيما بعد أن يطور فكرة المقصور تأليفًا وشعرًا .

أما أستاذه الذى لم يكن ينكر أنه يرجع عنده هذين العلمين الكبيرين من بعض الزوايا على الأقل فهو أبو عثمان الأشناندى الذى كان نحويًا من أئمة اللغة أخذ عن

أبى محمد التوزى ، وقد كان سر تفضيل ابن دريد له راجعًا إلى قدرته على الإلمام بالمسائل الدقيقة التى قد تند حتى عن كبار العلماء ، يقول ابن دريد [٤٦] : «سألت أبا حاتم السجستانى عن اشتقاق «ثادق» اسم فرس ، فقال لا أدرى ، وسألت الرياشى فقال : يا معشر الصبيان ، إنكم تتعمقون بالعلم . وسألت أبا عثمان الأشناندى فقال : «هو من ثدق المطر بالسحاب إذا خرج خروجًا سريعًا نحو الودق». وكان من مؤلفات الأشناندى التى رواها ابن دريد كتابه معانى الشعر .

أما الأستاذ الذى وصله بالأصمعى مباشرة وأكثر ابن دريد من الرواية عنه فهو عبد الرحمن بن عبدالله بن أخى الأصمعى ، والرواية عن عبد الرحمن عند ابن دريد تكثر كثرة بالغة فى صغير الأمور وعظيمها ، ومن يتتبع مثلا كتاب الأمالى لأبى على القالى يجد عبارة مثل : «حدثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال :» تتكرر مئات المرات ، وقد دفع اختصار العبارة وشيوعها وغموضها النسبى إلى الشك فى وجود شخصية عبد الرحمن ذاته ، وهو شك صرح به الدكتور طه حسين للدكتور زكى مبارك [٤٧] لأن عبارة «ابن أخى الأصمعى» لا تعطى سلسلة من النسب يمكن الاطمئنان إليها ، ولكن الدكتور مبارك وجد أن عبارات مماثلة تشيع فى روايات الأخبار العربية مثل «ابن بنت قطرب» و«ابن أخت الجاحظ» و«صهر المبرد» بالإضافة إلى أن سلسلة نسب عبد الرحمن ذكرتها بعض المصادر مثل ابن خلكان الذى ذكر أنه عبد الرحمن بن عبدالله غير أن ارتباط اسم عبد الرحمن غالبًا بالأحاديث التى كان يرويها ابن دريد مسندة إلى عبد الرحمن فعمه الأصمعى . وشيوع جانب من الخيال فى هذه الأحاديث جعلها عند بعض الدارسين تعد نواة لفن المقامة فيما بعد ، هذا الشيوع مرتبطًا بهذه النزعة جعل بعض الدارسين لا يركزون شكهم على وجود عبد الرحمن ذاته ، بل على صحة الروايات المنسوبة إليه ، ويربطون هذا الشك بالنزعة التى سادت

(٤٦) ياقوت الحموى ، معجم الأدباء ج ١١ ص ٦٣٠ .
(٤٧) النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى ص ٣٠٣ .

العصر من اختلاق كثير من الروايات واللجوء إلى طريقة الإسناد - وخاصة إلى شخصية مشهورة - تمويهًا وإيهامًا بصحة الخبر ، ويذكر الدكتور زكى مبارك فى هذا الصدد حكاية ينقلها عن ابن فارس أنه كان يقول [٤٨] : «سمعت أبا أحمد بن التيار يقول: أبو أحمد العسكرى يكذب على الصولى مثلما كان الصولى يكذب على الغلابى مثلما كان الغلابى يكذب على سائر الناس» ويعقب زكى مبارك على الرواية قائلاً : وقد يمكن أن نقول على أساس هذه النكتة : ابن دريد يكذب على عبد الرحمن بن عبدالله مثلما كان عبدالرحمن يكذب على الأصمعى ، مثلما كان الأصمعى يكذب على سائر الناس!

على أنه إذا كان الأمر يتصل غالبًا بالأحاديث التى قدمها ابن دريد للنثر الأدبى وكانت نواة لفن المقامة التى توسع فيها بديع الزمان الهمذانى ومن بعده الحريرى ، فإن مسألة صحة السند والراوى لا ينبغى أن تؤخذ بنفس المعيار الذى يؤخذ به سند الرواية التاريخية أو الدينية ، وإنما بمعيار الصدق الفنى ، فلم يسأل أحد إن كان أبو الفتح السكندرى راوى مقامات بديع الزمان شخصية حقيقية أم لا . ولم يعد السؤال يطرح الآن بالقطع فيما يتصل بأبطال الفن الروائى والقصصى ، ولعل الذى أثار قدرًا من الشكوك حول بعض روايات ابن دريد وبعض رواته أنه كان أولاً فى فن لم تتعوده الأذواق بعد فاحتمل بعض تبعات الريادة .

استقى ابن دريد إذن جزءًا من معارفه من مصادر شيوخ مرموقين ، يصلون بعلمهم إلى شيوخ الجيل الأول ، وكانت رحلاته المتكررة إلى عُمان واتصاله بصفاء اللغة هناك قد أمده برافد هام مكنه من السيطرة على المادة اللغوية دراية ورواية وتنسيقًا وفتحًا لآفاق جديدة كما سنرى عند مناقشة عطائه اللغوى .

لكنه كذلك استقى جانبًا من قواه التى تفاعلت مع اللغة وخياله الذى استشرف

---

(٤٨) المرجع السابق ص ٣٠٧ .

لها آفاقًا جديدة ربما ساعدته على طرق باب جديد للقصص الأدبى ، وساعدت تلامذته البارزين من أمثال أبى الفرج الأصفهانى والمسعودى على التوسع فى هذا المجال ، كل فى جانبه الذى اختار سواء أكان التاريخ الأدبى فى الأغانى أو تاريخ الشعوب والأمم فى مروج الذهب .

على أن رافدًا مهما من روافد التكوين الثقافى عند ابن دريد ، لم يحظ بعناية كافية من قبل دراسيه ، وهو الرافد الفلسفى الذى شكل تيارًا عميقًا فى ذلك العصر وشكل فى بعض المراحل نمطًا ثقافيًا يتم من خلاله عادة المفاضلة أو المواجهة بين طائفتين تعتز إحداهما بالثقافة العربية الإسلامية وتعتز الثانية بالثقافة المستحدثة الوافدة وتزهو بها على الطائفة الأخرى .

وكان ابن قتيبة المعاصر لابن دريد والمتوفى سنة ٢٧٦ هـ قد عبر عن هذه الظاهرة فى عصره حين تحدث فى مقدمة «أدب الكاتب» عن التكوين الثقافى لكتاب العصر وأدبائه واعتماد كثير منهم على التشدق بألفاظ من سمات الثقافة «الحديثة» والاستعاضة بها عن مقومات الثقافة الحقيقية ، والرضا بالقشور عن اللب ، يقول ابن قتيبة [٤٩] : «فأبعد غايات كاتبنا أن يكون حسن الخط قويم الحروف وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتًا فى مدح قينة أو وصف كأس ، وأرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئًا من تقويم الكواكب وينظر فى شىء من القضاء وحد المنطق ثم يعترض على كتاب الله بالطعن وهو لا يعرف معناه ، وعلى حديث رسول الله بالتكذيب وهو لا يدرى من نقله .. طال عليه أن ينظر فى علم الكتاب ، وفى أخبار الرسول .. وفى علوم العرب ولغاتها وآدابها فنصب لذلك وعاداه ، وانحرف عنه إلى علم سلمه له ولأمثاله المسلمون وقل فيه المتناظرون ، له ترجمة تروق بلا معنى واسم يهول بلا جسم ، فإذا سمع الغمر

(٤٩) ابن قتيبة «أبو عبدالله محمد بن مسلم» أدب الكاتب - تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد - الطبعة الرابعة ص ٣ وما بعدها - المكتبة التجارية الكبرى - مصر ١٩٦٣ .

والحدث الغر قوله : الكون والفساد وسمع الكيان والأسماء المفردة والكيفية والكمية والزمان والدليل والأخبار المؤلفة راعه ما سمع ، وظن أن تحت هذه الألقاب كل فائدة وكل لطيفة فإذا طالعها لم يحل منها بطائل» .

وجزء من دلالة شهادة ابن قتيبة على العصر ، يكمن فى شيوع ظاهرة التشدق بالثقافة الواردة ، لكن جزءًا آخر يدل على تغلغل هذه الظاهرة فى كثير من الأوساط وامتدادها إلى كثير من جذور المعارف والعلوم ، وكان هناك من ينظر إلى الأمر على أنه مواجهة لابد منها وأن على العالم أن يختار إحدى الثقافتين دون الأخرى على حين كان هناك من يرى إمكان المزج بينهما نشدانًا لصالح الثقافة العربية ذاتها ، وقد تجلت النزعة الأولى فى عصر ابن دريد فى هذه المناقشة الشهيرة التى جرت سنة ٣٢٠ هـ قبل عام من وفاة ابن دريد بين أبى سعيد السيرافى النحوى ومتى بن يونس القنائى ، فى المنطق اليونانى والنحو العربى ، وقد جرت المناقشة فى بغداد واحتشد لها كثير من العلماء ، ومن أهميتها أرسل الأخشيديون من مصر رسولاً يحضرها وأرسل السامانيون من فارس رسولاً آخر ، وكان أساس المناظرة أن متى يقول : لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من الشبهة والشك من اليقين إلا بالمنطق حسبما رسمه أرسطو ، وكان أبو سعيد يرى أن هذه الأمور تعرف بالعقل الفطرى من غير حاجة إلى منطق وليس علم المنطق إلا أشكالاً ، فهب أن الأشكال صحيحة فبم يعرف جوهر الأشياء وحقيقتها ؟ أليس عن طريق العقل؟ [٥٠] .

هذه الثقافة الوافدة التى أحدثت أثرها السطحى عند البعض والعميق عند البعض الآخر ، إلى أى حد اتصل بها ابن دريد وهو القارئ النهم والذاكرة الواعية التى عاشت هذا القرن الحافل ؟

---

(٥٠) وردت المناظرة فى كتاب «المقابسات» لأبى حيان التوحيدى واستفدنا فى عرضها بتلخيص أحمد أمين فى ظهر الإسلام ج ١ ص ٢٣٠ .

إن كتيبًا صغيرًا من كتب ابن دريد يمكن أن يفتح لنا نافذة على جانب من ثقافة ابن دريد التى استفاد فيها من تراث الأوائل ، وهذا الكتاب هو كتاب «المجتنى» وقد صدرت [٥١] طبعة له فى دمشق سنة ١٩٧٩ بتحقيق السيد هاشم الندوى ، وقد بذل جهدًا مشكورًا ، لكن الكتاب مازال فى حاجة إلى مزيد من العناية ، وتقوم فكرة الكتاب على اختيار الحكم والأقوال المأثورة من كلام النبى ﷺ وكبار الصحابة وكلام الحكماء وأدعية الأعراب وما جاء من عيون الشعر المستحسن ثم باب من نوادر كلام الفلاسفة وهو الذى يهمنا فى هذه الفقرة لأنه يشى بصلة قوية بالثقافة الوافدة فى عصره .

وفى هذا الباب الذى عقده يورد عبارات مأثورة منسوبة إلى الفلاسفة من أمثال[٥٢] سقراط وذيوجانس الكلبى وأفلاطون وأرسطوطاليس وفيثاغورث وهبو فيثاغورس وهيا جرسيس الأشكوثى وغيرهم . والعبارات التى يوردها تتصل غالبًا بآداب السلوك وبالقدرة على النفاذ إلى ما وراء ظواهر الأشياء وبالربط اللفظى بين ظاهرة وأخرى ، وكل هذا يصاغ فى عبارات محكمة لا تبدو عليها ركاكة الترجمة فى مثل قول ذيوجانس الكلبى وقد رأى غلامًا جميلاً لا يحسن الكتابة : «أى بيت لو كان له ساكن؟» أو قوله وقد نظر إلى متعلم يتهاون بتعليمه : «أيها الحدث إنك إن لم تصبر على طلب التعليم ، صبرت على شقاء الجهل» أو قول سخطورس المغنى عندما قيل له : «إن ميروس (هوميروس) يكذب فى شعره» فقال : إنما يطلب من الشعراء الكلام الحسن اللذيذ فأما الصدق فيطلب من الأنبياء .

على هذا النحو تتوالى مجموعة من الأمثال والحكم المنسوبة غالبًا إلى الحضارة اليونانية والرومانية ، ولابد أن نشير إلى أن هذا الصنيع لم ينفرد به ابن دريد بين

(٥١) «المجتبى» لإمام اللغة والأدب أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى البصرى - دار الفكر - بدمشق ١٩٧٩ .

(٥٢) انظر المرجع السابق من ٨٤ إلى ٩٢ .

الأقدمين وأن كتابًا من أمثال الجاحظ وابن قتيبة وأبى حيان التوحيدى وغيرهم كانوا يوردون حكمًا مختارة للفلاسفة ، وهى النصوص التى يمكن أن تكون فى غالب الظن المصدر الذى اعتمد عليه متفتحو اللغويين والأدباء فى ذلك العصر لاستشراف جانب من آفاق الثقافة الأجنبية وامتصاص بعض رحيقها والإفادة منها فى تطوير العربية وتوسيع آفاقها .

والتساؤل الذى يطرح حول المصدر الذى يمكن أن يكون قد استسقى منه ابن دريد هذه النصوص ، يمكن أن يقودنا إلى مجموعة من الافتراضات ترجح جميعها سعة اطلاعه وتعدد مصادره ، لقد قارنا بين صياغة هذه النصوص وبين ما أتيح لنا الاطلاع عليه من كتب النصوص الفلسفية ، وأشملها - كما يرى الدكتور عبد الرحمن بدوى - هو كتاب «مختار الحكم ومحاسن الكلم» لأبى الوفاء المبشر بن فاتك (٥٣) . وهذا الكتاب الذى يقترب من أربعمائة صفحة يخصص كله لنصوص من حكم أرميس وأسقيلوس وأبقراط وذيوجانس الكلبى وأرسطوطاليس وسقراط وفيثاغورث.. إلخ . ومؤلف الكتاب عاش فى القرن الخامس الهجرى فى مصر فى حكم الدولة الفاطمية ، ومن ثم فلا يمكن أن يكون هو فى ذاته مصدرا لابن دريد ، لكن الكتاب مع ذلك يبقى كما أشرنا أوفى كتاب فى العربية استقصى أقوال الفلاسفة والحكماء ، ومادته تزيد عشرات المرات عما ورد فى نظائره (٥٤) . والكتاب نفسه يعتمد على مصادر لمؤلفين معاصرين لابن دريد مثل اعتماده على كتاب نوادر الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء «لحنين بن إسحق المتوفى عام ٢٦٤ هـ» وهو مخطوط فى الإسكوريال (٥٥) .

ولا شك أن مؤلف حنين هذا كان فى متناول يد من يبحث عن هذا النوع من

(٥٣) مختار الحكم ومحاسن الكلم لأبى الوفاء المبشر بن فاتك - حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور عبدالرحمن بدوى - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٠ (٥٤) .

(٥٤) المرجع السابق ص ٣م .

(٥٥) المرجع السابق ص ٢م .

المؤلفات فى العراق أو فارس فى عهد ابن دريد ، ومع ذلك فإن المقارنة بين النصوص التى أوردها ابن دريد ونصوص مختار الحكم ، يثبت كثيرًا من المفارقة والتفرد لا على مستوى الصياغة وحدها التى كان يتميز بها صائغو الحكمة من الأدباء العرب ولكن أيضًا على مستوى مصادر المعلومات حيث يورد ابن دريد كثيرًا من الحكم لم ترد فى المختار ، ويتطابق معه فى حكم [٥٦] أخرى ويلتقيان أحيانًا فى الموضوع مع اختلاف التفصيل والصياغة [٥٧] .

وتدل هذه الاختلافات المبدئية التى قد تحتاج إلى مزيد من الدرس والتحليل على احتمال تعدد مصادر ابن دريد الفلسفية ، ومن ثم تعدد قراءاته أو تطرح الاحتمال الذى قد لا يوجد دليل يدحضه وهو احتمال معرفة ابن دريد المباشرة بإحدى لغات الثقافة الأجنبية فى عصره ، وهو احتمال يظل واردًا بالنسبة له ولبعض الرواد فى عصره من أمثال الخليل بن أحمد والجاحظ وأبى حيان التوحيدى والمتنبى ومن بعدهم المعرى على سبيل المثال .

إن تعدد مصادر ابن دريد إذن ما بين القنوات التى تؤدى إلى منابع الأصمعى وأبى عبيدة ومعمر بن المثنى ومن خلفهم بحر العربية الواسع الذى يمتاح منه كل على قدر ما يستطيع ، من ناحية ، ومن ناحية ثانية إلى منابع سقراط وأفلاطون وذيوجانس الكلبى ومن خلفهم أيضًا بحر آخر يمثل ثقافة أخرى وفكرًا آخر ، هذا التعدد للمصادر الذى استأنسنا فى معرفته حينًا بالرجال الذين جلس إليهم طالبًا ، وحينًا بالمؤلفات التى صدرت عنه كاتبًا ، ليدل ذلك على مدى صلة الذاكرة القوية ، والعقل الشره والعمر الممتد ، بالعصر الغنى والإمكانات المتاحة ، والجهد الدؤوب.

---

(٥٦) انظر مثلاً حكمة المال المختبئ فى الصدر ، والجميل الذى تعلم ، وسر تسمية ذيوجانس بالكلبى فى حواره مع الإسكندر فى المجتبى ص ٨٤ ، ٨٥ وفى المختار ص ٧٥، ٨١، ٨٢.

(٥٧) انظر مثلاً قصة الجاهل وخاتم الذهب فى المجتنبى ص ٨٥ وفى المختار ص ٧٨.

وإذا كنا من خلال هذه التساؤلات قد وقفنا أمام جانب من صلة الرجل بالعصر من حيث الاستيعاب والتمثل فإننا بحاجة إلى أن نقف وقفة مماثلة أمام صلة الرجل بالعصر من حيث العطاء وهى صلة يمكن أن تتشعب إلى عدة فروع ، فهناك عطاء يتمثل فى التلاميذ الذين تخرجوا عليه ، وآخر فى المؤلفات التى تركها ، وهذا كله يمكن أن يعد عطاء علميًا فى مقابلة لون آخر من العطاء هو العطاء الفنى الذى قد يلبس ثوب النثر الأدبى أو ثوب الشعر ، وسنحاول التلبث قليلاً أمام كل جانب من هذه الجوانب.

التلاميذ وأستاذ الجيل

التلاميذ وأستاذ الجيل

إذا كان هناك عالم يصلح أن يطلق عليه لقب «أستاذ الجيل» فى الربع الأخير من القرن الثالث الهجرى والربع الأول من القرن الرابع ، فذلك العالم هو ابن دريد . ذلك أن جيلاً فى حضارة متحركة وتخصصات متفرعة ومشارب متفاوتة بعضها ينزع إلى المنطق والفلسفة وبعضها يجابهها ، بعضها يأنس إلى الرواية ويتوسع فى سبلها ، وآخر يعبر الحاجز بين دقة السند وخصوبة الخيال ، بعضها يجنح إلى القراءة المستوعبة والآخر يضم إليها خلاصة التجربة ، بعضها يميل إلى النقد والموازنة والتحليل وإعمال الدراية ، وآخر يميل إلى الأنس بتجارب السابقين والميل إلى الرواية ، بعضها طامح إلى الشعر وآخر جانح إلى النثر ، ثم أخيرًا بعضها محافظ متورع يقترب من الفقهاء والآخر متجاوز متساهل يميل إلى منزع الأدباء والشعراء .. هذه المشارب كلها فى ذلك الجيل تلتقى نماذج منها فى مدرسة ابن دريد ، وتأخذ عنه وتنشر علمه فى الآفاق ، وتطور به مناحى الدرس والتأليف .

فمن العلماء الذين تتلمذوا عليه ، أبو سعيد السيرافى المتوفى سنة ٣٨٥ هـ شارح أبيات سيبويه ، وواحد من أبرز وجوه المدافعين عن المنهج القديم فى وجه المنطق، وقد رأينا كيف ناظر متى بن يونس المنطقى فى بغداد مناظرة احتشدت لها الوفود من أرجاء العالم الإسلامى .

لكننا فى الوقت نفسه نجد من تلاميذ ابن دريد نحويًا آخر مثل على بن عيسى الرمانى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ يمزج النحو بالمنطق مزجًا يجعل معاصره الكبير أبا على

الفارسى يقول : «إن كان النحو ما يقوله الرمانى فليس معنا منه شىء ، وإن كان ما نقوله فليس معه منه شىء» (٥٨) .

وتجد بين تلامذة ابن دريد واحدًا كأبى حمدان أبى عبدالله الحسينى بن أحمد ابن خالويه (٥٩) المتوفى سنة ٣٧٠ هـ اشتهر بسعة الرواية والبحث عن الفروق والدقائق حتى أنه ليذكر فى «كتاب الأسد» خمسمائة اسم فى اللغة لمسمى واحد هو الأسد ، وحتى أنه ليكون الفائز من بين جلساء سيف الدولة بجائزة شوارد اللغة حين يطرح السؤال عن اسم ممدود وجمعه مقصور ، فيجيب ، حين يعجز الآخرون ، بمثالين هما صحراء وعذراء ، ويعجبه من سيف الدولة أنه يستطيع التفريق بين «قعد» و«جلس» .

وتشتهر عنه هذه النزعة فى معرفة ما خفى مما قاله السابقون ، ويظل بالانضمام إلى زميليه السابقين فى مدرسة ابن دريد ، السيرافى والرمانى ، من أبرز حراس نحو اللغة كل على طريقته فى عصر غنى الاتجاهات متعدد المذاهب .

وربما كان إعمال الرأى الفردى واللجوء إلى الذوق والتحليل ، والأخذ فى الاعتبار بآراء المتعاملين مع اللغة من المعاصرين ، ربما كان متمثلاً فى جيل تلاميذ ابن دريد عند الناقد المحلل أبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى المتوفى سنة ٣٧٠ هـ صاحب الكتب الشهيرة فى النقد الأدبى والتى تقف «الموازنة» على رأسها ، وهو يقدم مذاقًا مختلفًا فى التعامل مع المادة الأدبية واللغوية حين يقول لقارئه فى كتاب «الموازنة بين الطائيين ، أبى تمام والبحترى» وأنا أبتدئ بما سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الأخرى عند تخاصمهم فى تفضيل أحدهما على الآخر ، وما ينعاه بعض على بعض ، لتتأمل ذلك وتزداد بصيرة وقوة فى حكمك إن شئت أن

(٥٨) انظر : ياقوت الحموى ، معجم الأدباء ج ١٤ ص ٧٣ وما بعدها .

(٥٩) المرجع السابق ج ٩ ص ٢٠ وما بعدها .

تحكم واعتقادك فيما لعلك تعتقد احتجاج الخصمين به» [٦٠] وهو بهذا يفتح زاوية جديدة فى نمو مفهوم الجمال اللغوى والصحة اللغوية الذى تنبعث أضواؤه عند أصحاب «الرواية» من ألسنة الأجيال الماضية وحدها ، على حين تتيح لدى أصحاب الدراية والذوق والخبرة مجالاً لأبناء الأجيال المعاصرة للإسهام فى النقاش حول مفهوم الجمال اللغوى والأدبى .

وإذا كانت النزعة القصصية فى التأليف قد لاقت رواجًا فى ذلك العصر وخففت عن الناس جانبًا من جفاف العلم وقسوته فإنها امتدت من خلال الرواج إلى جوانب كثيرة من فروع المعرفة ، فعلم التاريخ أضيفت إليه عناصر التجربة والمشاهدة والرحلة وحكاية عجائب الأجناس المعاصرة بدلاً من الاقتصار من قبل على روايات السند المطولة وأخبار العالم الموغل فى القدم ، وجانب كبير من هذا التطور يعود إلى واحد من تلاميذ ابن دريد المقربين هو أبو الحسن على بن الحسن المسعودى ، الذى كان كتابه «مروج الذهب» من بعض الزوايا فاتحة باب للأجيال المعاصرة لكى تسهم بدورها فى صنع«النموذج التاريخى» كما كانت كتابات زميله الناقد الآمدى دعوة للأجيال المعاصرة لكى تسهم فى صنع «النموذج الجمالى» . كانت «التجربة المروية» جانبًا هامًّا أثاره المسعودى فى عصره ، حين توجه إلى قارئه بالاعتذار فى فاتحة كتابه : «ونعتذر من تقصير إن كان ونتنصل من إغفال أو عرض لما قد شاب خواطرنا ، وغمر قلوبنا من تقاذف الأسفار ، وقطع القفار ، تارة على متن البحر وتارة على ظهر البر مستعلمين بدائع الأمم بالمشاهدة عارفين خواص الأقاليم بالمعاينة ، فتارة بأقصى خراسان، وتارة بأواسط أرمينيا وأذربيجان ، وطورًا بالعراق ، وطورًا بالشام» [٦١] .

(٦٠) الموازنة ص ٣ وانظر فى الحديث عن قيمة الذوق فى فهم الآمدى ، د. محمد مندور ، النقد المنهجى عند العرب ص ٩٩ ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، د.ت . وانظر كذلك د. محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد الأدبى والبلاغة حتى القرن الرابع الهجرى ص ٢٣٢ وما بعدها - منشأة دار المعارف بالإسكندرية د.ت .

(٦١) نقلاً عن ظهر الإسلام لأحمد أمين ج ٢ ص ٢٠٦ .

ولأن التجربة والقصص اختلطت بالحقائق التاريخية ، فقد ظل عمل المسعودى الجغرافى المؤرخ ، تلميذ ابن دريد اللغوى الأديب ، عملاً متميزًا يستفيد من سعة الأفق وتعدد مناحى المعرفة التى كان لابن دريد جانب من الفضل فى غرسها فى تلاميذه .

ولا تحتاج النزعة القصصية عند تلميذه الآخر أبى الفرج الأصفهانى المتوفى سنة ٣٥٦ هـ إلى تأكيد أو إشارة ، فكتابه الأغانى من أشهر الكتب وأحبها إلى نفوس عشاق الأدب على اختلاف مستوياتهم ، يلجأ إليه أهل المتعة والطرب ، ولا يستغنى عنه أهل التعليم والطلب، ولا يستطيع تجاهله المحققون والمدققون ، وقد ظل الناس يحملون نسخة منه فى أسفارهم عندما يحتاجون إلى كتاب يغنى عن مكتبة ، ويتنافسون على مسوداته ومبيضاته فى أسواق الوراقين[٦٢] زمنًا طويلاً ، ولا يزال من مشاغل الناس إلى يومنا هذا.

أما التلميذ الآخر أبو على القالى المتوفى سنة ٣٥٦ هـ فقد حمل النزعة القصصية إلى بلاد الأندلس حين أملى كتابه الأمالى ، ونشر معه روح علماء الشرق وسعة آفاقهم وفى مقدمتهم أستاذه ابن دريد ، الذى أفرط فى الرواية عنه فى الكتاب، حتى لم تكد تخلو صفحة واحدة من الكتاب من عبارة «حدثنا أبو بكر رحمه الله» أو «أنشدنا أبو بكر رحمه الله» . وحتى كان الكتاب يعد من نهاية المطاف علم ابن دريد مرويًا على يد تلميذه أبى على القالى .

وإذا كانت صورة ابن دريد قد انطبعت فى نفوس تلاميذه من علماء اللغة والنحو والتاريخ والأدب ، فإن كبار أدباء العصر كذلك مروا بحلقة ابن دريد ومجلسه ، يقول بلاشير عند حديثه عن المتنبى : «و إذا ما علمنا بميل أبى الطيب الشديد إلى التعلم ، أمكن الافتراض أن الشاعر الشاب أفاد من مكثه فى بغداد بلقاء كثيرين من أكابر

(٦٢) انظر كثيرًا من الأخبار فى معجم الأدباء لياقوت ج ١٣ ص ٩٤ وما بعدها .

العلماء فيها ، ولعله حضر حلقات العالم اللغوى ابن دريد» [٦٣] وتأثر المتنبى دون شك قد يختلف عن تأثر تلاميذ مقربين أطالوا الصحبة كالقالى والمسعودى وأبى الفرج ، لكن حضوره حلقات ابن دريد أو حتى ايراد أخبار عن احتمال حضوره يؤكد مدى هيمنة وشهرة هذه الحلقات فى العراق فى القرن الرابع الهجرى ، حتى ليتصور أنه لا يمكن أن يمر طالب معرفة بالعراق دون اللقاء بأستاذ الجيل فى هذه الفترة .

ولا يقف التنوع والتعدد فى تلاميذ ابن دريد عند نزعاتهم الفكرية من محدثين وسلفيين ، أصحاب رواية أو دراية ، ذوى نزعات علمية أو فنية ، وإنما يمتد إلى نزعاتهم السلوكية ، فمن تلامذته من كان يميل إلى الورع ويتبرك الناس بكتبه كما كان الشأن مع أبى القاسم الزجاجى المتوفى سنة ٣٣٧ هـ إمام النحو الشهير وصاحب كتاب الجمل الكبرى ، فقد كان يقال [٦٤] عن كتابه «الجمل» أنه صنفه بمكة حرسها الله ، وكان إذا فرغ من باب طاف أسبوعا ودعا الله أن يغفر له وينفع به قارئه» وشاع بين الناس أن هذا الكتاب من الكتب المباركة لم يشتغل به أحد إلا وانتفع به .

وفى نفس الوقت نجد من بين التلاميذ أبا عبدالله المرزبانى المتوفى سنة ٧٣٨ هـ الذى كان [٦٥] راوية صادق اللهجة واسع المعرفة بالروايات كثير السماع وكان ثقة صدوقًا، لكنه كان كما تقول إحدى الروايات «يضع المحبرة وقنينة النبيذ فلا يزال يكتب ويشرب» وكان إلى جانب ذلك كريمًا حفيًا بزواره من أهل العلم ، وكان فى بيته خمسون ما بين لحاف ودراج معدة لأهل العلم الذى يبيتون عنده . وقد نسب السخاء والشراب كلاهما لابن دريد ودارت حول شرابه أحاديث للقدماء بعضهم يروى طرفها كتصدقه على سائل ببعض النبيذ وقوله لغلامه عندما راجعه «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» وتلقيه فى اليوم نفسه عشرة أمثال ما تصدق به من النبيذ ، وبعضهم يشنع عليه

(63) REGIS BLACHERE op cit 52

(٦٤) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق د. إحسان عباس ج ٢ ص ١٣٦ .

(٦٥) ياقوت الحموى ، معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٦٨.

بالشراب ويحاول أن يهز الثقة فى روايته من أجل ذلك ، يقول الأزهرى صاحب التهذيب: «وألفيته أنا على كبر سنه سكران لا يكاد يستمر لسانه على الكلام من سكره» وهى حدة فى اللهجة يمكن أن يفسرها تنافس العلماء المنتمين إلى حقل واحد.

ولقد دارت روايات كذلك عن وجود أعواد معلقة فى مجلس ابن دريد وليس بمستبعد أن يكون شاعر مثله ممن يميلون إلى الغناء ويطربون ، وها نحن نجد تلميذه أبا الفرج الأصفهانى يكتب أكبر كتاب عن الأغانى فى تاريخ الأدب العربى ، ونجد كذلك تلميذه أبا عبدالله المرزبانى ينسب إليه كتاب «أحوال الغناء وأخبار المغنين» .

الخروج إذن بمجال العلم والمعرفة من الآفاق المحددة إلى الآفاق الواسعة ، ومن الدرس والاستظهار إلى إضافة ملامح الشخصية الدارسة تجربة أو خبرة أو تأويلاً ، وإفادة العلوم والفنون فيما بينها ، فلسفة تفيد لغة ، ونزعة قصصية تطور تدوينًا تاريخيًّا ، ومعرفة بالموسيقى والغناء تقرب بين الأدب وعشاقه وحاجة كل من العالم والأديب إلى بعضهما البعض .

هذه الملامح العامة هى التى جمعت بين النحوى والمنطقى والمؤرخ والناقد والراوية والقصاص من تلاميذ ابن دريد ، وهى ملامح فى الحقيقة تكونت فى نفسه هو أولاً وتمثلها وزاد عليها وطورها تلاميذه أعلام القرن الثالث والرابع ، أبو سعيد السيرافى وأبو على القالى وأبو الفرج الأصفهانى وأبو الحسن على بن عيسى الرمانى النحوى وابن خالويه وعبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى وأبو عبدالله المرزبانى والحسن بن بشر الأمدى وعلى بن الحسن المسعودى وأبو الطيب المتنبى .. وغيرهم كثيرون . وهؤلاء هم دون شك «أعلام الجيل» فى عصر الحضارة الناهضة ، وابن دريد يستحق بانتمائهم إليه وتأثرهم به أن يكون «أستاذ الجيل» .

المؤلفات
والبحث عن صوت متميز

المؤلفات والبحث عن صوت متميز

إذا كنا قد رصدنا جانبًا من علاقة الرجل والعصر فى زاوية العطاء من خلال انطباع صورة ابن دريد فى نفوس تلاميذه وأفكارهم وعطائهم ، وهو ما يمكن أن يسمى بالعطاء غير المباشر ، فإن جانب العطاء المباشر يمكن أن يتمثل فى حلقات الدرس والمؤلفات ، وعطاء ابن دريد وافر فى كليهما ، ومن الطبيعى أن تكون المؤلفات أدنى منالاً وأقدر على تحقيق صورة للأمرين معًا .

وقد تنوعت مؤلفات ابن دريد وتعددت ، فقد ترك آثارًا كثيرة سلم بعضها ووصل إلينا مخطوطًا أو محققًا ، ووردت إشارات إلى البعض الآخر فى كتب التراجم والفهارس، واختفى جانب مع الزمن دون شك ، وقد اهتم الأستاذ عبد السلام هارون محقق كتاب الاشتقاق والدكتور رمزى منير بعلبكى محقق الجمهرة بإعداد قائمة لمؤلفات ابن دريد سنعتمد عليها هنا مضيفين ما وقع تحت أيدينا زيادة عليها :

١ - الاشتقاق : طبع للمرة الأولى فى جوتنجن بألمانيا ١٩٥٤ م بتحقيق فيرديناند وستينفيلد مع مقدمة بالألمانية فى ست صفحات ، وفهارس لأسماء الرجال واللغات ، وصدرت له طبعة أخرى محققة تحقيقًا جيدًا ومشروحة على يد الأستاذ عبد السلام هارون وقد صدرت عن دار المسيرة ببيروت طبعة ثانية ١٩٧٩ م .

٢ - ديوان ابن دريد : طبع مرة أولى بتحقيق بدر الدين العلوى الأستاذ بجامعة «على قره» بالهند ، وطبعته له لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٥٦ م ، وطبع مرة ثانية بتحقيق الأستاذ عمر بن سالم ، وقد صدر عن الدار التونسية للنشر سنة ١٩٧٠ م .

٣ - معانى الشعر ، طبع فى دمشق ١٣٤٠ هـ .

٤ - المجتنى : «مختارات من الأخبار والأشعار والمعانى والحكم» وقد طبع أولاً فى حيدر أباد سنة ١٣٤٢ هـ بتحقيق كرنكو .

وطبع مرة أخرى فى دمشق سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م بتحقيق السيد هاشم الندوى ، وصدر عن دار الفكر بدمشق - وهذه الطبعة هى التى رجعنا إليها .

٥ - المقصورة : ولها مخطوطات وطبعات كثيرة أشهرها طبعة أحمد عبد الغفور عطا على شرح ابن هشام لها (بيروت ١٩٨٠م) والطبعة التى رجعنا إليها هى شرح مقصورة ابن دريد للأستاذ عبد الوصيف محمد من علماء الأزهر طبعتها له مكتبة الحلبى بمصر سنة ١٩٣٩م / ١٣٥٨ هـ .

٦ - كتاب الملاحن : وقد صححه وعلق عليه أبو إسحاق إبراهيم أطفيش الجزائرى ، وصدر عن دار الكتب العلمية ، بيروت سنة ١٩٨٧ م . وكان قد نشره من قبل رايت فى ليدن ١٨٥٩ وثوربكة فى جونا ١٨٨٢ .

٧ - الجمهرة ك طبعها وحققها الدكتور رمزى منير بعلبكى فى بيروت ، وصدرت عن دار العلم للملايين (د.ت) وكانت قد صدرت طبعة فى حيدر أباد بالهند سنة ١٣٤٤هـ وقام على تصحيحها المستشرق الالمانى فريتس كرنكو والشيخ محمد السورتى .

٨ - رواد العرب : طبع فى ليدن سنة ١٨٥٩م فى مجموعة «جُرزة الحاطب وتحفة الطالب» باسم «السحاب والغيث وأخبار الرواد وما حمدوا» ويوجد مخطوط بدار الكتب المصرية بعنوان «كتاب المطر والسحاب» ، حققه عز الدين التنوخى وطبع فى دمشق ١٩٦٣ م .

٩ - الأمالى : وقد لخصه جلال الدين السيوطى وسماه «قطف الوريد» .

١٠ – أدب الكاتب : أشار إليه ابن النديم فى الفهرست وقال إنه على مثال كتاب ابن قتيبة وقال إنه لم يجرده من المسودة فلم يخرج منه بشىء يعول عليه .

١١ – الأنباز : «أى الألقاب» وقد ورد ذكره فى الجمهرة .

١٢ – الأنواء وقد ذكره ابن النديم .

١٣ – البنين والبنات ولعله كتاب لغوى فى الكنية .

١٤ – التوسط : كتاب فى التعليق على رد المفضل بن سليمة على الخليل بن أحمد .

١٥ – الخيل الصغير .

١٦ – الخيل الكبير .

١٧ – السرج واللجام طبع فى المجموعة التى تمت الإشارة إليها فى ليدن .

١٨ – كتاب غريب القرآن .. لم يتمه .

١٩ – كتاب فعلت وأفعلت .

٢٠ – كتاب اللغات فى القرآن .

٢١ – كتاب المتناهى فى اللغة .

٢٢ – كتاب المقصور والممدود .

٢٣ – كتاب الوشاح فى الشعراء الذين غلبت عليهم ألقابهم .

٢٤ – كتاب تقويم اللسان : ذكره السيوطى فى بغية الوعاة وأشار إلى أنه لم يبيض .

٢٥ – تعليق من أمالى ابن دريد : تحقيق السيد السنوسى ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب – الكويت سنة ١٩٨٤م .

هذه قائمة لمؤلفات ابن دريد ربما تكون فى حاجة إلى مزيد من التحرى والتفصيل للكتب وطبعاتها ، والمخطوطات وأماكن وجودها والمنسوبات إليه ومدى صحتها ، وهو جهد ربما يساعد بدوره على كشف جوانب أخرى من حياة هذا العالم الجليل .

ولا نريد بالطبع - فى هذه الدراسة الموجزة - أن نقف بالتفصيل أمام هذه المؤلفات ، فذلك شأن فروع كثيرة متخصصة فى الدراسات الأدبية واللغوية والإنسانية بعامة ، برز فيها ابن دريد وأسهم فى تحديد مسارها ولكننا فقط نود أن نستشف من بعضها ، على الأقل ، لون العطاء المتميز الذى شارك به ابن دريد ، وجعل صوته يصل إلينا واضحًا من بين مئات الأصوات لعلماء أجلاء فى هذا القرن المزدحم بالحضارة .

ولابد أن يستشعر المرء نوع الصعوبة التى كانت تواجه طالب التميز فى عصر كهذا ، وفى فروع كفروع الدراسات اللغوية والأدبية على نحو خاص ، ذلك أن مادة البحث فى هذه الفروع وهى اللغة العربية كانت تشكل فى وقت واحد مظهرين متقابلين ، فهى تمثل من ناحية هدفًا غاليا مقدسًا ، يمثل الخاصة الرئيسية للجماعة التى تقود الحضارة فى ذلك العصر ، وتمثل كذلك اللغة المقدسة لدين الأمة ، وفى سبيل الحفاظ على هذا الهدف انطلق آلاف الدارسين والرواة والحافظين والشارحين والمتأولين إلى البوادى تارة وإلى مجالس الشيوخ وبطون الكتب تارة أخرى و «اهتموا من خلال ذلك بملاحظة لغتهم الخاصة وأتقنوها كما لم يحدث لشعب غير الشعب العربى» . كما يقول فرديناند وتسنفيلد .[٦٦] .

أما المظهر المقابل فهو يتمثل فى أن هذا الهدف الثمين يبدو قريب المنال ، فاللغة يتكلمها الناس ، وهى على ألسنتهم وبين آذانهم ليل نهار ، وإجادتها مطلب ميسور المنال يتحقق للكثيرين من حفظة القرآن وعشاق الشعر ومعلمى الصبيان ، بل إن

(٦٦) انظر المقدمة الألمانية لتحقيق كتاب الاشتقاق جوتنجن ١٨٥٤م .

البعض كان يتصور أنه يستطيع فى أيام معدودات أن يتعلم من الأسس الضرورية ما يساعده على تقويم لسانه .

وقد جاء رجل إلى ابن خالويه - تلميذ ابن دريد - يسأله : «أريد أن أتعلم من العربية ما أقيم به لسانى» فقال له ابن خالويه : «أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو فما تعلمت ما أقيم به لسانى»(٦٧) .

وهذا الحوار الموجز يمثل فى الواقع أزمة العصر ، فكثيرون يظنون أن علم العربية سهل المنال ، وكثيرون كذلك يظنون بعد الإلمام بأوليات القواعد أنهم أصبحوا علماء بها ، وهنا تأتى صعوبة البحث عن «تميز الصوت» بل ولعل البحث عن هذا التميز هو الذى تشعبت من أجله مدارس اللغة والنحو وقتها إلى بصرية وكوفية وبغدادية ، واختلفت الآراء فى الشىء الواحد والظاهرة الواحدة تعليلاً أو تحليلاً من مجلس إلى مجلس ، ولا شك أن هذه النزعة قد أفادت الثقافة والحضارة وأثرتها ، لكن المبالغة فيها ألحقت بها كثيرا من الأضرار وخاصة فى العصور اللاحقة .

وكثير من مؤلفات ابن ابن دريد تبدو فيها اللمحة التميزية التى تشق طريقًا جديدًا من طرق البحث كان من الصعب على الأدعياء وعلى أنصاف العلماء وعامتهم أن يهتدوا إليه ، رغم ظنهم بأنهم يلمون بالقدر الكافى من اللغة وعلومها ، وسنكتفى بالإشارة إلى ثلاثة من مؤلفات ابن دريد تتضح فيها هذه النزعة المتميزة .

وأول هذه الثلاثة هو معجمه اللغوى الشهير «الجمهرة» الذى اختط طريقًا جديدًا للمعاجم العربية ، ونقلها من مجال المعرفة بالسمع وهو مجال مناسب لعصر ما قبل التدوين والكتابة ، إلى مجال المعرفة بالعين وهو الأكثر مناسبة لعصر الكتب والدفاتر ، الذى امتد إلى عصر المطابع وما يليه ، ذلك أن المعجم الشهير الذى سبق ابن دريد وهو

(٦٧) ياقوت الحموى ، معجم الأدباء ج ٩ ص ٢٠.

معجم العين للخليل بن أحمد كان يقوم على أساس الترتيب الصوتى المخرجى بمعنى أن ترتيب الأصوات عنده كان يسير على الطريقة التى جمعها بعض الناظمين فى قوله :(٦٨) .

العين والحاء ثم الهاء والخاء ... والغين والقاف ثم الكاف أكفاء
والجيم والشين ثم الضاد يتبعها ... صاد وسين وزاى بعدها طاء
والدال والتاء ثم الظاء متصل ... بالظاء ذال وثاء بعدها راء
واللام والنون ثم الفاء والباء ... والميم والواو والمهموز والياء

أى أن الباحث فى معجمه عن معنى كلمة من الكلمات كان عليه أولاً أن يجردها من حروف الزيادة ثم ينظر فى أصواتها ليرى أيها أعمق مخرجًا فيبحث عنه ، فإذا اهتدى إلى المخرج العميق فعليه أن يهتم بتصنيف آخر كان يعتمد عليه الخليل وهو تصنيف على أساسه قسمت الكلمات إلى فصول مثل الثنائى والثلاثى الصحيح والثلاثى المعتل واللفيف والرباعى والخماسى وكل تلك عوامل كان من شأنها أن تشترط فى الباحث عن المعنى اللغوى للكلمة أن يكون عالمًا أولاً بمخارج الحروف والتقسيمات الصرفية المتعددة ويكاد ذلك يحصر المستفيدين من المعجم فى دائرة العلماء لا المتعلمين .

ومن هنا جاءت نظرة ابن دريد فى التقاط حاجة العصر إلى توصيل الفائدة اللغوية إلى قطاع أكبر من الناس ، وكانت ملاحظته التى ساقها فى مقدمة معجمه «الجمهرة» حول معجم سلفه الكبير الخليل أنه قيم صعب الفائدة ، يقول : «وقد ألف أبو عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدى كتاب العين فأتعب من تصدى لغايته ، وعنى من سما إلى نهايته ، ولكنه رحمه الله ، ألف كتابه مشاكلاً لثقوب فهمه ، وذكاء فطنته وحدة أذهان أهل دهره ، وأملينا الكتاب والنقص فى الناس فاش .. وأجريناه على

(٦٨) انظر حول معجم العين وطريقته ، البحث اللغوى عند العرب د. أحمد مختار ص ١٧٨ وما بعدها .

تأليف الحروف المعجمة إذ كانت بالقلوب أعلق وفى الأسماع أنفذ وكان علم العامة بها كعلم الخاصة»[٦٩] .

هذه اللقطة الذكية من ابن دريد هى التى جعلت معاجم العلماء فى خدمة المتعلمين ، ولا شك أن ذلك الحدث كان له صدى كبير فى عصره ، فهو يمثل خطوة - برغم ملاحظات الدارسين عليها - متميزة بكل المقاييس ، ولعل هذا يفسر سر تركيز خصوم ابن دريد على كتاب الجمهرة فى هجومهم عليه ، فنفطويه يقلل من أهمية الانتقال الذى حدث فى كتاب الجمهرة ويقول :

ويـدعـى مـن حـمـقـه	وضـع كـتـاب الجمـهـر
وهـو كـتـاب الـعين إلا	أنـه قـد غيره

والأزهرى صاحب التهذيب ، وهو من أشد من هاجموا ابن دريد يقول[٧٠] : «وقد تصفحت كتابه الذى أعاره اسم الجمهرة ، فلم أره لا على معرفة ثاقبة ولا قريحة جيدة، وعثرت فى هذا الكتاب على حروف كثيرة أنكرتها ولم أعرف مخارجها» .

وقد قال السيوطى تعقيبًا على هذه التهم فى المزهر[٧١] : «معاذ الله هو برىء مما رمى به ، ومن طالع الجمهرة رأى تحريه فى الرواية» .

الجمهرة إذن نموذج «لتميز الصوت» فى مجال الدراسات المعجمية ولاهتداء ابن دريد - رغم أنه لم يكن صاحب الفكرة الأولى فى عمل المعاجم - إلى فكرة تضمن لهذه المعاجم شيوعها وكثرة الفائدة منها وتخط لها طريقًا جديدًا ومنهجًا مبتكرًا .

من بين كتب ابن دريد كتاب صغير الحجم أقرب إلى حجم الرسائل ، وهو كتاب

(٦٩) مقدمة الجمهرة نقلاً عن البحث اللغوى عند العرب ص ٢٠٤ .

(٧٠) ابو منصور الأزهرى ، مقدمة التهذيب ، تحقيق أحمد العطار ص ٧٦ .

(٧١) المزهر ج ١ ص ٢٦٩ نقلا عن عبد السلام هارون فى مقدمة الاشتقاق ، وانظر مناقشاته المفيدة للتهم الموجهة لابن دريد .

«الملاحن» لكنه ذو دلالة فيما نعرض له من قضية الصوت المتميز ، والكتاب يجيب بطريقة غير مباشرة ولا معلنة عن أسئلة دقيقة مثل : من يزعم أنه يفهم اللغة فهمًا كاملاً؟ وهل هناك مستوى واحد من الدلالة يمكن أن يستوعبه كل أفراد الجماعة عند سماعهم عبارة ما ؟ وهل يكفى الإنسان أن يكون عربيًا خالصًا حتى يدرك كل مستويات التخاطب ؟ وهل يتم الفهم والإفهام من خلال إدراك المعنى القريب المباشر للمفردة والجملة ، أم أن هناك مستويات رمزية أخرى لا تدرك إلا بمجهود خاص وفى أذهان جماعات خاصة ؟

لقد سمى ابن دريد كتابه «الملاحن» وكان يعنى «الفطن» استنادًا إلى قول الرسول ﷺ «لعل بعضكم ألحن بحجته من بعض»[٧٢] واللحن عند العرب الفظنة ، وفى مقدمة الكتاب يورد ابن دريد قصة يدور فيها الحوار بين عرب خلص ، وتستخدم فيها اللغة العربية على مستوى خاص فيستعصى فهم مغزاها الدقيق على سامعها وحتى على حاملها ومبلغها ، لكنها عندما تعاد تلاوتها على صاحب «فطنة» خاصة تحل شفرتها وتؤدى غايتها فى التوصيل الخاص إلى طائفة خاصة ، والقصة تتصل بالعنبرى الذى كان أسيرًا فى بنى بكر بن وائل ، وسألهم أن يعدوا له رسولاً لكى يبلغه رسالة يذهب بها إلى قومه ، فخاف الأسرون أن يُبلغهم شيئًا يضر بهم فاشترطوا أن يبلغ رسالته فى وجودهم ، فوافق وجىء بعبد أسود فقال له : أتعقل ؟ قال : نعم إنى لعاقل ، وأشار بيده إلى الليل فقال : ما هذا ؟ قال : الليل ، ثم ملأ كفيه من الرمل فقال : كم هذا ؟ قال: لا أدرى وإنه لكثير ، قال : أيهما أكثر النجوم أم التراب ؟ قال : كل كثير ، قال: أبلغ قومى التحية ، وقل لهم ليكرموا أسير بكر فقومه لى مكرمون ، وقل لهم : إن العرفج «شجر بالبادية» قد أدبى «خرج منه الدبى وهو صغار الجراد» وقد شكت النساء ، وأمرهم

(٧٢) كتاب الملاحن للإمام أبى بكر محمد بن الحسن الأزدى ، صححه وعلق عليه أبو إسحاق إبراهيم إطفيش الجزائرى ص ٨ - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧.

أن يعروا ناقتى الحمراء فقد أطالوا ركوبها ، وأن يركبوا جملى الأصهب ، بآية ما أكلت معهم حيسا ، واسألوا الحارث عن خبرى .

فلما أدى العبد الرسالة إليهم قالوا : لقد جن الأعور ، والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملاً أصهب ، ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة فقال : لقد أنذركم ، أما قوله أدبى العرفج ، فيريد أن الرجال قد استلأموا «أى لبسوا الدروع» ولبسوا السلاح ، وقوله قد شكت النساء أى اتخذن الشكاء للسفر ، وقوله عروا ناقتى الحمراء ، أى ارتحلوا عن الدهناء (الفلاة) واركبوا الجبل ، وقوله بآية ما أكلت معكم حيسا، يريد أن أخلاطا من الناس قد غزوكم لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقط فامتثلوا ما قال وعرفوا لحن كلامه»(٧٣) .

هذا النمط من الحديث أقرب إلى ما يعرف الآن بالرمز ، والمستوى الخاص للأداء اللغوى ، وهو مستوى يكثر النقاد المحدثون من الإشارة إليه فى مجال الشعر خاصة ويرون أن معنى «الفهم» المباشر من خصائص اللغة النثرية ، وأن تعددية المعنى وطبقات دلالته جزء من غنى اللغة الراقية ولغة الشعر على نحو خاص . والبلاغيون العرب لم يغفلوا بدورهم الإشارة إلى تعدد المستويات فى الفهم فى مباحث كالتورية والتعريض والمدح بما يشبه الذم وغيرها من المباحث .

وابن دريد ينطلق من هذه القصة لكى يقدم لمعاصريه معجمًا صغيرًا لعبارات «الملاحن» ذات الدلالة المزدوجة ، ويحاول أن يقترب بها من مجال النفع العملى فى الاستخدام اللغوى اليومى لا الاقتصار على المجال الجمالى وحده وهو يغلف هدفه بلمسة دينية شأن كثير من كتب العصر ، فيقول إنه كتب هذا الكتاب «ليضرع إليه المجبر المضطهد على اليمين ، المكره عليها ، فيعارض بما رسمناه ويضمر خلاف ما يظهر ليسلم

---

(٧٣) المرجع السابق ص ١٧ وانظر كذلك الأمالى لأبى على القالى ج ١ ص ٥ وما بعدها حيث أفاض فى ذكر العلماء فى مفهوم اللحن حتى انتهى إلى مذهب أبى بكر ثم أورد قصة الأسير كاملة .

من عاربة الظالم ويتخلص من حيف الغاشم» ويضرب ابن دريد أمثلة على هذه الأيمان حين يقول : «وتقول : «والله ما رأيت فلانًا قط ولا كلمته» ، فمعنى ما رأيته أى ما ضربت رئته ، ومعنى كلمته أى جرحته ، وتقول : «والله ما عندى نبيذ ولا أملكه» ، والنبيذ الصبى المنبوذ ، وكل شىء ألقيته من يدك فقد نبذته . وتقول : «والله ما سألت فلانًا حاجة قط» والحاجة ضرب من الشجر له شوك والجمع حاج»(٧٤) .

ومع أن الجمل التى أتى بها ابن دريد تستجيب لحاجات عملية عاجلة فإن وراء ذلك فكرة التميز وتنبيه من يتصورون أنهم يعرفون لغتهم جيدًا ، وهم بعيدون عن ذلك، لأن ذلك شأو يحتاج إلى تبحر وتعمق ، اكتفى ابن دريد بالإشارة إليه ثم فتح مجال مستويات الدلالة وهى مجالات تقدم فيها بقدر بعض علماء البلاغة والنقد الأقدمين ، لكنها ما تزال فى حاجة إلى جهد كبير .

أما كتاب «الاشتقاق» فقد كان بدوره ، بل ولعله ما يزال ، صوتًا متميزًا يشير إلى خصوصية فى الالتفات إلى زوايا جديدة فى التأليف والمعالجة ، وإلى غزارة معرفة واتساع ، وإلى حمية قومية واضحة جعلت واحدًا مثل المستشرق بدرسن يشير إلى أن دافع تأليف ابن دريد لكتاب الاشتقاق كان «الغيرة الوطنية ضد الشعوبية وغيرهم»(٧٥) .

ولنلاحظ أولاً أن مصطلح «الاشتقاق» شاع فى عصر ابن دريد عند نظرائه من علماء اللغة لكنه كان يحمل معنى آخر ألفت على أساسه كتب مغايرة تحمل عنوان الاشتقاق ، وذلك المعنى الآخر يتصل بإمكانات «القياس اللغوى» ومدى السماح للمحدثين أن يقيسوا على ما قاله القدماء ويتوسعوا بذلك فى اللغة ، وقد تحمس لفكرة الاشتقاق بهذا المعنى ، العالم اللغوى أبو على الفارسى وتلميذه ابن جنى ، وكان أبو على يقول : لأن أخطئ فى خمسين مسألة فى الرواية ، أحب إلى من أن أخطئ فى

(٧٤) المصدر السابق ص ٨ ، ١٩ ، ٣٤ .

(٧٥) بدرسن ، دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ، مادة ابن دريد ج ١ ص ١٥٩ .

مسألة واحدة قياسية . ويقول : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب[٧٦] ، وقد تطور هذا المبحث خاصة على يد ابن جنى .

وعرف العلماء من أنواعه ما يسمى بالاشتقاق العام أو الاشتقاق الصغير وما يسمى بالاشتقاق الكبير ثم ما يسمى بالاشتقاق الأكبر[٧٧] .

غير أن الاشتقاق لابن دريد لم يكن يندرج تحت هذا الباب ، وإنما كان يهتم باشتقاق أسماء الرجال ، ومن ثم فقد أشار الأزهرى إلى الكتاب على أنه «كتاب اشتقاق الأسماء» وأشار إليه ياقوت الحموى على أنه «كتاب اشتقاق أسماء القبائل» وحدد ابن دريد نفسه المجال الذى اهتم به فى كتابه بقوله : «قد شرحنا فى كتابنا هذا أسماء القبائل وأفخاذها وبطونها ، وتجاوزنا ذلك إلى أسماء ساداتها وثنيانها وشعرائها وفرسانها وجرارى الجيوش من رؤسائهم ومن ارتضت بحكمه فيما شجر بينها ، وانقادت لأمره فى تدبير حروبها ومكايدة أعدائها»[٧٨] فاهتمامه إذن منصب على أسماء القبائل وأسماء الشخصيات البارزة فى التاريخ العربى فى مجالاته المختلفة ، وهو يشير إلى مجال آخر من مجالات الأسماء لم يشأ أن يقترب منه حين يقول :[٧٩] «ولم نتعد ذلك إلى اشتقاق أسماء صنوف النامى من نبات الأرض نجمها وشجرها وأعشابها ولا إلى الجامد من صخرها ومدرها وحزنها وسهلها لأنا إن رمنا ذلك احتجنا إلى اشتقاق الأصول التى تشتق منها وهذا ما لا نهاية له» .

البحث إذن فى الاشتقاق يدور حول «أسماء الرجال» من الناحية اللغوية والتاريخية ، وهو منحى فى البحث لم يسبق إليه ابن دريد ، بل ولم تؤلف فيه بعده

---

(٧٦) انظر فى مناقشة هذه القضية والآراء الواردة فيها ، أحمد أمين ، ظهر الإسلام ج ٢ ص ٩١ .

(٧٧) لمزيد من التفاصيل انظر : د. إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، ص ٦٢ وما بعدها ، الطبعة السابعة - سنة ١٩٨٥ مكتبة الأنجلو المصرية .

(٧٨) الاشتقاق ، طبعة وتسنفيلد ١٨٥٤ ص ٣.

(٧٩) المرجع السابق ص ٣ .

كتب كثيرة معروفة ، وما ألف حول الأعلام وسيرهم وطبقاتهم وهو كثير ، كان يهتم بالناحية التاريخية أكثر من غيرها ، وما ألف فى علم الأنساب وهو كثير أيضا ، لم يهتم بالناحية اللغوية اهتمام ابن دريد .

ومن المصادفات العلمية أن يكون العلم الذى اهتم بأسماء الرجال فى العصر الحديث من الناحية اللغوية والتاريخية والإحصائية هو «معجم أسماء العرب» الذى صدر عام ١٩٩١ م عن سلطنة عُمان(٨٠) فى إطار موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب ، وأن تكون عُمان بذلك مصدر الأعمال العلمية التى تهتم بأسماء الرجال ، فابن دريد صاحب المعجم القديم فى الاشتقاق ينتمى إليها والعمل العلمى الحديث «معجم أسماء العرب» يصدر تحت إشرافها .

لكن لماذا كتب ابن دريد عن أسماء العرب واشتقاقاتها ؟

إن ابن دريد يشير فى مقدمته إلى أحد الدوافع المباشرة إشارة تؤكد صحة ملاحظة المستشرق بدرسن التى اقتبسناها من قبل ، وذلك أن بعض أنصار الشعوبية فى ذلك العصر امتد انتقاصهم من العربية وما يتصل بها إلى أسماء أعلامها وسخروا من أن بعضها يسمى كلبًا وكليبًا ومثلها من الأسماء «القبيحة» وبعضها الآخر يندرج فى أسماء يستعصى فهمها حتى على علماء اللغة مثل ما يروى من «أن الخليل بن أحمد سأل أبا الدقيش ، ما الدقيش ؟ قال : لا أدرى إنما هى أسماء نسمعها ولا نعرف معانيها» ويعلق ابن دريد قائلاً : «وهذا غلط على الخليل وادعاء على أبى الدقيش وكيف يخفى على أبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد - نضر الله وجهه - مثل هذا وقد سمع العرب سمت دقشًا ودقيشًا ودنقشًا فجاءوا به مكبرًا ومصغرًا ومعدولاً به من بنات الثلاثة إلى بنات الأربعة»(٨١) .

---

(٨٠) انظر معجم أسماء العرب «قسم من موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب» صدر فى مجلدين - جامعة السلطان قابوس - مكتبة لبنان ١٩٩١ . وانظر كذلك «سجل أسماء العرب» صدر فى أربعة مجلدات من نفس الموسوعة .

(٨١) الاشتقاق ص ٤ .

فالدافع الاجتماعى كان الرد على هؤلاء الذين يطعنون «جهلاً أو تجاهلاً» على أسماء العرب من حيث لا يجب الطعن ، ويعيبون من حيث لا يستنبط العيب على حد قول ابن دريد ، لكن العطاء جاء أغزر بكثير من مجرد الاستجابة لهذا الدافع ورد تلك التهم ، فقد أقام ابن دريد من التسمية علمًا له بواعثه ودوافعه ومسبباته وجعل منها نافذة تطل على تراث واسع متشابك وترصد ماضى وحاضر شبكة العلاقات فى كتلة بشرية كبيرة تمثل الكتلة العربية ، كانت قد بدأت فى الانتشار والذوبان فى كتلة أخرى أكثر اتساعًا هى الكتلة الإسلامية .

وابن دريد تحقيقًا لهذا الهدف يعالج المادة اللغوية المتمثلة فى الأسماء والمطروحة أمامه على مستويات مختلفة فهو :

١ - يشرح الاشتقاق اللغوى لأسماء القبائل والرجال .

٢ - يبسط القول فى المواد اللغوية ذاتها التى اشتقت منها هذه الأسماء .

٣ - يفسر الآثار الدينية والأدبية التى تمت بصلة إلى هذه المواد .

٤ - يبين أنساب قبائل العرب وبطونها وأفخادها وتشعب بعضها عن بعض .

٥ - يمد الباحث بكثير من المعارف التاريخية النادرة ، التى تتعلق بقبائل العرب ورجالها وبعض من يمت بصلة تاريخية إلى تلك القبائل وأولئك الرجال .

وتلك فى مجملها أهداف لم يجمعها أحد فى مؤلف قبل ابن دريد ، ومن ثم كانت نتاجًا من نتاجات «الصوت المتميز والعقلية المفكرة والعلم الواسع» .

حدد ابن دريد فلسفة العرب فى التسمية حين أشار إلى رواية نقلها عن أستاذه أبى حاتم السجستانى قال : «قيل للعتبى ما بال العرب سمت أبناءها بالأسماء المستشنعة وسمت عبيدها بالأسماء المستحسنة ؟ فقال : لأنها سمت أبناءها لأعدائها

وسمت عبيدها لأنفسها» وقد علق ابن دريد على إجابة العتبى بأنها جملة مستحسنة لكنها محتاجة إلى شرح وتوضيح وهو ما تولاه الكتاب .

وقد حدد الكتاب أسباب التسمية عند العرب فى مجموعة من النقاط منها :

١ - التفاؤل بالانتصار على الأعداء مثل تسمية : غالب ، منازل ، مقاتل ، طارق .. إلخ .

٢ - التفاؤل بنجاح المسعى مثل تسمية : نائل ، ناج ، سالم ، عامر ، سعيد ..

٣ - ترهيب الأعداء باتخاذ أسماء السباع والحيوانات مثل تسمية : أسد ، ليث ، ذئب، فراس ، وضرغام .

٤ - التفاؤل بإطلاق أسماء الشجر الغليظ القوى طويل العمر على الأبناء مثل تسمية: طلحة ، سلمة ، قتادة .. إلخ .

٥ - التسمية بما خشن من الأرض ملمسًا وموطئًا مثل : حجر ، صخر ، فهر ، جندل ، حزن ، حزم .. إلخ .

٦ - التفاؤل بما يلقاه الأب من الحيوانات أو الطيور أثناء مخاض امرأته فيطلق اسمه على المولود ، تفاؤلاً بجريان الحياة والنشاط فيه ، ومن هذه الناحية ظهرت أسماء كثيرة مثل : ثعلب ، ضب ، كلب ، حمار ، قرد ، جحش ، غراب ، بكر ، عنز .. إلخ .

وتناول ابن دريد للأسماء فى التحليل تناول دقيق يعالج الجوانب اللغوية والتاريخية ويقدم معلومات إحصائية فى بعض الأحايين ، وهو يبدأ بسلسلة نسب رسول الله - ﷺ - ويقف أمام كل اسم من السلسلة فيشرح الجذور اللغوية والفروق بينها وبين الجذور المتشابهة ، فيتعرض فى مادة «محمد» إلى الفرق بين الحمد والشكر ، وبين صيغة محمد وصيغة محمود ، ثم يشير إلى من سمى «محمدا» فى الجاهلية ، ويخص منهم أربعة ، ومنه ينتقل إلى أحمد فيشير إلى من سمى به وإلى يحمد وحميد وحميدان وحماد ، وهكذا يفعل مع بقية الأسماء التى يتعرض لها فى سلسلة النسب الشريفة ومن بعدها فى أسماء القبائل وبطونها ورجالها .

وتتناثر خلال تحليله معلومات تاريخية قيمة عن القبائل والأماكن والبلدان تصلح فى ذاتها أن تكون نواة لدراسات مستفيضة ، ومن الطبيعى أن يولى الأزد وعُمان قدرًا من رعايته ، فيتكرر الحديث عنده عن الأزد خمسًا وعشرين مرة فى كتابه يرد خلالها التعريف ببطونهم كاليحمد وسلامان وبكر وبنى سعيد وأزد السراة وصريم والأشافر .. إلخ ويتتبع فى كل مرة أماكن معيشتهم وأسماء من حالفهم أو عاداهم أو والاهم .

ويأتى ذكر عُمان فى كتابه اثنتى عشرة مرة ، وهى مرات قليلة إذا قيست بمدينة كالبصرة ورد ذكرها خمسًا وسبعين مرة أو الشام التى ورد ذكرها ثلاثًا وثلاثين مرة أو اليمن التى وردت تسع عشرة مرة ، لكن ابن دريد كان مقيدًا بحركات الأعلام وأماكن استقرارهم أو استقرار أخلافهم ، وهو خلال تعرضه لعُمان يعرف ببعض أهلها أو بعض من عمل بها ، فقبيلة «التناعم» تقيم بالبصرة لكنها تنسب إلى موطنها الأصلى وهو «تنعم» بعُمان ، وبنو مازن بن شيبان عُمانيون ينتسب إليهم أبو عثمان المازنى النحوى لأن أمه منهم ، وعبيد الله بن ظبيان من فتاك العرب وقد قتل بعُمان ، ونعام بن الحارث فارس من العتيك وهو أول رجل أغار على الفرس بعُمان ، وسبيعة بن غزال كان ممن وفد إلى أبى بكر الصديق رحمه الله فى أمر أهل عُمان .

وبنو مالك بن فهم ، تفرقوا وكانوا عشرة فلحقوا بعُمان .

وهكذا يقدم «الاشتقاق» فيما يقدم ، علامات يمكن أن تساعد على رسم صور لكثير من الجماعات والأمكنة فى التاريخ العربى ، إلى جانب ما قدمته من ملاحة متمكنة فى بحر واسع هو اللغة العربية بطريقة منهجية منظمة دلت - مرة أخرى - على أن ابن دريد كان مؤلفًا ذا عطاء متميز من خلال تلاميذه ومؤلفاته ، وأن أثره من خلال ذلك كله تجاوز عصر القرن الثالث والرابع الذى استحق بجدارة أن يكون أستاذ الجيل فيه إلى القرون التالية ليكون واحدًا من رواد الثقافة العربية الجادة العميقة .

ابن دريد الأديب الشاعر

ابن دريد الأديب الشاعر

حين يتصل الحديث بشاعرية ابن دريد ، فإننا نجد أنفسنا أمام واحد من كبار شعراء القرنين الثالث والرابع الهجرى ، وليس هذا حكمًا مسبقًا على شاعر قبل بدء الحديث عنه ، ولكنه انطباع قوى يخرج به قارئ كتب الأدب العربى القديم ، وهو انطباع إن لم تؤكده كثرة الآثار أكده تواتر الأخبار .

فقد شاعت عنه عبارة أبى الطيب اللغوى : «ما ازدحم العلم والشعر فى صدر أحد ازدحامهما فى صدر خلف بن الأحمر وابن دريد» . وتوجه الأقدمون بلقب ذى دلالة هو «أشعر العلماء وأعلم الشعراء» ورفع أبو العلاء المعرى شعر ابن دريد إلى الجنة، حمله معه ابن القارح فى رسالة الغفران وطرق به باب الشاعر الجاهلى المسيحى عدى ابن زيد العبادى الذى طلب منه ابن القارح أن يسمعه قصيدته «الصادية» التى هى بديعة من أشعار العرب والتى مطلعها :

أبلغ خليلى عبد هند فلا   زلت قريبًا من سواد الخصوص

وعندما ينتهى عدى من إنشادها يقول الشيخ :[٨٢] «أحسنت والله لو كنت الماء الراكد لما أَسنْت ، وقد عمل أديب من أدباء الإسلام قصيدة على هذا الوزن وهو المعروف بأبى بكر بن دريد قال :

يسعد ذو الجد ويشقى الحريص   ليس لخلق عن قضاء محيص

---

(٨٢) انظر رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى - تحقيق محمد عزت نصر الله - ص ٥١ - المكتبة الثقافية - بيروت د.ت .

ويقول فيها :

أيـن مـلـوك الأرض مـن حـمير	أكـرم مـن نصت إلـيـهـم قـلـوص
جـيـفـر الـوهـاب أودى بـه	دهـر عـلـى هـدم المعـالى حـريص

إلا أنك يا أبا سوادة أحرزت فضيلة السبق» .

وما كان لأبى العلاء أن يفاخر شاعرًا جاهليًا كعدى بن زيد بشاعر إسلامى فى قصيدة عصية القافية ولا يجعل الجاهلى يفضله إلا بالسبق الزمنى ، ما كان ليفعل هذا، لو أن قامة ابن دريد فى نظر جيل أبى العلاء لم تكن على مستوى المفاخرة والموازنة . وما كان لأبى العلاء - وهو الناقد الحصيف - أن يعقد مقارنة يقال له بعدها كيف وازنت بين عدى بن زيد وبين رجل حظه من الشعر قليل ، فشهادة أبى العلاء العارضة هى شهادة جيل كامل ومناخ ثقافى سائد .

على أن شهادة أبى العلاء تؤدى إلى ناحية أخرى ، تتصل بالقدر الكبير الذى ضاع من شعر ابن دريد ، والقصيدة التى أوردها أبو العلاء نموذج لذلك فهذه القصيدة لم يبق منها بين أيدينا إلا هذه الأبيات الثلاثة التى أشار أبو العلاء إلى أن أحدها مفتتح القصيدة والآخرين جاءا فى ثناياها ، وقد نقلها جامع الديوان عن رسالة الغفران دون أن يضيف إليها شيئًا . وقد أشار القدماء إلى غزارة إنتاج ابن دريد الشعرى ومنهم تلميذه المسعودى الذى قال فى مروج الذهب : «إن شعره أكثر من أن نحصيه أو نأتى على أكثره أو يأتى عليه كتابنا هذا» وقال القفطى فى أنباء الرواة : «وشعره كثير ، قال من رآه فى خمس مجلدات وقيل أكثر من ذلك» والقفطى صاحب الرواية رجل عاش فى القرن السابع الهجرى وتوفى سنة ٦٤٦ هـ وقد قال إنه حدثه من رأى الديوان ومعنى ذلك أنه بعد حوالى ثلاثة قرون ونصف من وفاة ابن دريد كانت نسخ كاملة من الديوان موجودة ومعروفة فى أرجاء من العالم الإسلامى كالشام حيث كان يعمل القفطى ، أو كمصر حيث ولد فى جنوبها وكانت له بمعاهدها ومكتباتها صلات وكانت

بالتأكيد موجودة فى العراق وخراسان مواطن ابن دريد العلمية والأندلس موطن تلميذه ، الذى نشر علمه فيه ، أبو على القالى .

وليس من الضرورى أن تكون المجلدات الخمسة مجلدات كبيرة فقد كان استخدام مصطلح «مجلد» يطلق أحيانًا على المجلد المتوسط أو الكراسة ، لكن كلمة «شعره كثير» فى أول الرواية ترجح أن هذه المجلدات كانت متوسطة على الأقل .

وهذه المجلدات الخمسة لم يعثر عليها حتى الآن ، ولعلها حبيسة خزانة من خزائن الكتب فى عُمان أو البصرة أو خراسان أو مصر أو الشام ، أو لعلها - للأسف - أكلتها العوادى التى مر كثير منها على بلدان العالم الإسلامى ، ولم يجد من عنى بجمع ديوان له فى عصرنا هذا سوى مقطوعات وقصائد قليلة احتفظت بها بعض كتب التاريخ والأدب ، وسوى المقصورة التى كانت تعد دائمًا عملاً مستقلاً حفظت من الضياع واهتم بها الأدباء وتناولوها فى أزمنة مختلفة بالمعارضات والتخميس والتوشيح والإعراب والشروح التى بلغت زهاء خمسة وثلاثين شرحًا ، وامتد الاهتمام بها إلى اللغات الأخرى فترجمها هوتسما إلى اللاتينية ، وطبعت[٨٣] بها سنة ١٧٧٣م ، وسنقف أمام بعض الملامح الرئيسية الموجودة فيما تبقى أمامنا من شعر ابن دريد والتى جمعها الديوان الذى بين أيدينا والذى كان فى الواقع جزءًا من أطروحة تقدم بها عمرو سالم إلى جامعة باريس سنة ١٩٦٥م وطبع الديوان بعد ذلك فى تونس عام ١٩٧٣م وكانت قد سبقته محاولة أخرى لجمع الديوان على يد محمد بدر الدين العلوى نشرت فى القاهرة عام ١٩٦٤م.

وعلى الرغم من المجهود العلمى الذى بذله محققا الديوان ، فمازال فى حاجة إلى مزيد من الجهد العلمى ، وعلى سبيل المثال أورد المحققان قصيدة المثلثة لابن دريد ، على حين أن بعض مقاطع هذه القصيدة وردت فى «تعليق من أمالى ابن دريد» منسوبة إلى أحد الجاهليين .

---

(٨٣) انظر مقدمة الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام هارون .

خصائص فى بناء القصيدة

لعل أول خاصية تكمن فيما أعجب به أبو العلاء نفسه فى القصيدة الصادية التى فاخر بها عدى بن زيد ، وهى «اختيار المركب الصعب» فى بناء القصيدة ، وتلك خاصية كان الشاعر ابن دريد يستعين فيها بالعالم ابن دريد فيمده بمخزون ثقافى هائل وحصيلة لغوية كبيرة ، وكانت هذه الخاصية تتمثل عند ابن دريد فى أشكال عديدة .

كان منها اللجوء إلى القوافى الصعبة غير المطروفة مثل قافية الثاء والصاد والضاد والطاء والظاء ، وهى قواف تقل الكتابة عليها فى العربية ، وقليل من الشعراء يلزم نفسه بأن يشرع فى قصيدة مثل هذه القصيدة :

مــقــل الجآزر نــبــلــهــا الألحاظ	مــا إن لــهــا فــذذ ولا إرعــاظ[84]
أو لم يـجـزن وقـد مـلـكـن قـلـوبـنـا	فــألــنُّــهــا وقــلــوبــهــن غــلاظ
يـا مـا لــهــن لـدغـن بـالبرق الـتـى	سـفـع الحشـا مـن لـدغـهـن شـواظ

وإذا كانت القافية السابقة قد خرجت فى قصيدة مدح ، تأنق صاحبها فى اختيار قوافيها إظهارًا لقدراته اللغوية ، فإن موقفًا آخر يخلو من التكلف عادة وهو الرثاء تجىء معه هو أيضًا قواف صعبة وها هو يرثى واحدًا من أعز الناس عليه وهو عمه الحسين بن دريد الذى كفله ورباه وعلمه فتأتى النفثة على حرف الضاد :

نجم الــعــلــى بــعــدك مــنــقض	وركــنــه الأوثــق مــنــهض

(٨٤) القصيدة فى مدح يحيى بن عبد الوهاب ، الديوان ص ٦٣ والجاذر أولاد البقرة الوحشية والفذذ : الريش المحيط بالسهم ، والإعاظ : الثقب الذى فى رأس السهم ، والسفع : اللفح بالشمس ، والشواظ : اللهب.

يــا واحـــدًا لم تــبــق لى واحـــدًا   يــرجــى بـــه الإبـرام والـــنـقـض

أديـل بـطـن الأرض مـن ظـهـرهـا   يــوم حـوت جـثـمـانــه الأرض

ولى الـــردى يـــوم تـــولى بـــه   ووجـــهـــه أزهـــر مـــبـــيـض

والأبيات سلسة رغم صعوبة القافية . ويبدو أن ابن دريد كان ولعًا بإظهار مقدرته الشعرية من خلال القوافى على نحو خاص ، وهو منزع كان سائدًا فى العصر عند كبار الشعراء ، ولا ننسى أننا قريبون من عصر «اللزوميات» لأبى العلاء المعرى وهو النمط الذى يبلغ فيه الصراع مداه بين هاجس القافية وطبيعية الأداء ، والذين يعدون ذلك تكلفًا أو عرضًا فى الأداء الشعرى لا تتفق معهم حتى أكثر الدراسات الأوربية حداثة حول القافية. وشاعر السريالية الفرنسى المعاصر «أراجون» يقول : «إن القافية هى التى تملى على البيت مساره»[٨٥] وكان ابن خلدون من قبل قد أشار إلى هذا المعنى بوضوح فى مقدمته[٨٦] .

لقد كان التمكن من القافية واللعب بها محكًا يطرح عليه كبار الشعراء والعلماء فى العصر قدراتهم على إدارة الصراع الخفى فى البيت الشعرى بين الحفاظ على المعنى والوفاء بشروط الفن ومتطلباته ، ويحكى أبو العلاء موقفًا طريفًا فى رسالة الغفران يشير فيه إلى ظاهرة تتصل بالقافية والمقدرة على تقليبها ودلالة ذلك على التمكن من اللغة والسيطرة على شواردها ، فهو حين يقارن بين أنهار العسل المصفى فى الجنة وما عرفه الشعراء وما وصفوه من عسل الدنيا ، يورد أبيات النمر بن تولب التى تمنى فيها لمحبوبته «أم حصن» طعامًا شهيًّا من العسل المصفى والدقيق الممزوج بالسمن حيث قال :

(٨٥) انظر الفصل الخاص بالقافية فى ترجمتنا العربية لكتاب «بناء لغة الشعر» لجون كوين - الطبعة الثانية ص ٨٤ الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة ١٩٩٠.

(٨٦) يقول ابن خلدون : «وليكن بناء البيت على القافية من أول صوغه ونسجه يضعها ويبنى الكلام عليها إلى آخره لأنه إن غفل عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها فى محلها «تاريخ العلامة ابن خلدون ص ١١٠٦ دار الكتاب اللبنانى ١٩٨٢ .

ألم بصحبتى وهم هجوع | خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهى عسلاً مصفى | إذا شاءت وحوارى بسمن

ثم أعقب البيتين بذكر حكاية خلف الأحمر مع أصحابه حولهما ، ومعناها أنه قال لهم : لو كان موضع «أم حصن» «أم حفص» ماذا كان يقول فى البيت الثانى[٨٧] وبعبارة أخرى يدور التساؤل هل قدم لها حوارى «بسمن» لأن اسمها «أم حصن» ومن ثم فإن القافية هى التى حددت نوع الطعام ؟ وإذا كانت فكيف يكون الطعام لو أن اسمها ينتهى بالصاد ؟ أى كيف تؤثر القافية على نوع ما يقدم لها ؟ وقد سكت تلاميذ خلف الأحمر فيما يروى أبو العلاء فقال لهم : حوارى بلمص أى بالفالوذج ، ثم أعجبت اللعبة أبا العلاء نفسه فقرر أن يغير اسم المحبوبة على جميع حروف المعجم فتتغير القافية تبعًا لذلك ، ويتغير معها لون الطعام وسارت اللعبة على النحو التالى :

الاسم المقترح للمحبوبة	نوع الطعام المقدم
أم جزء	حوارى بكشء .. أى بلحم مشوى
	حوارى بنسء .. أى دائم الخير
أم حرب	حوارى بصرب .. أى بلبن حامض
	حوارى بإرب .. أى عضو من شواء
أم صمت	حوارى بكمت .. أى بتمر أسود
	حوارى بخمت .. أى بتمر شديد الحلاوة
أم شث	حوارى ببث .. أى بتمر متفرق
أم لج	حوارى بدج .. أى بفروج

(٨٧) رسالة الغفران ص ٣٣ .

أم شح		حوارى بح .. أى ببيض

أم دخ		حوارى بخ

وهكذا تسير اللعبة فيتغير اسمها مع كل الحروف فتكون أم سعد وأم عمرو وأم كرز .. إلخ ، وتتغير معها القافية وألوان الطعام ، وقد يأتى مع الحرف الواحدة بأربعة أو خمسة احتمالات .

وإذا كان خلف الأحمر هو الذى أثار اللعبة وأبو العلاء هو الذى أكملها فإن للرجلين صلة خاصة بشاعرية ابن دريد فأولهما كان يقارن به من حيث ازدحام العلم والشعر فى صدريهما ، وثانيهما - كما رأينا - هو الذى صعد بشعر ابن دريد إلى الجنة ونافس به شعر عدى بن زيد ، وإذا كان ما قدمه أبو العلاء من «بدائل» يصلح أن يكون اقتراحات يستفيد منها طلاب القافية من الشعراء فإن ابن دريد قدم من قبل التجربة الحية لهذه البدائل فى عمل فنى متكامل متوازن هو «المربعة» .

و «المربعة» التى يحتفظ بها ديوان ابن دريد عمل فنى هندسى محكم ، لم يشع فى الشعر العربى القديم ولم نقع لأحد غير ابن دريد على هذا النمط الموسيقى ، بل إن كثيرًا من علماء العروض المعاصرين لم يصلوا إلى هذا الفن ولم يصنفوه بين الإمكانيات التى عرفها الشعر العربى لتنويع القافية ، وكذلك فعل كثير من مؤرخى الأدب الذين وقفوا أمام ألوان أخرى كالمزدوجات والمخمسات والمسمطات والرباعى وعلاقة ذلك بالمثنوى أو الدوبيت فى الأدب الفارسى[٨٨] ، والتعريف الذى قدمه العروضيون المحدثون «للمربع» يختلف تمامًا عما صنعه ابن دريد فى «المربعة» فالدكتور إبراهيم أنيس يعرف المربع بأنه[٨٩] «ذلك الشعر الذى يقسم فيه الشاعر قصيدته إلى

(٨٨) انظر على سبيل المثال : د. محمد مصطفى هدارة ، اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى ص ٥٧٤ وما بعدها - دار المعرفة الجامعية د.ت ، وانظر المراجع المثبتة به ونص ابن رشيق الذى أورده عن ألوان التجديد .

(٨٩) د. إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ص ٣٣٦ دار القلم - بيروت د.ت .

أقسام يتضمن كل قسم منها أربعة أشطر ويراعى الشاعر فى هذه الأشطر الأربعة نظامًا ما للقافية فقد تكون كلها مقفاة بقافية واحدة وذلك ما يسمى بالدوبيت .. وفى بعض الأحيان نرى الشطر الثالث من هذه الأشطر الأربعة مختلف القافية» .

والواقع أن «مربعة» ابن دريد تختلف اختلافًا تامًّا عن هذا النظام ولها نظامها الخاص ، الذى يمكن إجماله فى النقاط التالية :

١ - يتكون كل مقطع من المربعة من أربعة أبيات أى ثمانية أشطر .

٢ - يعتمد كل مقطع على قافية موحدة فى آخر الأبيات الأربعة وفى الوقت نفسه يلتزم المقطع بتكرير حرف القافية الذى اختاره فى أوائل الأبيات فيما يمكن أن يسمى بنظام «القافية المعكوسة» أى أن الأبيات الأربعة إذا كانت تتخذ حرف الهمزة قافية لها وتكرره فى نهاية الأبيات كما هو مألوف فى القافية العربية ، فإنها تلزم نفسها أيضًا بتكرير نفس الحرف فى أول كل بيت وذلك نوع من «القافية المعكوسة» ليس مألوفا فى العربية وإن كان يحتمل أن يكون معروفًا فى لغات إسلامية شرقية أخرى .

وأحسب أن ابن دريد قد نقل هذه الظاهرة من لغات كان يعرفها ربما أثناء إقامته بخراسان خاصة .

٣ - تتوالى مقاطع المربعة على نظام توالى الحروف الأبجدية أى أن المقطع الأول يلتزم حرف الهمزة بدءًا وقافية ويلتزم المقطع الثانى حرف الباء بدءًا وقافية ، والثالث حرف التاء بدءًا وقافية ، ويلتزم المقطع الرابع حرف الثاء بدءًا وقافية .. وهكذا تصبح المربعة تسعة وعشرين مقطعًا أى مائة وستة عشر بيتًا .

٤ - يلتزم كل مقطع باتباع بحر معين ، لكن المربعة فى مجملها تنوع البحور ، وقد وردت فيها سبعة أبحر تفاوتت أنصبة المقاطع منها وجاءت منها على الخفيف ثمانية ، وعلى الطويل سبعة ، وعلى الكامل ستة ، وعلى المتقارب ثلاثة ، وعلى الوافر مقطعان، ومقطع واحد على كل من المنسرح والرجز .

٥ - يدور محتوى المقاطع كلها حول شعر الغزل ، ويقدم كل مقطع فكرة مستقلة ليس لها بالضرورة علاقة وثيقة بما قبلها وما بعدها إلا علاقة الخيط العام ومن خلال اتباع المربعة لهذا الهيكل المحكم تسير أبياتها على النحو التالى :

أبقيت لى سقمًا يمازج عبرتى ... من ذا يلذ مع السقام لقاء
أشمت بى الأعداء حين هجرتنى ... حاشاك مما يشمت الأعداء
أبكيتنى حتى ظننت بأننى ... سيصير عمرى ما حييت بكاء
أخفى وأعلن باضطرار أننى ... لا أستطيع لما أجن خفاء

* * *

بقلبى لذع من هواك مبرح ... نعم دام ذاك اللذع ما عشت للقلب
بك استحسنت نفسى الصبابة والصبا ... وقد كنت قبل اليوم أزرى على الصب
بذلت له الدمع الذى كنت صائنًا ... لأدناه إلا فى الجليل من الخطب
بليت ببعض الحب والحب موعدى ... مجاورة بعد المنية فى الترب

* * *

تمنيت المنية يوم قالوا ... غدًا مجموع شملكم شتيت
تعيش صبابتى ويموت صبرى ... ونفسى لا تعيش ولا تموت
تراءى لى الأسى فصدفت عنه ... فقال إليك إنك لا تفوت
تكلم ماء عينى عن فؤادى ... وقلبى من سجيته السكوت

وتتوالى مقاطع «المربعة» على هذا النحو ولا يبدو عليها كثير من الإرهاق رغم ما كبلت به نفسها من قيود ، وتظل ملامحها الخاصة وعلاقتها بآداب أخرى أو بروح الفن

الإسلامى فى عصرها أو بفلسفات التربيع وسريانها فى كثير من ألوان الفكر للك العصر ، أو بفكرة «الدائرة المغلقة» فى الشعر والتى لا تتمثل فقط فى النظام الموسيقى كما وضحته دوائر الخليل بن أحمد ، وإنما يمكن أن تتعداه إلى دوائر «الحروف» كالصنيع الذى نراه هنا ، أو حتى بفكرة ترسيخ الترتيب الأبجدى لحروف اللغة وهى الفكرة التى حمل لواءها ابن دريد المعجمى فى جمهرة اللغة عوضًا عن فكرة الترتيب المخرجى لها والتى حمل لواءها سلفه الكبير الخليل بن أحمد ، تظل هذه الأفكار وعلاقة «المربعة» بها قابلة لمزيد من النظر والتأمل والاستنتاج والتوسع .

لم تكن «المربعة» هى الفن الهندسى الوحيد الذى تمتعت به قصائد ابن دريد ، لكنه عرف فنونًا أخرى أهداها للقصيدة العربية فى عصرها الذهبى ، مثل فن «المثلثة» ذلك الفن الذى يقوم على بناء القصيدة من مجموعة من مقاطع يتشكل كل واحد منها من ثلاثة أشطر تقوم على قافية موحدة فيما بينها ، ويستقل كل مقطع من حيث القافية عما يسبقه وما يلحقه ، وقد وردت فى الديوان مثلثة تتكون من واحد وثلاثين مقطعًا بنيت جميعها على بحر الرجز ، واختلفت قوافيها على النحو الذى أوضحناه واتخذت من الحكمة موضوعا لها .

ويبدو أن هذا الفن بدوره أيضًا ليس شائعًا فى التراث الشعرى ، وأن ما شاع قريبًا منه كان لونًا من تثليث القافية فى «بيت الموشحة» السداسى حيث يساق البيت فى الموشحة من ستة أشطر تكون الثلاثة الأولى منها ذات قافية واحدة والثلاثة الأخيرة ذات قافية واحدة مثل قول الموشح :

كلما أشكو إليه حرقى ... غادرتنى مقلتاه دنفا
تركت ألحاظه من رمقى ... أثر النمل على صم الصفا
وأنا أشكره فيما بقى ... لست ألحاه على ما أتلفا

والدكتور إبراهيم أنيس - وهو عالم عروض متبحر - يعلن أنه لم يجد فى الشعر العربى قصيدة تسير على نظام المثلثات ، ويقول : [٩٠] وقد كنا نتوقع أن يروى لنا شعر كثير تلتزم فيه قافية خاصة من كل ثلاثة من الأشطر ولكن مثل هذا النظام لا يكاد يرى إلا فى صلب الموشحات .. ولهذا نتساءل : هل نظم الشعراء ما يمكن أن يسمى بالمثلثات ؟

ونحن نجيب الدكتور أنيس على تساؤله بنعم وها هو ابن دريد يقدم لنا هذه المثلثة المحكمة مسهمًا بعطاء آخر فى غنى هندسة القصيدة العربية وموسيقاها ، يقول ابن دريد:

ما طاب فرع لا يطيب أصله   حمى مؤاخاة اللئيم فعله
وكل من واخى لئيمًا مثله

من أمن الدهر أتى من مأمنه   لا تستثر ذا لبد من مكمنه
وكل شىء يبتغى فى معدنه

لكل ناع ذات يوم ناعى   وإنما السعى بقدر الساعى
قد يهلك المرعى عتب الراعى

وهكذا تستمر المثلثة كما قلنا واحدًا وثلاثين مقطعًا فى نفس شعرى صاف ، ومحتوى يذكر بالجانب الذى أشرنا إليه من ثقافة ابن دريد والمتعلق بحب الحكمة والإبحار بحثًا عنها حتى فى الثقافات الأجنبية أو المترجمة كما تلمسنا ذلك من كتابه «المجتنى» ، وهاهو يضيف إلى ما اختار نتاجه الشعرى فى عالم الحكمة مصوغًا فى قالب موسيقى طريف، ومضيفًا إلى ذلك التراث الذى عرفه الشعر العربى منذ الجاهلية ، وأكثر منه الشعراء بدءًا من العصور التى ترجمت فيها كتب الأوائل وكتب الحكمة

(٩٠) المرجع السابق ص ٣٣٥ .

خاصة عن الهندية والفارسية واليونانية وغيرها واشتهر بها شعراء منذ القرن الثانى [٩١] مثل أبى بكر العرزمى ومحمود الوراق وصالح بن عبد القدوس الذى يمكن أن يتشابه نفس ابن دريد فى شعر الحكمة مع نفسه ومع تجربته فى الحياة والناس ، ويمكن أن يلمح ذلك فى مثل قول صالح بن عبد القدوس:

المرء يجمع والزمان يفرق ... ويظل يرقع والخطوب تمزق

ولأن يعادى عاقلاً خير له ... من أن يكون له صديقٌ أحمقُ

فارغب بنفسك لا تصادق أحمقا ... إن الصديق على الصديق مصدقُ

وزن الكلام إذا نطقت فإنما ... يبدى عيوب ذوى العقول المنطقُ

وإن امرؤ لسعته أفعى مرة ... تركته حين يُجر حبل يفرقُ

وقد كان حظ ابن دريد - فيما بقى بين أيدينا من شعره فى الحكمة - حظًا عابرًا لم يخصص له سوى المثلثة ، وجاءت أبياتها الأخرى متناثرة بين الأغراض المختلفة ، ولا شك أنه كان يدرك بالفطرة ما عبر عنه من بعد ابن رشيق القيروانى حين قال : «فلا يجب للشعر أن يكون مثلاً كله وحكمة كشعر صالح بن عبد القدوس فقد قعد به عن أصحابه وهو يقدمهم فى الصناعة لإكثاره من ذلك» . [٩٢]

(٩١) انظر حول شعر الحكمة فى القرن الثانى الهجرى ، د. محمد مصطفى هدارة ، اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى ص ٤٧٣ وما بعدها .

(٩٢) العمدة ١ : ١٩٣ نقلاً عن المرجع السابق .

المقصورة : قراءة جديدة

إذا كانت «المثلثة» قد قدمت شكلاً هندسيًّا غير شائع ، وكانت «المربعة» قد قدمت نمطًا فى القافية المعكوسة والترتيب الأبجدى وطول النفس غير مألوف بدوره ، وقدمت كلتاهما إسهامًا فى إثراء شكل القصيدة العربية ، فإن «المقصورة» دون شك قدمت نموذجًا فى بناء القافية ، ظل على كثرة النماذج التى سبقته أو حذت حذوه أشهر نموذج لقصيدة كتبت على هذا النحو ، بل لا نبالغ حين نقول : إن «مقصورة ابن دريد» واحدة من أشهر القصائد المفردة فى تاريخ الشعر العربى ، وإذا استثنينا قصيدة فى المديح النبوى كالبردة ومعارضاتها وتخميساتها فإن القصائد المفردة الأخرى التى تقف فى جانب المقصورة من حيث الشهرة والاهتمام على الأقل سوف تكون قليلة .

وقد يتساءل الإنسان : ما الذى أغرى الأجيال بهذه القصيدة ؟

هل لأنها تخدم هدفًا تعليميًا على نحو خاص ؟ وقد شاع إلصاق الصفة التعليمية بالمقصورة ، ربما لأنها كتبت وابن دريد يومها معلم ابن ميكال وإن كانت القصيدة تحمل من تعليم الحكمة أكثر مما تحمل من تعليم اللغة ، بل إن ابن دريد له «مقصورة» أخرى تتوجه وجهة خالصة لتعليم اللغة وهى التى وضعت فى الديوان تحت عنوان «المقصور والممدود» وقد صدرت فى طبعة مستقلة بعنوان «شرح المقصور والممدود لابن دريد» (٩٣) فى دمشق سنة ١٩٨٦م ، وفى هذه القصيدة الأخيرة تبدو النزعة التعليمية واضحة ، حيث الحديث عما يفتح أوله فيقصر ويمد والمعنى واحد ، أو ما يكسر أوله فيقصر ويفتح فيمد والمعنى واحد .. إلخ ومع ذلك فلم تكتسب هذه القصيدة شهرة «المقصورة» .

---

(٩٣) انظر دراسة حول هذا العمل للدكتور أحمد عبد اللطيف الليثى بعنوان : ابن دريد من خلال كتابه شرح المقصور والممدود منشورة فى «فعاليات المنتدى الأدبى فى سلطنة عمان سنة ١٩٩٠ ص ١٢١ وما بعدها.

ومن ثم فإن الناحية التعليمية قد تقدم سببًا من أسباب شهرة القصيدة ولكنه لن يكون سببها الأول فضلاً عن أن يكون سببها الوحيد . هل القافية المقصورة وراء شهرتها ؟ قد يتساءل المرء عن سر الاهتمام بموسيقى القافية المقصورة لدى القدماء مع أنها فى الواقع تقدم جرسًا خافتًا بالقياس إلى الأحرف الأخرى كالسين والصاد والميم.. إلخ ، فعندما يستمع الإنسان إلى مثل :

يا ظبية أشبه شيء بالمها ... ترعى الخزامى بين أشجار النقا
أما ترى رأسى حاكى لونه ... طرة صبح تحت أذيال الدجى
واشتعل المبيض فى مسوده ... مثل اشتعال النار فى جزل الغضا

عندما يستمع إلى مثل هذه الأبيات فإن رنين القافية عنده سوف يكون أقل ملاحظة من مجرد بيت واحد مصرع مثل :

يسعد ذو الجد ويشقى الحريص ... ليس لخلق عن قضاء محيص

ومع ذلك فقد ظلت القافية «المقصورة» ذات مذاق خاص وكأنها فى عالم القافية أشبه شيء «بالأرجوزة» فى عالم الوزن ، تنتمى إلى الكل لكنها تحتفظ بمذاقها الخاص، وظلت المقصورات تروى فى المجالس وكتب النوادر ، وها هو أبو على القالى يروى أنه قرأ على أبى عمر فى نوادر ابن الأعرابى قال : أنشدنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابى لأبى صفوان الأسدى [٩٤] «مقصورة من ٦٦ بيتًا» :

نأت دار ليلى وشط المزار ... فعيناك ما تطعمان الكرى
ومر بفرقتها بارح ... فصدق ذاك غراب النوى
فأضحت ببغدان فى منزل ... له شرفات دوين السما

(٩٤) الأمالى ج ٢ ص ٢٣٧ .

وها هو المتنبى صوت الشعر العالى فى العصر وتلميذ ابن دريد يكتب مقصورته فى هجاء كافور [٩٥] :

ألا كــل مــاشــيــة الخيــزلى ... فــدا كــل مــاشــيــة الــهــيــدبــى
وكــــل نجاة بـــــجـــــاويـــــة ... خشــوف ومــا بــى حســن المشــى
ولــكــنــهــن حــبــال الحيــاة ... وكــيــد الــعــداة ومــيــط الأذى

وتنظم مقصورة ابن دريد بين هذه المنظومات لكى تصبح ألقها وأشهرها .

وربما يكون اتساع البناء الفنى الداخلى للقصيدة وتماسك أجزائها على اتساع رقعتها ، ذا أثر رئيسى فى الإعجاب المتجدد بها .

ذلك أن الشاعر نجح فى أن يجعل للقصيدة محورًا واحدًا رغم طولها ، وهذا المحور هو شخصية الشاعر ذاتها التى قدمت بدورها تقديمًا غير نمطى ، فلم تعتمد على مجرد الفخر والاعتزاز أو النصيحة والعظة وإنما اعتمدت على فكرة التجربة الغنية والملامح الخاصة وكسب التعاطف من خلال رسم ملامح المحن التى تعرض لها الشاعر فى صورة مشاهد متوازية تصب بطرق مباشرة حينًا وغير مباشرة حينًا آخر فى المجرى الرئيسى للقصيدة. ومدخل الشاعر الرئيسى أنه جنوبى مهاجر إلى الشمال وأن النأى والنوى هى المآسى التى زادت قسوتها عنده على الشيب والجوى .

وضـــرم الـــنـــأى المشت جـــذوة ... مــا تــأتــلــى تــســفــع أثــنــاء الحشــا
واتــخــذ الــتــســهــيــد عــيــنــى مــألــفــا ... لما جــفــا أجــفــانــهــا طــيــف الــكــرى
فــكــل مــالاقــيــتــه مــغــتــفــر ... فــى جنب مــا أســاره شــحــط الــنــوى

---

(٩٥) ديوان أبى الطيب المتنبى ، شرح أبى البقاء العكبرى ج ١ ص ٣٦ - مطبعة الحلبى - القاهرة ١٩٧١ والخيزلى مشى النساء والهيدبى مشى النياق التى يفضل منها البجاوية السريعة التى تصون الحياة وتدفع كيد العدى .

لو لابس الصخر الأصم بعض ما　　　يلقاه قلبى فض أصلاد الصفا

وهذه النغمة التى ترد قرب بداية القصيدة بدءًا من البيت السابع وحتى البيت العاشر ، سوف تجد صداها قرب نهايتها وكأنها الجواب الذى ينتظر القرار ، والصوت الذى يبحث عن الصدى ، فها هو بدءًا من البيت الرابع والثلاثين بعد المائتين ، يعود للحديث عن أسى ترك الوطن والرحيل عنه، يقول :

وسائلى بمزعجى عن وطن　　　ما ضاق بى جنابه ولا نبا

قلت : القضاءُ مالكٌ أمرَ الفتى　　　من حيث لا يدرى ومن حيث درى

لا تسألنى ، واسأل المقدار هل　　　يعصم منه وزر أو مدَّرى

وإذا كانت القصيدة قد بدأت بصوت «الاغتراب» فقد صعدت أثره الممض على النفس فى لقطة معبرة :

لو كانت الأحلام ناجتنى بما　　　ألقاه يقظان لأصمانى الردى

لكنه ليس الانهيار وإنما هى نفثة مصدور .

لكنها نفثة مصدور إذا　　　جاش لغام من نواحيها غما

وإذا كان التجلد والصمود يحتاجان للتأسى فإن الشاعر يورد صورًا من تجارب الذين عبروا المحن قبله ثم اجتازوا أو خانتهم الظروف ، واللافت للنظر أنهم جميعًا من عرب الجنوب تأكيدًا لوحدة ملامح الشخصية التى ترسم لبطل القصيدة وكل الأبطال يتحركون نحو هدف نبيل :

إن «امرأ القيس» جرى إلى مدى　　　فاعتاقه حمامه دون المدى

وخامرت نفس «أبى الجبر» الجوى　　　حتى حواه الحتف فيمن قد حوى

وأبو الجبر هو أحد ملوك كندة ، وقد خرج إلى كسرى ليستنجد به على قومه ، كما كان امرؤ القيس قد خرج إلى قيصر ليطلب العون لأخذ ثأر أبيه ، وتنتهى قصتهما معًا بخيبة المسعى ، وتستمر نماذج أبطال الجنوب التى تقدمها المقصورة : ابن الأشج : عبد الرحمن بن الأشعث الكندى والى الحجاج على سجستان والثائر عليه .. والوضاح: جذيمة بن مالك بن فهم الأزدى قاتل أبى الزباء والتى انتقمت منه بالخديعة بعد أن تزوجته .. ويزيد بن المهلب : الثائر على بنى أمية والمستولى على البصرة منهم ، وقد دسوا من قتله .. وعمرو بن ربيعة : ابن أخت الوضاح ، وقد ثأر له من الزباء .

هذه النماذج كلها تتجمع فى حشد ملحمى من الماضى القريب والبعيد ، لكى تقدم عونًا للشاعر فى عزمه على المغامرة ، وتحمل قسوة الدهر ، ولا يسند الشاعر هذه النماذج إلى أصولها ولا يمتد بجذورها إليها فى شكل الفخر المباشر التقليدى ولكنه يتركها تمر أمام عيوننا وعند التأمل القليل ندرك أنها تحمل جميعًا ملامح موازية فهى كلها قادمة من الجنوب موطن الشاعر ساعية إلى غاية سامية متحملة دونها المشاق سواء حققتها أم عاقها المقدور .

وابن الأشج القيل ساق نفسه ... إلى الردى حذار إشمات العدى

وأضرم الوضاح من دون التى ... أملها ، سيف الحمام المنتضى

فقد سما قبلى يزيد طالبًا ... شأو العلى فما وهى ولا ونى

وقد سما عمرو إلى أوتاره ... فاحتط منها كل عالى المستمى

فاستنزل الزباء قسرًا وهى من ... عقاب لوح الجو أعلى منتمى

وهكذا فإن موجة الأسى والاغتراب الأولى عادلتها موجة من التأسى والمحاولة بكل نتائجها فاستقرت النفس فى حالة توازن :

ما اعتن لى يأس يناجى همتى ... إلا تحداه رجاء فاكتمى

وإذا كانت الحركة هى النغمة الأساسية التى سادت كل شخوص القصيدة من البدء حتى الآن ابتداء بتغرب الشاعر ومرورًا بأبطال التأسى المتحركين ، فإن الشاعر يقف أمام أهم وسيلتين للحركة فى الصحراء القديمة ، الإبل والخيل ، ويرسم له فى صحبتهما مشاهد تصويرية دقيقة ، لكنه لا يسعى إلى رسم المشاهد فى ذاتها وإنما إكمالاً للصورة المتحركة التى تحيط ببطل القصيدة ، وتختلف وسيلة الحركة ودرجة إيقاعها بحسب الهدف المنشود منها ، فحركة الإبل ترتبط بالحاج الورع الطائف وحركة الخيل ترتبط بالشاعر العاشق المحارب المغامر المادح الناصح الحكيم ، وترتبط كل الأوجه من خلال ضمير المتكلم الذى يوحدها جميعًا ويردها إلى شخصية البطل محور القصيدة . والشاعر فى كل الحالات ينجح فى نزع القصص من محور النثرية والسرد إلى محور الشاعرية والتصوير ، وأى صورة أدق من هذه الديمومة فى حركة الإبل فى الصحراء [٩٦] .

يرسين فى بحر الدجى وبالضحى ... يطفون فى الآل إذا الآل طفا

أخفافهن من حفا ومن وجى ... مرثومة تخضب مبيض الحصا

وهذه الصور الهادئة الصبور للإبل تقود إلى مشاهد من المناسك التى تحتاج بدورها إلى الصبر الذى يقود إلى السكينة والهدوء ، لكن صور الخيل عندما تعقبها تتلاحق الأنفاس ويتطاير الشرر من الحوافر وتطوى المسافات بين الوهاد والقمم [٩٧] .

يرضخ باليد الحصى فإن رقى ... إلى الربى أورى بها نار الحبا

ويتحرك الفارس عليه لا يهاب الموت نفسه ولو تجسد له ، ويروم حتى المهج التى تحميها الأقدار وتغدو المنايا طائعات أمره :

---

(٩٦) الآل السراب ، طفا : علا ، الحفا : رقة أخفاف الإبل من كثرة المشى ، الوجى : وجع يصيب الرجل الحفاء ، مرثومة : مشقوقة من تأثير الحجارة والحصى .

(٩٧) يرضخ : يكسر ويهشم ، الحباء : السحاب المتراكم القريب من الأرض .

لـو مـثـل الحتـف لـه قـرنًـا لما ... صـدتـه عـنـه هـيـبـة ولا انـثـنـى
ولـو حـمـى المقـدار عـنـه مـهـجـة ... لـرامـهـا أو يـسـتـبـيـح مـا حـمـى
تـغـدو المنـايـا طـائـعـات أمـره ... ترضى الذى يرضى وتأبى ما أبى

أما القوة والسرعة لفرس الشاعر ، فهما يرسمان مغلفين بمبالغة رقيقة ، لكن الأسلوب الصورى الذى يلجأ إليه فى رسم هذه المبالغة يجعل جزئياتها تمر على العين وكأن انتماء الفرس إلى عالم خيالى أمر لا غرابة فيه [٩٨].

لـو اعـتـسـفـت الأرض فـوق مـتـنـه ... يجوبها ما خفت أن يشكو الوجى
يـجـرى فـتـكـبـو الـريـح فـى غـايـاتـه ... حسرى تـلـوذ بـجـراثـيـم السـمـا
تـظـنـه - وهـو يـرى محتـجـبًـا ... عـن الـعـيـون إن نـأى وإن ردى
إذا اجـتـهـدت نـظـرًا فـى إثـره ... قـلـت سـنـى أومض أو بـرق خـفـا

وبمثل هذه الصور الجيدة المبتكرة ردد الناسَ «المقصورة» أكثر من ألف عام ، وهل يمكن أن تفلت من الإعجاب صورة الريح التى تحاول أن تلاحق الفرس فتكبو على وجهها ثم تلوذ حسرة بالأتربة المحتمية بجذوع الشجر تدفن نفسها فيها وترضى بالهزيمة.

وإذاكانت الحركة هى محور القصيدة الرئيسى فإن هناك لوحات «سكون عابر» لكنها تمر سريعًا من خلال مشهد حركة يسبقها أو يتلوها ، ومن اللافت للنظر أن تكون اللوحة الرئيسية التى كان يظن دائمًا أن القصيدة كتبت من أجلها وهى لوحة مدح أبناء ميكال ، تنتمى إلى هذا اللون وتمر عابرة بالقياس إلى التأنى والنفس الطويل الذى تشهده اللوحات الأخرى ، لقد استغرق مدح أبناء ميكال خمسة عشر بيتًا فقط (الأبيات ١٠٢ - ١١٦) من بين مائتين وستة وخمسين بيتًا هى حجم القصيدة ،

(٩٨) اعتسف : قطع الأرض دون رفق بالفرس ، الوجى : وجع يصيب الدابة من كثرة المشى ، تكبو : تتعثر لوجهها ، الجراثيم : الأتربة المتجمعة ، السحا : نوع من الشجر البرى . ذاى وردى : جرى جريًا سريعا.

وحوصرت هذه الأبيات بدورها بين مشهدين متحركين يمثل أولهما الأبيات التى أولها:

إن العراق لم أفارق أهله ... عن شنآن صدنى ولا قلى

وهى تشمل الأبيات (٩٧ - ١٠١) ويمثل الثانية الأبيات التى أولها :

إن الألى فارقت من غير قلى ... ما زاغ قلبى عنهم ولا هفا

وهى تبدأ بعد بعد مشهد المديح مباشرة من البيت (١١٧) وتمتد لكى ترسم لوحة «العاشق» المتممة للوحة الفارس ، ويرتبط العشق عنده بالبصرة ودروبها وأحيائها ووديانها ، وعلى البعد يجىء الماء بالرى والسقيا فى مشاهد تسمح للصورة المكثفة المركبة بالعودة من جديد ، بعد أن كانت لوحة المديح العابرة قد جنحت إلى لقطات الصورة العابرة المتفرقة ، ومع أن مشهد السقيا يدور فوق سماء البصرة فإنه يرتبط بالريح «الجنوبية اليمانية» التى تعيد الرمز من جديد إلى محوره [٩٩] الجوهرى :

جون أعارته الجنوب جانبًا ... منها وواصت صوبه يد الصبا

نأى يمانيًا فلما انتشرت ... أحضانه وامتد كسراه غطا

فجلل الأفق فكل جانب ... منها كأنْ من قطره المزن حبا

وطبق الأرض فكل بقعة ... منها تقول الغيث فى هاتا ثوى

إذا خبت بروقها غنت لها ... ريح الصبا تشب منها ما خبا

وإن ونت رعوده حدا بها ... حادى الجنوب فحدت كما حدا

إن البيتين الأخيرين من هذا المقطع وهما يمثلان حركة السحاب الدائبة تحت دوافع ريح الصبا وحداء الجنوب يكادان يعكسان حالة ابن دريد نفسه البطل الجنوبى

---

(٩٩) الجون : السحاب المتراكم ، واصت : واصلت ، كسراه : أطرافه ، غطا : انبسط وامتد ، جلل : غطى ، حبا : امتلأ قريبًا من الأرض ، هاتا : هذه ، ثوى : أقام ، حدا : ساقها بالحداء والغناء .

الذى يستمد دوافع الحركة والعطاء عنده من حميا المواطن الأصلية ومناخ المهجر الخصيب ، وربما يكون هذا هو الجسر الفنى الذى يجعل الشاعر يستطيع العبور من «اللوحة الموازية» إلى اللوحة المباشرة حين تسوقه هذه الصورة إلى صورة الرجل المتجلد. والتى تبدأ هذه المرة بضمير المتكلم «الأبيات ١٤٥ - ١٥٧» .

لست إذا ما بهرتنى غمرة ... مِمَنْ يقول : بلغ السيل الزبى

وتنتهى بصورة المعتدل المتسامح الصائن للعرض [١٠٠] :

إذا امرؤ خيف لإفراط الأذى ... لم يخش منى نزق ولا أذى

من غير ما وهن ولكنى امرؤ ... أصون عرضًا لم يدنسه الطخا

وصون عرض المرء أن يبذل ما ... ضن به مما حواه وانتصا

لكنها صورة يتخذها مرة أخرى جسرًا فنيًا ولغويًا يعبر به من الحديث عن الذات إلى الحديث عن الغير ، وهو يستغل هنا الانزلاق من «امرؤ» إلى «المرء» ليدخل فى الدائرة العامة ومن ثم يسوق مجموعة من شعر الحكمة الأبيات ١٦١ -١٧٤» ربما كانت فى ذاتها من الأهداف التعليمية الرئيسية للقصيدة ، لكن المرء يشعر فور وصوله إلى هذه الأبيات أنه لامس مياهًا مختلفة ، خفت فيها حدة الموج ورهبة البحر وتلبد الغيوم التى كانت تعبر عنها كثافة الصورة الماضية وتعقد أطرافها ، ونجدنا مع شعر الحكمة قد انتقلنا إلى الصورة المفردة والجملة التقريرية والمعنى الواضح :

من ظلم الناس تحاموا ظلمه ... وعز عنه جانباه واحتمى

من لم يعظه الدهر ، لم ينفعه ما ... راح به الواعظ يومًا أو غدا

من لم تفده عبرًا أيامه ... كان العمى أولى به من الهدى

---

(١٠٠) الطخا : العيب ، حواه : جمعه وملكه ، انتصى : اختار واجتبى .

وبعد أن تأخذ الحكمة مداها خلال هذه الجولة الطويلة من الأبيات الهادئة ، تعود من جديد موجة «الصورة المتحركة» تهدر شيئًا فشيئًا لكى تعيد مناخ السفر والتجوال والجنوب والشمال والوطن والحنين والشعر والمغامرة ، وتبدأ هذه الجولة الأخيرة بصورة شاعرية لسفر الرفاق وإناختهم طلبًا للراحة ، وقد أناخ الليل معهم وسامرهم النوم فسامروه ، وظلت إبلهم مسترخية لا تصنع أكثر من أن تنبش أوكار عصافير الليل ، وهدأ كل شىء ، فلا يفد على السمع إلا صوت بومة تصيح أو صدى صوت متفرد يمزق الصمت .

وفتية سامرهم طيف الكرى فسامروا النوم وهم غيد الطلى
والليل ملق بالموامى بركه والعيس ينبشن أفاحيص القطا
بحيث لا تهدى لسمع نبأة إلا تثيم البوم أو صوت الصدى
قلت لهم : إن الهوينى غبها وهن فجدوا تحمدوا غب السرى

وهو من هذا البيت يعبر إلى الحركة ومن سكينة الليل ودعته إلى ضوضاء النهار وحره ويستقبل الصحراء بعدته التى أشار إليها من قبل ، بحصانه النجيب الذى يمر دون هيبة فى كل أرجاء الصحراء :

والشخص فى الآل يرى لناظر ترمقه حينًا وحينًا لا ترى

وتبلغ الرحلة باليوم مداه الذى تصوره اللقطة الشعرية الجيدة :

أوفيت والشمس تمج ريقها والظل من تحت الحذاء يحتذى

ويعود إلى الوحدة وسكون الليل ، وإبقاء النار التى تجذب نحوه طارقًا غريبًا نافرًا يأنس بالذئب إذا عوى ويحتقر هول دجى الليل ويبدو للشاعر كأنه من رؤى الأحلام ويتساءل أى ريح ألقت إلى «فارس» وقفارها بهذا الغريب العربى ، وسيقودنا التأمل فى ملامح هذا الطارق النافر ومن خلال اتباع منهج المزج بين «اللوحة الموازية» و«اللوحة

المباشرة» إلى أن هذا الطارق المواجه للشاعر «فى رؤى الأحلام» ليس إلا الشاعر نفسه الذى يعود إلى ضمير المتكلم ليتحدث عن وطنه والدوافع التى أزعجته عنه مع أنه لم يضق به ، ولننظر إلى الأبيات التى تمثل هذه الصورة المكثفة العميقة :

وطارق يؤنسه الذئب إذا ... تضور الذئب عشاء وعوى
أوى إلى نارى وهى مألف ... يدعو العفاة ضوؤها إلى القرى
لله ما طيف خيال زائر ... تزفه لقلب أحلام الرؤى
يجوب أجواز الفلا محتقرًا ... هول دجى الليل إذا الليل انبرى
سائله إن أفصح عن أنبائه ... أنى تسدى الليل أو أنى اهتدى
أو كان يدرى قبلها ما «فارس» ... وما مواميها القفار والقرى
وسائلى بمزعجى عن وطن ... ما ضاق بى جنابه ولا نبا
قلت القضاء مالك أمر الفتى ... من حيث لا يدرى ومن حيث درى

وهكذا يقوده المطاف إلى «وطنه» البعيد الذى أزعجته المقادير عنه والذى كان قد بدأ به قصيدته ليحدث نوعًا من الترابط المحكم فى أرجاء القصيدة الواسعة ، حول وحدة شخصية الجنوبى الطموح المغامر الفارس العاشق، الحكيم . وكل ذلك من خلال منطق الشعر وأدواته وكثافة الصورة حينًا ، وخفتها حينًا آخر وظهورها فى كتل متراصة تارة ، وفى آحاد منفردة تارة أخرى ، تبعًا لإيقاع النفس ودرجة الحس، وإشارات الشاعرية الصناع . وكل ذلك هو الذى ضمن لمقصورة ابن دريد هذا الحظ الوافر من الشهرة والذيوع والتأثير .

قد يتسع الحديث إذا امتد بنا إلى بقية نتاج ابن دريد الشعرى من حيث البناء الفنى واللغوى ، ومن حيث العوالم التى يستثيرها فى نفسه ويطبعها فى نفوسنا ونحن

لم نعمد إلى الوقوف خاصة أمام شعر ابن دريد الذى يغرى بالتناول إلا من خلال موقعه من تكون ثقافته وأثرها على تطور النص ، ولعل هذا الوقوف المفصل أمام أطول قصائد ابن دريد وأشهرها جعلنا نأخذ حسوات كافية من ماء تلمسنا مذاقه وشارفنا جانبًا من خصائصه وروافده ونأمل أن يكون قد أحدث فى نفوسنا بعض الرى .

ابن دريد الأديب الناثر
الخصائص الفنية لأحاديث ابن دريد

ابن دريد الأديب الناثر

الخصائص الفنية لأحاديث ابن دريد

برغم طول باع ابن دريد فى مجال اللغة ، وأخذه لزعامة مدرسة البصرة ذات الاتجاه النحوى اللغوى الواضح ، وبرغم تخرجه على يد شيوخ اللغة فى عصره وتخرج أئمة النحو واللغة على يديه ، برغم هذا كله فقد كانت سمته الأدبية شديدة الوضوح ، وعد فى عصره من كبار من يؤخذ الأدب على يديهم ، ومن الشائع فى تراجم ذلك العصر أن يقال إن فلانًا رحل إلى البصرة أو بغداد فسمع الحديث من فلان وقرأ النحو على فلان وأخذ العربية والأدب من ابن دريد ، وقد انتهى معاصروه وتلاميذه - كما سبقت الإشارة - إلى القول بأنه رجل ازدحم العلم والشعر فى صدره ، وإذا كان أبو حيان التوحيدى قد حيرهم بتفوقه في مجالى الفلسفة والأدب معًا فعدوه فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة فقد كان لابن دريد الشأن ذاته فى تفوقه فى مجالى الأدب والعلم معًا فهو من هذه الناحية أديب العلماء وعالم الأدباء إذا كان لابد من التصنيف.

والذى يلاحظ على بعض معاجم الأدب التى تكتب باللغات الأجنبية حين تعرضها للأدباء العرب وهى تستصفى من كل أديب خلاصة ما يمكن أن يقال عنه فى سطور معدودة ، أنها حين تستصفى ما يقال عن ابن دريد تضع أدبيته فى صدر ما يذكر حوله ، يذكر فيليب فان تيجم فى معجمه الفرنسى عن الآداب أن ابن دريد «الذى عاش من عام ٨٣٧ م إلى ٩٣٣ م كان لغويًا شاعرًا أديبًا عربيًا ، وأنه مؤلف قاموس وعدة أعمال لغوية ذات صلة شديدة بالأدب» (١٠١) .

(101) PHILIPE VAN TIEGHME DICITIONNARIE DES LITTERATURES TOM II P. 1912 PUF PARIS 19688.

وأدبية ابن دريد يمكن أن يلتقى بها المرء فى كثير من مؤلفاته ، وحتى المؤلفات ذات الصبغة اللغوية الخالصة ، نجدها مليئة بالمادة الأدبية التى ترفدها والتناول الأدبى الذى يؤولها ، لكننا سنكتفى فقط بالوقوف أمام الأدب الخالص المتمثل فى النصوص النثرية الإبداعية المنسوبة لإبن دريد ، كما وقفنا أمام جانب من نصوصه الشعرية من قبل .

ولا شك أن أشهر النصوص النثرية لابن دريد هى «أحاديث ابن دريد» التى نقل بعضًا منها تلميذه أبو على القالي فيما أملاه على الأندلسيين فى كتاب الأمالى .

وغالب الظن أن هذه الأحاديث لم يصل إلينا منها إلا قدر يسير ، وأن كثيرامنها لم يدون أصلا أو دُوِّن وضاع فيما ضاع من تراث ابن دريد ، والذى يحملنا على هذا الظن هو ما يلى :

١ - أنه ليس بين يدينا من بين كتب ابن دريد كتاب دون فيه أحاديثه أو حكاياته التى لا نعلم من أى فترة من العمر بدأ يصوغها ، والتى تدل صياغة ما بقى منها على أنها كانت جزءًا من نسيج الرواية الأدبية واللغوية عنده أو جانبًا من طريقته فى الدرس ، وكلا المظهرين امتدا فى حياة ابن دريد فترة ، لنقل على الأقل أنها شغلت معظم النصف الثانى من عمره من نحو سنة ٢٨٠ إلى ٣٢١ هـ .

٢ - أن ما وصلنا من هذه الأحاديث وصل مدونًا فى أمالى أبى على القالى ، الذى «أملاه من حفظه» كما قال ، فى دروس الخميس بمسجد قرطبة والمسجد الجامع بالزهراء وقد وصل القالى إلى بغداد عام ٣٠٣ هـ ، فى حين مات ابن دريد عام ٣٢١ هـ أى أن الفترة التى يحتمل فيها لقاء التلميذ بالأستاذ ، ثم إعجابه بالطريقة، ثم اشتداد الصلة ، ثم التدوين فترة لا تتجاوز الخمسة عشر عامًا بكثير ، أى أنها أقل من نصف الفترة التى قضاها ابن دريد محاضرًا فى حلقات الدرس وراويًا لآثار القدماء وأحاديثهم .

٣ - ذكر عن هذه الأحاديث أنها «أربعون حديثًا» لكن هذا التحديد لا ينبغى أن يخدعنا ، ولا أن يفهم منه الرقم على حقيقته ، ولنعد إلى أقدم نص ورد فيه هذا التحديد ، فقد ذكر أبو إسحاق بن على الحصرى القيروانى ، المتوفى عام ٤٥٣هـ فى كتابه «زهر الآداب» عند حديثه عن بديع الزمان الهمذانى ما يلى : (١٠٢) «ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدى أغرب بأربعين حديثًا وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره واستنتجها من معادن فكره ، وأبداها للأبصار والبصائر وأهداها للأفكار والضمائر فى معارض أعجمية ، وألفاظ حوشية فجاء أكثر ما أظهر تنبو عن قبوله الطباع ، ولا ترفع له محبتها الأسماع ، وتوسع فيها إذ صرف ألفاظها ومعانيها فى وجوه مختلفة ، وضروب متصرفة ، عارضها بأربعمائة مقامة فى الكدية تذوب ظرفًا وتقطر حسنا لا مناسبة بين المقامتين لفظًا ولا معنى ، وعطف مساجلتها ووقف مناقلتها بين رجلين سمى أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبا الفتح السكندرى ، وجعلهما يتهاديان الدر ويتنافثان السحر فى معان تضحك الحزين وتحرك الرصين».

ولقد ورد فى هذا النص أن أحاديث ابن دريد «أربعون» وأن مقامات بديع الزمان «أربعمائة» وكان بديع الزمان نفسه قد أشار إلى أنه أملى فى الكدية «أربعمائة مقامة لا مناسبة بين المقامتين لا لفظًا ولا معنى» وأشار مرة أخرى فى رسائله إلى أنه يقدر على «أربعمائة صنف من الترسل» (١٠٣) وهذه الإشارات التى أخذ بها الحصرى هى التى حيرت الشيخ محمد عبده عندما حقق مقامات الهمذانى ولم يجد العدد المطلوب وأشار إلى ذلك فى المقدمة : «وقد قالوا إنه أنشأ من المقامات زهاء أربعمائة مقامة ،

---

(١٠٢) زهر الأداب وثمر الألباب لأبى إسحاق إبراهيم بن على الحصرى القيروانى ، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم الدكتور زكى مبارك حققه وزاد فى تفصيله وضبطه وشرحه محمد محيى الدين عبد الحميد ، ج ١ ص ٣٠٥ - الطبعة الرابعة ١٩٧٢ دار الجيل - بيروت .

(١٠٣) رسائل البديع ص ٧٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٥١٦ ، نقلاً عن الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع ص ٤٤٢ .

لكن لم يظفر الناس منها اليوم بغير عدد قليل ينيف على الخمسين ، طبع مجموع فى الأستانة العليا» [١٠٤] .

والواقع أن رقم الأربعمائة عند البديع غير دقيق وقد أشار إلى هذا آدم ميتز فى عبارة خاطفة عندما قال : «وينبغى ألا نعتبر الأربعمائة رقمًا دقيقًا» [١٠٥] فلم تكن هناك فى الحقيقة أربعمائة مقامة ، ولكن كانت هناك مقامات كثيرة ، ولم يكن هناك أربعمائة صنف من الترسل ، وإنما كانت هناك أصناف كثيرة ، وبالمثل فلم يكن هناك أربعون حديثًا لابن دريد ، وإنما كانت هنالك أحاديث كثيرة ، ومفهوم الأرقام فى اللغة العربية [١٠٦] يسمح باستخدام أعداد معينة للدلالة على المبالغة لا على التحديد المطلق مثل رقم السبعة ورقم السبعين ، وقد جاءت فى ا لقرآن الكريم آيات مثل : ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ وهناك اتفاق على أن السبعين هنا تعنى الكثرة دون التحديد ، ويبدو أن الأربعة ومضاعفاتها فى اللغة تعطى أيضًا هذا الانطباع ، والآثار التى تحض على صلاة العشاء والفجر فى جماعة «أربعين ليلة متوالية» يفهم منها الحض على الإكثار دون التوقف عند الليلة الواحدة والأربعين، والتراث الشعبى ما زال يحمل كثيرًا جدًا من دلالات المبالغة فى رقم الأربعة ومضاعفاتها وعندما تسمى إحدى الزواحف بأنها «أم الأربعة وأربعين» فإن الدلالة هى كثرة أرجلها لا حصر عددها ، وعندما تتحدث القصص الشعبية عن «على بابا والأربعين حرامي» فمعنى الكثرة وحده هو المفهوم .

ولا شك أن هذا هو المعنى الذى فهم فى القرن الرابع عندما سار بأن لابن دريد

---

(١٠٤) مقامات أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى وشرحها للعلامة الفاضل الشيخ محمد عبده المصرى ص ٦ - الدار المتحدة للنشر - بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣م .

(١٠٥) هامش ٢ ص ٤٤٢ الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع .

(١٠٦) حول دلالات الأعداد على المبالغة فى اللغات والآداب العالمية ، انظر كتابنا نظرية الأدب المقارن وتجلياتها فى الأدب العربى ، مبحث «ألف ليلة وليلة» - مكتبة غريب - القاهرة سنة ٢٠٠١ م .

«أربعين حديثًا» أى أحاديث كثيرة ، فجاء الهمذانى لكى يقول أنا لى عشرة أمثالها «أربعمائة حديث» وصنوف الترسل عندى لا نهاية لها تضم أربعمائة صنف .

وعلى هذا النحو فقد أتعب الشيخ محمد عبده نفسه حين أخذ ينتظر بقية المقامات الأربعمائة ، وأتعبنا نحن أنفسا أيضًا حين أخذنا نعد فى أمالى القالى الأحاديث الأربعين فوجدناها لا تقف عند هذا العدد ولا تنحصر فيه ، وإنما تدل فقط على كثرة ما كان لابن دريد من أحاديث وصل إلينا قدر منها على يد تلميذه أبى على القالى وكذلك صنع الدكتور شوقى ضيف حين ربط بين تأليف بديع الزمان لمقاماته والدروس التى كان يلقيها على الطلاب فى نيسابور وهى دروس يظن الدكتور ضيف أنها كانت أحاديث ابن دريد : «ونظن ظنًا أنه كان يعرض عليهم أحاديث ابن دريد الأربعين التى اتجه بها إلى غاية تعليم الناشئة أساليب العرب ولغتهم» لكن هذا الربط الذى صنعه يجعله يحار فى كيف يصنع الهمذانى أربعمائة مقامة فى معارضة «أربعين حديثًا» وربما كان ذلك غلطًا من ناسخ الرسائل ، فمجرد معارضة بديع الزمان لابن دريد فى أحاديثه الأربعين يقتضى أن تكون أحاديثه أو مقاماته أربعين أيضًا ، ويظهر أنه صنع فى نيسابور أربعين مقامة فقط ، ثم رأى أن يزيد عليها مقامات أخر بعد مبارحته لها ، فزاد ستًا فى مديح خلف بن أحمد أثناء نزوله عنده كما زاد خمسًا أخرى وبذلك أصبحت المقامات نيفًا وخمسين» (١٠٧) .

وهكذا فإن فهم العدد على حرفيته هو الذى دعا إلى ضرورة افتراض المطابقة بين الأعمال التى فيها معارضة ، وإلى افتراض خطأ النساخ فى نقل العدد وكتابته ، غير أن كتابًا آخرين ينتبهون إلى عدم صحة العدد بالمعنى الحرفى ؛ يقول مارون عبود

(١٠٧) د. شوقى ضيف : المقامة ص ١٦ وما بعدها سلسلة فنون الأدب العربى الفن القصصى - دار المعارف - القاهرة الطبعة الخامسة ١٩٨٠.

عن الهمذانى : «وفى نيسابور أملى مقاماته المشهورة ، ويزعم المؤرخون أنها أربعمائة عدًا ولكن هذا غير صحيح لم يقل بهذا غير الهمذانى نفسه» (١٠٨) .

نحن إذن أمام فن نثرى لابن دريد هو الأحاديث ، كتب منه قدرًا كبيرًا ووصلنا جانب منه ، ومن خلال هذا الذى كتبه نشأ فن المقامة عند العرب على يد بديع الزمان متأثرًا بابن دريد ، وامتد فن المقامة بدوره من البديع إلى الحريرى وغيره من الكتاب العرب ، ثم انتقل إلى الأدب الفارسى وترك بعض آثاره فى الآداب الأوروبية وفى فن القصص خاصة (١٠٩) .

ويقتضى الإنصاف العلمى إلى أن يشار إلى من كان له الفضل فى الإشارة إلى الصلة بين أحاديث ابن دريد وفن المقامات وهو الدكتور زكى مبارك . والظروف التى قادت زكى مبارك إلى كشف هذه الصلة ، يمكن تلمسها من خلال تاريخ مؤلفاته ، فقد وقعت طبعة قديمة من كتاب زهر الآداب للحصرى فى يد زكى مبارك وكانت مطبوعة على هامش كتاب العقد الفريد من غير ضبط ولا شرح ، وقد وصفها زكى مبارك حين قال : «وكان يكفى أن يطبع الكتاب طبعة أزهرية ليصبح مثالاً فى المسخ والتشويه» ودخلت هذه النسخة المعتقل مع زكى مبارك عام ١٩٢٠ م ، حين قضى به تسعة أشهر (١١٠) قرأ خلالها الكتاب وعنى بضبطه وتصحيح أخطائه تمهيدًا لإصداره سنة ١٩٢٥م ولا شك أنه خلال ذلك تنبه لنص الحصرى الذى نبه فيه إلى العلاقة بين الأحاديث والمقامات .

---

(١٠٨) مارون عبود : بديع الزمان الهمذانى ص ١٨ سلسلة نوابغ الفكر العربى – الطبعة الخامسة – دار المعارف – القاهرة ١٩٨٠ .

(١٠٩) لمزيد من التفصيل حول هذه القضية انظر د. غنيمى هلال ، النقد الأدبى الحديث ص ٤٩٦ وكذلك كتابه الأدب المقارن ص ٢٢٣ وما بعدها ، وانظر كذلك د. شوقى ضيف : المقامة ص ١٦ وما بعدها ، وزكى مبارك : النثر الفنى فى القرن الرابع ص ٢٤٨ ، وبروكلمان فى دائرة المعارف الإسلامية مادة مقامة.

(١١٠) انظر مقدمة الطبعة الأولى لزهر الأدب .

ثم سافر مبارك بعد ذلك إلى فرنسا ، وهناك أعد رسالة لدكتوراة الدولة حول النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى نوقشت عام ١٩٣١ م وأثار خلالها الصلة التى تضمنها نص الحصرى وسبق ابن دريد إلى هذا الفن ، وقد نبهه أستاذه ديمومينى إلى أن المستشرق الألمانى بروكلمان سبقه بإشارة إلى نفس الصلة فى مقال له بدائرة المعارف الإسلامية ، وعاد مبارك إلى مقال بروكلمان ونقل فى كتابه - النص الفرنسى لإشارة بروكلمان وترجمته : «أى أن الهمذانى يكون قد استوحى الأربعين لابن دريد ونحن لا نستطيع أن نصدر أى حكم بهذا الشأن ، لأن هذا الكتاب لم يصل لنا» .

وإذن فبروكلمان كان بدوره قد قرأ فى كتب الأدب العربى القديم عند الحصري أو غيره عن احتمال وجود العلاقة بين الأحاديث والمقامات ، وتولى زكى مبارك التركيز على القضية والإشارة إلى نص الحصرى وإثارة بعض التساؤلات حول أوجه الربط والتشابه .

ولكن ما هى أهم نقاط المشابهة والمقارنة بين أحاديث ابن دريد ومقامات البديع ؟

إن الباحث يمكن أن يعتمد على كتاب الأمالى لأبى علي القالى ، وهو مكتظ بالرواية عن ابن دريد لتتكون لديه صورة معقولة عن عالم أحاديث ابن دريد ودوافعها وأبطالها ولغتها والهدف منها ، وهى صورة وإن لم تكن كاملة فإنها يمكن أن تكون معبرة يشير الجزء الوافى المطروح بين أيدينا إلى الكل «الغائب» وقد اعتمدنا فى رسم ملامح الصورة على نحو مائة وتسعين رواية أوردها القالى لابن دريد تتنوع ما بين خبر وحديث، ووضعنا فى الاعتبار كمًّا آخر أورده القالى تحت عنوان أنشدنا أبو بكر أو قرأت على أبى بكر وما يرد تحت هذا العنوان يتضمن غالبًا نصوصًا شعرية تعقبها تفسيرات لغوية وقد تجر بدورها إلى سرد خبر أو حديث .

لكننا قبل أن نبدأ فى رسم ملامح هذه الصورة نود أن نشير إلى حديث منفرد

من أحاديث ابن دريد لم يشر إليه صاحب الأمالى ، وإنما أشار إليه زكى مبارك نقلاً عن جامع ديوان أبى نواس ، وهو حديث يحمل قدرًا كبيرًا من الفكاهة والدعابة وإشارات إلى البادية والعشق ، وهى ملامح تميز بها النثر فى تلك الفترة وحملتها ألوان كثيرة منه ، ويدور هذا الحديث حول حج أبى نواس لبيت الله الحرام وما يثيره هذا الموضوع من تصور المفارقات بين العاشق الماجن والحاج الورع فى نفس أبى نواس .

ويدور حديث ابن دريد حول ما عرض لأبى نواس أثناء رحلة الذهاب إلى الحج حين انهمر المطر غزيرًا فى أرض بنى فزارة فلجأ أبو نواس إلى الخيام فإذا جارية حسناء مبرقعة تنظر إليه بجفن ساحر وإذا هو يحدثها تتثنى وتتدلل وهى تقدم له الماء فينسى أبو نواس ورع الراحل إلى الحج ويدخل معها فى غزل مكشوف وهى تُطْمِعه قليلاً حتى يدق طبل الرحيل فيرحل وفى قلبه حسرة وعزم على المعاودة أثناء الرجوع من الحج وهو عزم لم يثنه عنه أداء مناسك الحج فمر على الخيام فى طريق العودة ، وأعاد المحاولة ولكنها انتهت بخيبة أمله» (١١١) .

وإذا انتقلنا بعد هذا إلى ما رواه صاحب الأمالى فإننا سنجد الأحاديث فى مجملها تنزع منزعًا تعليميًا لغويًا بمعنى أنها تسوق الحكمة أو النادرة أو الطرفة فى قالب لغوى يستدعى غالبًا من سامعه أن يسأل عن كثير من معانى ألفاظه بعد أن يكون قد أحاط بالخيط العام أو الرواية ، وهنا يأتى دور العالم اللغوى ابن دريد ، فيظهر خبرته الواسعة فى فهم الألفاظ وتصريفها والمعرفة بالأخبار وتأويلها ، وهذا الهدف فى ذاته ، جعل كثيرًا من هذه الأخبار يصاغ فى لغة تجنح إلى الغريب ، وهو مستوى لغوى كان أهل القرن الخامس الهجرى أنفسهم يعتبرونه غريبًا ، ولعل ذلك يفسر عبارة الحصرى فى النص الذى أشرنا إليه : «فى معارض أعجمية وألفاظ حوشية فجاء أكثر ما أظهر

(١١١) انظر القصة فى : العقد الفريد لابن عبدربه ج ٦ ص ٣٠٤ وما بعدها ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، تقديم خليل شرف الدين - بيروت ١٩٨٦م . ويلاحظ أنه لم تأت فى رواية العقد الفريد الإشارة بوضوح إلى ابن دريد على أنه صاحب الرواية ، وإنما أشير إلى أبى بكر ، وكذلك فعل صاحب حدائق الأزهار .. وفى المسألة إذن نظر .

تنبو عن قبوله الطباع ولا ترفع له حجبها الأسماع» ومع أن الهمذانى بنى مقاماته المعارضة لابن دريد على أساس تلافى خاصة «الإغراب» فإنه لم يتقدم كثيرًا إذ ظلت مقاماته هو أيضًا مليئة بالغريب ، بل ظلت الغرابة والبحث عن تفسيراتها وما يتبع ذلك من هدف تعليمى سر بقاء المقامات زمنًا طويلاً من ناحية وسر انكماشها وعدم تطورها من ناحية أخرى ، ومن هنا فإن المقامات تعتبر امتدادًا للأحاديث من حيث الهدف التعليمى والمستوى اللغوى حتى وإن اختلفت الدرجة قليلاً هنا أو هناك .

أما الإطار الذى قدمت فيه كل من الأحاديث والمقامات فقد اختلف قليلاً وساعد ذلك على تطور أسرع ونمو أكبر للمقامات ، وإن كان هذا الاختلاف يضع إطارهما من الناحية الفنية على سلم تطورى واحد ، ذلك أنه يمكن وصف إطار الأحاديث بأنه «إيهام بالصدق» على حين أن إطار المقامات يوصف بأنه «تصريح بالخيال»، فقد كان ابن دريد يصدر كل خبر أو حديث بسلسلة من الرواة وهى سلسلة تبدأ بأناس معروفين وتنتهى بأناس معروفين أحيانًا ومجهولين فى أكثر الأحايين ، فالقالى يصدّر أحاديث ابن دريد بأسانيد على هذا النحو :

١ - «حدثنا أبو بكر رحمه الله قال : أخبرنا عبدالرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيًا ..»

٢ - حدثنا أبو بكر بن دريد قال : أخبرنى عمه عن أبيه عن ابن الكلبى قال : وفد علبة بن مسهر الحارثى والمنتشر أحد فوارس الأرباح إلى ذى قائش الملك الحميرى..»

٣ - حدثنا أبو بكر بن دريد قال : أخبرنا الرياشى عن ابن سلام قال : بلغنى أن الأحوص دخل على يزيد بن عبد الملك..»

هذه هى الأنماط الثلاثة التى تدور غالبًا حولها الأحاديث وكلها تبدأ برواة معروفين لكنها تنتهى بمروى عنهم تختلف درجاتهم ، فقد لا يحظى بأى درجة من التعريف مثل «أعرابى» أو «امرأة من العرب» أو «غلام يصف دار أبيه» أو «غلام يمنى

يصف عنزة ضائعة» وهى أوصاف لا تقدم أى تحديد ، وتشيع فى الأحاديث وتمثل النمط الأول من الرواية .

أما النمط الثانى من الأحاديث فهو ينتهى بشخصيات نصف أسطورية مثل ذى قائش الملك الحميرى وحديث علبة بن المسهر والمنتشر عنده ، ومثل عامر بن الظرب وحممة بن رافع الدوسى واجتماعهما عند بعض أقيال حمير . ويلاحظ أن هذا النمط ينتهى غالبًا بروايات تسند إلى تاريخ الجنوب القديم وهو تاريخ لم يكن مدونًا ولا موثقًا وكان هذا يعطى فرصة لخيال الرواة حوله .

أما النمط الثالث فكان ينتهى بمروى عنهم معروفين مثل الأحوص ويزيد بن عبد الملك ، وكثير من روايات هذا النمط تنتهى إلى أسماء شعراء معروفين كدريد بن الصمة والخنساء وكُثَيِّر عزة وجميل ، أو شخصيات سياسية بارزة كعمر بن عبد العزيز وزياد والحجاج ، وبعضها روايات تنتهى إلى أقوال الرسول ﷺ .

- ويلاحظ فى هذا النمط من الروايات أنها تقف عند العصر الأموى وما سبقه من العصر الإسلامى وعصر ما قبل الإسلام ولا تمس العصر العباسى مع أنه كان قد مضى عيه نحو قرنين من الزمان عند وفاة ابن دريد لكنه كان بالتأكيد مازال يمثل «المعاصرة» عند أبناء القرن الثالث ، والرابع ، وجودة الخبر تقتضى جنوحه إلى الغرابة والقدم .

هذه الأنماط التى اتبعها ابن دريد فى رواية أحاديث أدبية كانت تتفق فى كثير من ملامحها مع سلسلة الرواية التى كان يتبعها هو وغيره من العلماء فى رواية أحاديث علمية مثل إسناد الشعر وإسناد الأخبار التاريخية ، وإسناد الروايات اللغوية ، ومن قبل ذلك كله طرائق الإسناد المحكمة فى روايات الأحاديث النبوية ، وما صاحبها من قيام علوم تحميها من العبث مثل علوم الجرح والتعديل .

وهذا الخلط - فيما يبدو لى - بين طريقة إسناد «علمية» من شأنها التمسك بالحقائق وطريقة إسناد «أدبية» من شأنها الجنوح إلى الخيال هو الذى ألحق بعض الضرر بأحاديث ابن دريد ، فقد انتهز المتشددون الفرصة ليشككوا فى صحة السند وليتهموا ابن دريد بالكذب والتلفيق ، ولتنتقل المناقشة من ثم ، فتدور حول سند الرواية لا حول الرواية ذاتها ، وفسد تبعًا لذلك متعة العمل الأدبى بسبب ما قدم فيه من إطار علمى.

ويبدو أن ابن دريد نفسه كان يحس فى بعض المراحل بحاجته إلى مزيد من «الإيهام بالصدق» فيصدر خبره بمزيد من عوامل التشويق والتأكيد ، كان يقول فيما يرويه القالى مثلا : (١١٢) «حدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال : كان أبو حاتم يضن بهذا الحديث ، ويقول : ما حدثنى به أبو عبيدة حتى اختلفت به مدة ، وتحملت عليه بأصدقائه من الثقفيين وكان لهم مواخيًا قال : حدثنا أبو حاتم قال : حدثنى أبو عبيدة قال : حدثنى غير واحد من هوازن من أولى العلم وبعضهم قد أدرك أبوه الجاهلية أو جده ، قال : ... وواضح أن سلسلة الإيهام والتأكيد على صدق الحديث شديدة القوة، فراويه الأول يضن به على الناس ، وطالبه يضطر أن يصادقه زمنًا من أجل الحصول على الخبر فلا يستطيع ، فيستعين بجماعة من أصدقائه الثقفيين ، بينه وبينهم مؤاخاة فيحملهم عليه ، فإذا لان الراوى أكد بدوره أن سلسلة الإسناد التى اعتمد عليها متينة ورواتها إن لم يكونوا قد شهدوا الجاهلية فإن آباءهم أو أجدادهم على الأقل كانوا من شهودها - وكل تلك مشوقات ومؤكدات على صدق الخبر المتوقع فإذا جاء الخبر بعد ذلك لا نجد فيه كثيرًا من الإثارة فهو لا يعدو أن يكون دعوة ملك من ملوك حمير لحكيمين هما عامر بن الظرب وحممة بن رافع الدوسى وتركهما يطرحان تساؤلات بينهما أمامه ، مثل : أين تحب أن تكون أياديك ؟ من أحق الناس بالمقت ؟ من أحق الناس بالمنع ؟ من أجدر الناس بالصنيعة ؟ ولا تخرج الإجابة عن إطار ما هو مألوف فى الحكمة العربية .

---

(١١٢) انظر الأمالى ج ٢ ص ٢٧٦ .

هذا الإطار الذى دعوناه «الإيهام بالصدق» والذى غلف الأحاديث بأغلفة كثيفة وأثار حولها بعض الظنون تلافاه البديع فى مقاماته فى إطار «التصريح بالخيال» وذلك حين اختصر قصة السند الطويل إلى رجل واحد هو «عيسى بن هشام» وقصة الأبطال المتعددين من واقعيين وأنصاف واقعيين ومتخيلين إلى بطل واحد هو «أبو الفتح السكندرى» وكان واضحًا منذ البدء أنهما من صنع خياله ، لم يدع غير ذلك ولم يجعله موضعًا للنقاش فتركزت المتعة كلها فى «الرواية» دون التنغيص بمشاكل الراوى ، وخرجت «المقامات» من مأزق دخلت فيه «الأحاديث» وحاولت من خلاله أن تعبر مرحلة وسطا بين تذوق الصدق الحقيقى ، وتذوق «الصدق الفنى».

إذا كانت فكرة «الإطار» واحدة من الأفكار التى تطرح من خلالها المقارنة بين الأحاديث والمقامات ، فإن فكرة «الماضى والحاضر» يمكن أيضًا أن تشكل ملمحًا آخر فى هذه المقارنة ، والذى يلاحظ كما ألمحنا من قبل أن أحاديث ابن دريد تتخذ من الماضى القريب والماضى البعيد مجالاً لها دون أن تلامس تخوم الحاضر بمعناه الواسع ، وإذا كانت تصعد من عصر الأمويين فى الشخصيات التاريخية فإنها تنتهى إلى مجاهل التاريخ القديم فى شبه الجزيرة العربية وعلى نحو خاص فى جنوب الجزيرة ، وهو الشطر الذى ينتمى إليه ابن دريد ، وفى هذا الإطار تساق أحاديث مثل حديث بنت قيل من أقيال حمير منع الولد ثم ولدت له بنت فعزلها عن جنس الرجال ووكل بخدمتها من النساء ، فأشرن عليها يومًا بالزواج فسألتهن عن أهميته وفوائده ، وراحت كل واحدة منهن تحكى مزايا الزواج ، فاقتنعت ، وأخذن يبحثن لها عن الزوج المناسب ، واختارت من بين المرشحين من توسمت فيه الخير ، ثم أجزلت العطاء لمستشاراتها [١١٣] . أو أن نجد محاورة بين قيلين من حمير تنازعا حينًا طويلاً ثم اهتديا إلى سلام بينهما [١١٤] أو حديثًا

---

(١١٣) المرجع السابق ١ : ٨٠ .

(١١٤) المرجع السابق ١ : ٩٢ .

بين ذى قائش الحميرى وعلبة الشاعر [115] أو رجلاً من حمير يسأل أبناءه عن خبرتهم فى الزمن [116] أو عن حزن ذى رعين أحد ملوك اليمن وقد مات أخ له [117] وإلى هذا البعد الزمنى الموغل ينتمى أيضاً لون من أحاديث ابن دريد يتصل بالكهانة والكهان وتساق خلاله خطبهم المسجوعة ونبوءاتهم التى تصدق فى بعض الأحايين ، وإعلان بعضهم الاعتراف بنهاية عصر الكهانة بعد ظهور عصر النبوة ، أو اختبار بعض الناس لسواد بن قارب ومعرفته بالخبأ [118] والحاضر فى أحاديث ابن دريد يمكن أن يظهر فقط فيما ينسب إلى الأعراب من أحاديث دون تحديد إطار زمنى لها ، أو بعض ما ينسب إلى الأصمعى وأبى عمر بن العلاء وهى أخبار تدور عادة فى إطار التفسير اللغوى لا القصصى .

أما مقامات البديع فقد تقدمت من هذه الناحية خطوة نحو «الحاضر» وأدارت بعض أحاديثها حول أناس معاصرين ، ومن أبرزها هذه المقامات الست التى كتبها الهمذانى فى مدح خلف بن أحمد صاحب سجستان – مثل المقامة الناجمية والمقامة الخلفية النيسابورية والمقامة الملوكية ، وهناك مقامات تتحدث عن أناس قريبى العهد مثل المقامة الجاحظية التى تتحدث عن أسلوب الجاحظ والمقامة الصيمرية التى تتحدث عن محمد بن إسحق الصيمرى المتوفى سنة ٣٢٥ هـ .

ولعل نزعة ابن دريد إلى أن يؤكد نزعة «الإيهام بالصدق» فى حديثه جعلته يلجأ إلى الماضى البعيد حيث مظنة الغموض والغرابة ، وابتعاد خاطر التحقق من صحة الأحداث أو عدمها ، وفى المقابل فإن الجانب «الواقعى» فى مقامات الهمذانى ، غلف بالخيال الصريح فى شخصية الراوى والبطل فتعادلت الأمور تعادلاً جعل محكها الصدق الفنى وليس الصدق الواقعى .

(١١٥) المرجع السابق ١ : ٢٣٠ .
(١١٦) المرجع السابق ١ : ١٥٢ .
(١١٧) المرجع السابق ٢ : ٩٨ .
(١١٨) المرجع السابق ١ : ١٢٦، ١٣٤ ، ٢ : ٢٨٩ .

«القالب القصصى» واحد من النقاط المشتركة كذلك بين الأحاديث والمقامات على اختلاف فى الدرجة والإحكام والأطراد ولا شك أنه فى كل منها توجد طرائق قصصية فى التعبير أحيانًا وطرائق أخرى مباشرة فى الحكم أو الموعظة أو التعليم أو المدح أو الذم أحيانًا أخرى ، وإن كان الفارق الرئيسى المتمثل فى غياب أخبار ابن دريد كاملة، وعدم تسجيلها مكتوبة لا على يد ابن دريد ولا سماعًا منه ، وإنما تسجيلها فقط من حفظ أبى على القالى وإملائه على تلاميذه بقرطبة ، بعد فترة من سماعها من ابن دريد ، هذا الفارق يترك الباب مفتوحًا دائمًا لاحتمال وجود سمات فنية ضاعت نتيجة لاختلاط الأخبار فى الذاكرة الحافظة أو اختلال الترتيب بها فضلاً عن احتمالات ضياع جانب كبير وضياع سماته معه .

وفيما يرويه القالى عن ابن دريد يمكننا أن نجد أنماطًا كثيرة : فهناك «الخبر» المجرد الذى لا يهتم كثيرًا بالبحث عن الشكل القصصى بقدر اهتمامه بسياق الحكمة أو تفسير الغريب ، وهو شائع فى مثل قوله : (١١٩)«حدثنا أبو بكر قال : أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيًا يقول : صن بالحلم عقلك ومروءتك بالعفاف ونجدتك بمجانبة الخيلاء وخلتك بالإجمال فى الطلب» .

وهناك إلى جانب ذلك «المشهد القصصى» الذى يحكى جانبًا من حدث لا يصل بالضرورة إلى نهايته فى مثل قوله «وحدثنا أبو بكر قال : أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعى قال : رأيت أعرابيًا يصلى وهو يقول : (١٢٠)«أسألك الغفيرة والناقة الغزيرة والشرف فى العشيرة فإنها عليك يسيرة» فمع أن بعضًا من خيوط القصص بدأت بتحديد البطل والهيئة والحدث وما يترتب على ذلك من توقعات ومفارقات فإن المشهد وقف عند هذا مكتفيًا بتحقيق الغرض وهو غرابة الدعاء وإثارة السامع من خلاله .

---

(١١٩) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٩ .

(١٢٠) المرجع السابق ٢ : ٢١ .

وهناك «الموقف القصصى» الذى قد يكون قصيرًا لكنه يساق مكتملاً متضمنًا النتيجة والتعبير البليغ عنها أو الحكمة المستخلصة منها كالرواية التى تقول : (١٢١) «وحدثنا أبو بكر قال : أخبرنا عبدالرحمن عن عمه قال : قيل لأعرابى : من لم يتزوج امرأتين لم يذق حلاوة العيش ، فتزوج امرأتين ثم ندم فأنشأ يقول :

تزوجت اثنتين لفرط جهلى ... بما يشقى به زوج اثنتين
فقلت أصير بينهما خروفًا ... أنعم بين أكرم نعجتين
فصرت كنعجة تضحى وتمسى ... تداول بين أخبث ذئبتين
رضا هذى يهيج سخط هذى ... فما أعرى من احدى السخطتين
وألقى فى المعيشة كل ضر ... كذاك الضر بين الضرتين
لهذى ليلة ولتلك أخرى ... عتاب دائم فى الليلتين
فإن أحببت أن تبقى كريمًا ... من الخيرات مملوء اليدين
وتدرك ملك ذى يزن وعمرو ... وذى جدث وملك الحارثين
وملك المنذرين وذى نواس ... وتبع القديم وذى رعين
فعش عزبًا فإن لم تستطعه ... فضربًا فى عراض الجحفلين

فمع أن الحدث القصصى جاء قصيرًا والتعبير النثرى عنه جاء موجزًا إلا أن النتيجة التى صاغها النادم شعرا تضمنت فى ذاتها كثيرًا من المواقف المتحركة كالخروف بين النعجتين - كصورة سعيدة متمناة - والنعجة بين الذئبتين كواقع تعيس ، والرضا الذى يهيج السخط ، وليالى العتاب المتصل ، وكل ذلك جعل اللقطة على قصرها تشكل موقفًا قصصيًا مكتملا .

(١٢١) المرجع السابق ج ٢ ص ٣٥ .

وهناك «الحكاية ، ذات العناصر القصصية المتشابكة» وهى تلك التى تتداخل فيها الأزمنة أو الشخصيات ويطول فيها الحدث نسبيًّا وتكتمل بعض عناصره ، ومن نماذجها النموذج الذى أوردناه حول بنت الملك الحميرى التى لم تخالط الرجال ، فهناك الملك وطفلته والوصيفات والأميرة ثم الملكة والمستشارات والزوج الوافد .. إلخ.

وفى هذا الإطار تدخل قصة «زبراء الكاهنة»(١٢٢) حيث نرى ثلاثة أبطن من قضاعة هم بنو ناعب وبنو داهن وبنو رئام ، وهم يقيمون فى منطقة بين الشحر وحضرموت ، ونجد عجوزاً من بنى رئام تسمى خويلة ولها جارية تسمى «زبراء» تعمل بالكهانة وهى تذهب مع خويلة ذات يوم للقوم المجتمعين فى ناديهم لتنذرهم بسجع الكهان بأن هجومًا وشيك الوقوع عليها وأنها تشم عرق الرجال تحت الحديد ، ويسخر منها بعضهم ويرتاب البعض الآخر فى الأمر فيقرر أربعون منهم الرحيل ويبقى الثلاثون فى شرابهم ولهوهم ، وينامون فى مشربهم ، وتأتى خويلة فى الصباح فتجدهم قد قتلوا جميعًا فتقطع منهم خناصرهم وتشكل منها قلادة وتخرج بها حتى تأتى مرضاوى بن سعوة المهرى فتستحثه شعرًا على الثأر ، فيحرم على نفسه المتعة حتى يثأر لقومه ، ثم يطرق قبيلتى ناعب وداهن المهاجمتين فيوجع فيهم .

على هذا النحو تتشابك العناصر وتتداخل المواقف وتتطور الأحداث ، ويجد الخيال فرصة للحركة ، وصنوف التعبير فرصة للظهور ، واللغوى فرصة للشرح ، والقاص فرصة للإثارة ، وتوجد عدة نماذج فى أحاديث ابن دريد تنتمى إلى هذا النمط وهو فى الواقع أقرب الأنماط إلى الشكل القصصى السائد فى المقامات ، والذى يتم من خلاله إمتاع طائفة كبيرة من المستمعين أو القارئين ولا يتوقف عند إمتاع طالب الحكمة أو الباحث عن غريب اللغة .

---

(١٢٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٢٦ .

وكما يتحقق ذلك النمط فى المشاهد المتحركة كما رأينا فى الحكاية السابقة، قد يتحقق أيضًا فى حكايات أقل حركة، ولكنها تستعيض عن قلة الحركة بالكمون والغرابة والتوقع، ومثالها هذه الحكاية العجيبة التى يحكى الأصمعى نفسه أنه كان شاهدها وكان واحدًا من أطرافها، وتساق الحكاية على هذا النحو[123] «حدثنا أبو بكر ابن دريد قال : حدثنا أبو حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعى قال : نزلت بقوم من غنى مجتورين هم وقبائل من بنى عامر بن صعصعة فحضرت ناديًا لهم وفيهم شيخ طويل الصمت عالم بالشعر وأيام الناس يجتمع إليه فتيانهم ينشدونه أشعارهم فإذا سمع الشعر الجيد قرع الأرض قرعة بمحجن فى يده فينفذ حكمه على من حضر «ببكر» للمنشد (أي بناقة قوية تعطى مكافأة له)، وإذا سمع ما لا يعجبه قرع رأسه بمحجنه فينفذ حكمه عليه بشاة إن كان ذا غنم وابن مخاض إن كان ذا إبل (أى أن منشد الشعر الردىء عليه أن يغرم شاة أو جملاً صغيرًا)[124]، فإذا أخذ ذلك ذبح لأهل النادى فحضرتهم يومًا والشيخ جالس بينهم فأنشد بعضهم يصف قطاة «فأحسن الصورة» فقرع الأرض بمحجنه وهو لا يتكلم، ثم أنشده آخر يصف ليلة :

كأن شميط الصبح فى أُخرياتها ... ملاءٌ ينقى من طيالسةٍ خُضْرِ

تخال بقاياها التى أسأر الدجى ... تمُدُّ وشيعًا فوق أردية الفجر

فقام كالمجنون مصلتًا سيفه حتى خالط مبارك الإبل، فجعل يضرب يمينًا وشمالاً وهو يقول :

لا تفرغن فى أذنى بعدها ... ما يستفز فأُريك فقدها

إنى إذا السيف تولى نَدَّها ... لا أستطيع بعد ذاك ردَّها

(١٢٣) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٦٥ .

(١٢٤) لو طبق ذلك على أدعياء الشعر المجترئين عليه فى عصرنا لنفدت الشياه والجمال .

والحكاية تظهر متذوقًا للشعر به خليط من شدة الحساسية والنشوة والجنون ، وجماعة حوله لا تخالف له أمرًا فى المكافأة والغرامة ، وأبياتًا تعلو على مستوى المكافأة المعتاد ، وتبلغ فى الحسن مدى يهيج له الرجل ، ويطلب من سامعيه ألا يقولوا بعدها كلامًا يستفز أذنيه فيغامر بقطعهما ولا يستطيع ردهما ، وهذه الثورة المتفجرة تأتى بعد الصمت الطويل المطبق ، وبين جماعة من المكافئين والمعاقبين ، ومعهم الأصمعى فتكتمل مشاهد حكاية متحركة رغم هدف الأصمعى وابن دريد الواضح بضرورة إجلال نقاد الشعر وإنفاذ كلمتهم .

هذه الأنماط المختلفة التى أشرنا إليها فى أحاديث ابن دريد «الخبر والمشهد القصصى والموقف القصصى والحكاية ذات العناصر المتشابكة» يختفى بعضها فى المقامات ويظهر البعض الآخر ، وقد تزداد درجة اطراده وإحكام أدائه ، على أنه ينبغى أن يشار أيضًا إلى أن المقامات أيضًا لم تكن جميعها قصصية فهناك مقامات للمديح ، وقد أشرنا إليها ، وأخرى تتخذ من خصائص الأدب ونقده موضوعات لها مثل المقامة العراقية والمقامة الشعرية والمقامة القريضية(١٢٥) ، وهناك مقامات كذلك تتخذ من الوعظ الدينى موضوعًا لها مثل المقامة الأهوازية والمقامة الوعظية(١٢٦) وهذه المقامات فى مجملها تنتمى إلى طريق السرد المباشر أو التعليق المباشر ، وهى من ثم أقرب إلى صورة الخبر عند ابن دريد مع فارق فى الحيز حيث يحتل الخبر حيزًا صغيرًا غالبًا على حين تمتد المقامة لكى تشكل وحدة مستقلة ذات عنوان وموضع فتشغل بالضرورة حيزًا أكبر من الخبر .

على أن المقامات تطور كثيرًا فن «الحكاية» ذات العناصر القصصية المتشابكة وتمدها بعناصر من الحوار ومفارقات الموقف ، والسخرية ، تبلغ بها مدى فنيًا عاليًا كما

---

(١٢٥) انظر مقامات أبى الفضل بديع الزمان ، تحقيق محمد عبده ص ٢٢٢ وما بعدها و ١٤١ وما بعدها و ١ وما بعدها ، وانظر كذلك د. شوقى ضيف ، المقامة ص ٢٥ وما بعدها .

(١٢٦) مقامات أبى الفضل بديع الزمان ص ٥٢ وما بعدها و ١٢٨ وما بعدها .

نرى فى المقامة البغدادية[١٢٧] الشهيرة التى يتم فيها الإيقاع بريفى من أهل السواد ينزل بغداد وهو يسوق بالجهد حماره ويربط أحد طرفى الإزار إلى الآخر وكيف تحايل عليه عيسى بن هشام وادعى أنه يعرفه ليسوقه فى النهاية داعيًا إلى مطعم فاخر ، يأكلان فيه الشواء والحلوى وفاخر الأطباق والرقاق ثم يتركه رهينة عند صاحب المطعم بحجة البحث له عن ماء مثلج ويفر تاركًا المسكين يضطر لفك عقد إزاره بأسنانه باحثًا عما إدخره للشراء لكى يدفعه ثمنًا للحلوى والشواء . والواقع أن هذه القصة وأمثالها كالمقامة المضيرية والمقامة الإبليسية لا تكتفى فقط بتشابك العناصر فى الحكاية وإنما تعمد إلى جزئيات الحكاية فترسم كلًّا منها بعناية دون أن تغفل الزمان والمكان والمفارقات فتطور بذلك العناصر الفطرية المتشابكة فى الحكاية إلى عناصر فنية محكمة.

ما هى العوالم التى تنقلها كل من الأحاديث والمقامات من الواقع إلى الفن ؟

إن هذا السؤال ما زالت تثار نظائر له بالنسبة للأجناس القصصية والروائية المعاصرة حتى اليوم ، وقد جعله الناقد الأيرلندى فرانك أوكنور محورًا لكتاب شهير له حول «القصة القصيرة»[١٢٨] وانتهى فيه إلى أن القصة القصيرة تفضل أن ينتمى أبطالها إلى الطوائف المغمورة وهى الطوائف التى تعيش على حافة المجتمع كالقساوسة وعمال المناجم والحراس الليليين وصغار الموظفين .

وإذا كان هذا المعيار قد صلح للتطبيق على عالم فن حديث كالقصة القصيرة وكتاب محدثين مثل تشيكوف وموباسان وإبسن وغيرهم فإن معايير قريبة منه سادت الإنتاج النثرى الفنى فى الأدب العربى فى هذه الحقبة القديمة ، وحظيت بعض طبقات المجتمع التى ظهرت نتيجة لعوامل سياسية واقتصادية وعنصرية كثيرة ، حظيت هذه

---

(١٢٧) المرجع السابق ص ٥٥ .

(١٢٨) الصوت المنفرد ، تأليف فرانك أوكتور ، ترجمة الدكتور محمود الربيعى ، المجلس الأعلى للفنون والآداب - القاهرة سنة ١٩٧٠ .

الطبقات بعناية فريق من الشعراء وكتاب النثر ، وكان من بين هذه الطبقات طبقة أهل الكدية والتسول الذين اهتمت بهم مقامات الهمذانى اهتمامًا رئيسيًا جعل ممثلهم أبا الفتح السكندرى يظهر فى معظم المقامات ويتنكر فى كثير من الوجوه .

والواقع أن الاهتمام بالكدية لم يبدأ عند البديع بل ربما كان البديع قد اقتبسه من ابن دريد كما أشار إلى ذلك الدكتور شوقى ضيف حين أشار إلى أنه «قد تكون الفكرة التى أدار حولها «البديع» مقاماته ونقصد الكدية أو الشحاذة استمدها مباشرة من خطبة الأعرابى السائل فى المسجد الحرام التى رواها صاحب الأمالى عن ابن دريد»(١٢٩) .

وقد وردت فى الواقع خطبتان على الأقل فى أحاديث ابن دريد من هذا النوع إحداهما فى المسجد الجامع بالبصرة وجاءت فى حديث من أحاديث ابن دريد منسوب إلى أبى حاتم عن أبى عبيدة عن يونس قال(١٣٠) : «وقف أعرابى فى المسجد الجامع فى البصرة فقال : قَلَّ النَّيْلُ ونقص الكيل وعجفت الخيل والله ما أصبحنا ننفخ فى وضح، وما لنا فى الديوان من وشمة فهل من معين أعانه الله يعين ابن سبيل ونضو طريق ؟ فلا قليل من الأجر ولا غنى عن الله ولا عمل بعد الموت» .

أما الثانية فقد وردت فى حديث لابن دريد منسوب إلى أبى حاتم(١٣١) : بينما أنا فى المسجد الحرام إذ وقف علينا أعرابى فقال : يا مسلمون إن الحمد لله والصلاة على نبيه ، إنى امرؤ من أهل هذا الملطاط الشرقى المواصى أسياف تهامة عكفت على سنون محش فاجتلبت الذرى وهشمت العرى وجمشت النجم وأعجت البهم .. فهل من آمر بمير أو داع بخير وقاكم الله سطوة القادر وسوء الموارد وفضوح المصادر . قال : فأعطيته دينارًا وكتبت كلامه واستفسرته ما لم أعرفه» .

(١٢٩) د. شوقى ضيف ، المقامة ص ١٨ .
(١٣٠) الأمالى ج ٢ ص ١٩٤ .
(١٣١) المرجع السابق ج ١ ص ١١٣ .

وإذا كان ابن دريد قد سبق الهمذانى دون شك إلى اتخاذ الكدية قالبًا أدبيًا تصاغ من خلاله الحيل وتظهر المفارقة فإن الجاحظ كان قد سبق ابن دريد[١٣٢] بنحو قرن ونصف ، إلى اتخاذ الكدية موضوعًا تفصل أطرافه وحيله فى رسالة نقلها عنه البيهقى فى كتابه «المحاسن والمساوئ» وهو معاصر لابن دريد فى بداية القرن الرابع ثم قدر لموضوع الكدية أن يتعمق فيه شاعران سلوكًا ونظمًا فى هذا القرن هما أبو دلف الخزرجى المتوفى سنة ٣٣١هـ والأحنف العكبرى المتوفى سنة ٣٨٥هـ وأن يأنس بنتاجهما ويشجعه الكاتب البارز الصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥هـ وأن يشكل ذلك كله لونًا من التمهيد لأدب الكدية الذى أقام بديع الزمان الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٨هـ معظم مقاماته عليه .

غير أنه إذا كان عالم الكدية يمثل جزئية فى أحاديث ابن دريد أسهمت فى ترسيخ ظاهرة أدبية فى القرن الرابع الهجرى ، فلم تشغل الكدية ذاتها إلا جانبًا صغيرًا من عالم «الأحاديث» على حين شغلت طوائف أخرى جوانب هامة من ابن دريد وهى فى حاجة إلى التوقف أمامها .

وأبرز هذه الطوائف طائفة «الأعراب» وهى طائفة متعددة الوجوه ، وتعكس معالجة ابن دريد لها فى أحاديثه أصداء الأفكار التى كانت شائعة فى الحضر عن عالم البدو ، ومدى ما يتمتعون به من صفات عفوية متضاربة فى بعض الأحيان ، وبعض خصائصهم تلك يمكن أن تكون مثارًا للتفكه وبعضها الآخر يصبح مثارًا للتعلم والاقتداء بالصفات التى لم يفسدها التحضر ، فهناك[١٣٣] أعرابى دخل على بعض الأمراء وهو يشرب فجعل يحدثه وينشده ثم سقاه فلما شربها قال : هى والله أيها الأمير أى هى الخمر ، فقال : كلا إنها زبيب وعسل ، فلما طرب قال له : قل فيها . فقال :

(١٣٢) انظر آدم ميتز ، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ص ٤٤١ .
(١٣٣) الأمالى ج ٢ ص ٥٩.

أتانا بها صفراء يزعم أنها زبيب فصدقناه وهو كذوب

وما هى إلا ليلة غاب نجمها أواقع فيها الذنب ثم أتوب

وإذا كانت الغفلة الممزوجة بالمكر هى العبرة التى تؤخذ من الحديث السابق فإن حديثًا آخر يقودنا إلى غفلة ممزوجة بالجهل المضحك فهذان أعرابيان يختصمان إلى شيخ منهم فقال أحدهما[١٣٤] : أصلحك الله ما يحسن صاحبى هذا آية من كتاب الله عز وجل ، فقال الآخر كذب والله إنى لقارئ كتاب الله . قال فاقرأ . فقال :

علق القلب ربابًا بعدما شابت وشابا

فقال الشيخ لقد قرأتها كما أنزلها الله . فقال صاحبه : والله أصلحك الله ما تعلمها إلا البارحة .

وهذه الصور الساخرة من غفلة الأعراب تلتقى معها الصور الساخرة من غفلة أهل السواد عند الهمذانى والصور الساخرة من البسطاء وأهل الريف فى الأدب الروائى والمسرحى المعاصر . على أن للأعراب أوجهًا أخرى كثيرة تأتى بها ، فهم أهل الفصاحة والتعبير المحكم والوصف الدقيق ، فمنهم من يصف إخوته الثلاثة ، ومنهم من يصف خصال الرجال ، ومن يمدح ملكًا ، فيستحوذ على القلوب بعبارات قصيرة مثل «رأيتنى فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر الزاهر الذى لا يخفى على الناظر ، وأيقنت أنى حيث انتهى بى القول منسوب إلى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك» ومنهم من يصف خيلاً أو يصف إبلاً أو يصف بنيه أو يعظهم أو ينصح الملوك أو يجابه الحجاب بعبارات تدل على البلاغة والحكمة والإيجاز[١٣٥] .

---

(١٣٤) المرجع السابق ج ٢ ص ٣٠٨ ، وانظر كذلك حديث الأعرابى وهلال رمضان ، الأمالى ج١ ص ٣١ والأعرابى الذى يطلب منه مهر كبير ج ١ ص ٢٨٣ .

وإلى جانب ذلك فهنالك الكرم العفوى عند الأعراب ، فهذا أحدهم يهب ضيفًا له جملاً ويطلب من زوجته حبلاً يربطه به ثم يهب ثانيًا وثالثًا وفى كل مرة يطلب حبلاً وعندما تضيق زوجته بالهدية يقول لها علىّ بالجمال وعليك بالحبال ، وأخرى تجود باللبن حين يطلب منها الماء ، وغيرها تتهم من يسأل عن ثمن الحليب بأنه ينتمى إلى قوم بخلاء ، وثكلى لا يمنعها حزنها على ولدها الذى فجعت به أن تقوم بواجب الكرم لعابرى السبيل .

وإلى جانب الأعراب هنالك عالم النساء وهو عالم تحفل به الأحاديث من زوايا متعددة ويعكس فيما يعكس قيمة المرأة فى التراث الشعبى ، والحكايات المتخيلة ، وقد ألمحنا إلى بعض الأحاديث التى تشير إلى دور المرأة ملكة ووزيرة ومستشارة وإلى تصور عالم تحكمه النساء ويستغنين فيه عن الرجال ، وإن كان «الحديث» قد انتهى بزواج الملكة وسرورها بذلك ، ويتصل بذلك حديث البنات العوانس اللائى رغب أبوهن فى إبقائهن إلى جانبه ومنعهن من الزواج وكيف تحايلن عليه ليرجع عن قراره وقد فعل(١٣٦) وشروط المرأة فيمن يكون أهلاً لها ورفضها ما لا يتفق ورأيها وحديث البنات عن الزوج المثالى الذى يحلمن به(١٣٧) وتظهر المرأة عاشقة تعبر عن حبها لرجل تندم على أنه طلقها متمثلة فى أم الضحاك المحاربية أو تظهر عواطفها نحو ابن عمها فى مثل قصة خليبة الخضرية(١٣٨) وتظهر المرأة كذلك أُمًّا تحافظ على أبنائها وتناضل ضد من يحاول انتزاعيهم منها وتنتصر عاطفتها القوية فى ذلك حتى على بلاغة البلغاء وعلم العلماء ، وفى هذا الإطار يسوق ابن دريد حديثًا ذا مغزى يجرى فيه «بين أبى الأسود الدؤلى

---

(١٣٥) انظر على سبيل المثال نماذج لهذه الأحاديث : الأمالى الجزء الأول ص ٢٢ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦١ ، ١٣٩ ، ١٩٤ ، ٢٢١ ، ٢٣٩ ، والجزء الثانى ص ١٤ ، ٧١ ، ٨١ ، ١٧٣ .

(١٣٦) المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٥ .

(١٣٧) المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٤ وج ١ ص ١٦ .

(١٣٨) المرجع السابق ج ٢ ص ٨٣، ٨٦ .

وبين امرأته كلام فى ابن كان لها منه وأراد أخذه منها فسار إلى زياد وهو والى البصرة فقالت المرأة : أصلح الله الأمير هذا ابنى كان بطنى وعاءه وحجرى فناءه وثديى سقاءه أكلؤه إذا نام وأحفظه إذا قام فلم أزل بذلك سبعة أعوام حتى إذا استوفى فصاله وكملت خصاله واستوكعت أوصاله وأملت نفعه ورجوت دفعه أراد أن يأخذه منى كرهًا فآدنى أيها الأمير «أى قونى عليه» فقد رام قهرى وأراد قسرى . فقال أبو الأسود : أصلحك الله هذا ابنى حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه وأنا أقوم عليه فى أدبه وأنظر فى أوده وأمنحه علمى وألهمه حلمى حتى يكمل عقله ويستحكم فتله . فقال له زياد : أردد على المرأة ولدها فهى أحق به منك ودعنى من سجعك»[١٣٩] .

وهكذا فإن عالم المرأة حاكمة وعاشقة ومعشوقة وبنتًا وأمًّا وناصحة وبليغة يمثل جانبًا هامًّا فى أحاديث ابن دريد وهو جانب يمكن أن يكون موضع دراسة وتأمل لجوانب التطور فيه فى الأعمال التالية عليه كالمقامات وقصص العشاق عند أبى داود وابن حزم وغيرهما والحكايات الشعبية مثل ألف ليلة وليلة .

وهناك جوانب أخرى فى عوالم «الأحاديث» مثل جوانب الحمقى والمعوقين ، فهذا الغلام الأحمق الذى يقول لأمه بالمدينة «يوشك أن ترينى عظيم الشأن» فتقول: وكيف ؟! والله ما بين لابتيها أحمق منك ، فيقول : والله ما رجوت هذا الأمر إلا من حيث يئست منه» . أما علمت أن هذا زمن الحمقى وأنا أحدهم[١٤٠] ، هذا الغلام يقدم صورة فى الأحاديث لعالم سيكون مفضلاً فيما بعد لدى كتاب النثر ، حتى تكتب كتب عن أخبار «الحمقى والمغفلين»[١٤١] وهى عوالم تعطى - فرصة للأدباء لكى يسخروا من أزمانهم وانقلاب المعايير بها .

(١٣٩) المرجع السابق ج ٢ ص ١٢ .

(١٤٠) المرجع السابق ج ٢ ص ٩٥ .

(١٤١) انظر كتاب أخبار الحمقى والمغفلين - لأبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى (ت ٥٩٨هـ) - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٨٣ .

إن النافذة الصغيرة التى تركها لنا ابن دريد فيما تبقى من أحاديث تكشف لنا عن المكانة التى يحتلها هذا العمل الرائد فى النثر الأدبى عند العرب على مستوى الشكل والمحتوى معًا ، وأى أثر يمكن أن يكون قد أحدثه ابن دريد فى عالم «النص النثرى» كما أحدث من قبل فى عالم «الدرس اللغوى والأدبى» وفى عالم النص الشعرى .

أحاديث ابن دريد
محاولة لتجسيد نص أدبى غائب

أحاديث ابن دريد

محاولة لتجسيد نص أدبى غائب

ترك ابن دريد «أحاديثه» الشهيرة التى رأينا ذكرها بتردد فى كتب التراث والكتب الحديثة ، باعتبارها معلمًا هامًا من معالم النثر الأدبى العربى ، وتطرح التساؤلات حول أحقيتها بدور الريادة فى مجال الفن القصصى من خلال كونها نصًا شكل النموذج المحاكى أو المعارض أمام بديع الزمان الهمذانى عندما كتب مقاماته التى قامت بدور هام - دون شك - فى تنشيط الإبداع الأدبى القديم نثرًا وجذب الاهتمام إلى النموذج «القصص النثرى» إلى جانب النموذج الغنائى الشعرى ، وهو الاهتمام الذى سيتطور خلال العقود والقرون التالية مشكلا التراث النثرى القصصى فى الأدب العربى ، ذلك التراث الذى يدين لأحاديث ابن دريد ببعض ماذكرنا من سمات ، يطرح الباحثون من حين لحين بآرائهم حولها فى محاولة لتحديدها وتبنى دورها وتأثيرها .

وعلى حين يدور الكلام - كثر أو قل - حول «الأحاديث» فإن «الأحاديث» نفسها تبدو «نصًا أدبيًا غائبًا» يصعب على قارئ الأدب المعاصر أن يعايشه وأن يتمتع به، وأن يتفق أو يختلف مع الدارسين حول الخصائص التى ينسبونها إليه ، أو المزايا والعيوب التى يتناقشون حولها بصدده ، وفى كل الحالات يبدو «نصًا» قد فقد التأثير ، أو فقد استمراريته ، حين فقد وجوده «جسدًا أدبيًا متكاملاً» واقتصر هذا الوجود على أشلاء متناثرة من هذا الجسد ، تتناقلها أفواه الرواة مثقلة بسلاسل الإسناد ، وإذا أريد لهذا النص ، ولغيره من النصوص الأدبية التى تشبهه وتنتمى إلى التراث العربى ،

وتصل إلينا على هيئة أشلاء متناثرة ، أن تأخذ فرصتها فى إثراء الوجدان والمشاركة فى حركة الاحياء الأدبية فلابد من إعادة تجميع الأشلاء وإعادة التصور فى ضوء هذا التجميع ، وخاصة إذا كان ما بقى من الأجزاء صالحًا لإعطاء لون من التصور حول الكل المفقود ، وإذا جاز للمرء أن يستعين بالأساطير القديمة فى تقريب هذه الفكرة ، فإن الأسطورة المصرية القديمة التى كانت تتحدث عن جسد «أُوزيريس» الذى قطعه أعداؤه ورموا بأجزائه المتناثرة فى أجزاء الوادى الفسيحة لكى يتخلصوا منه ، لم تجد حلا لإعادة القوة إليه إلا من خلال سعى «إيزيس» وراء الأجزاء المتناثرة وتجميعها بصبر ودأب ودعوتها للسماء أن تمنحها الروح من جديد .

ويتطلب هذا المنهج إذا كتب له أن يتحقق ، المرور بخطوتين رئيسيتين :

– أولا : إعادة النظر إلى الأجزاء المتبقية ، ومدى تمثيلها للكل الغائب ، والصورة الفنية التى بقيت عليها .

– ثانيًا : إعادة تنظيم هذه الأجزاء ، وإعادة تقديمها ، على النحو الذى يتحقق من خلاله للقارئ المعاصر ، المتعة والفائدة الفنية التى ربما كانت تتحقق للقارئ القديم بطريقة مختلفة ، وفى سبيل تحقيق هذا «الهدف» ينبغى أن يتحقق للدارس الحديث ، جزء من الطواعية ، وحرية الحركة ، لا تتعارض بالضرورة مع أمانة النص وقدسيته ، ولكنها تتفق مع الهدف المنشود منه .

إن الإنسان قد يسمح لنفسه باستطراد قليل حين تثير فكرة «إعادة تقديم التراث» مقارنة لا مهرب منها ، بين ما صنعه الغربيون مع تراثهم من مجهود فى هذا الشأن ، بالقياس إلى ما نقوم به ، لقد تركزت مجهودات كثير من العلماء هناك . حول أمهات الكتب الرئيسية فى الأدب والفكر والفلسفة وغيرها من فروع المعرفة ، تعيد تقديمها للأجيال الجديدة ، من خلال عرض جديد ، ولغة جديدة ، وتصور جديد ، مع المحافظة على خيوط قوية تربطها بالأصل ، وتعيد الماضى العتيق إلى ساحة المعاصرة بطريقة تجعل الأجيال تحسن استقباله والاستفادة منه ، ومن هنا فقد ضمنت هذه المجهودات

الاستمرارية لأفكار القدماء ، وتطور الأفكار المعاصرة تطورًا يرتبط بالقديم ، ليس من الضرورى ارتباط البناء عليه ، وإنما ارتباط الحوار معه ، الذى قد يؤدى إلى تجديده أو قبوله كليًا أو جزئيًا ، أو حتى رفضه مع وضعه فى الحسبان امتدادًا وبعدًا هامًا من أبعاد الحضارات الأصيلة .

ومن خلال هذا ضمنت الأشكال الفنية القديمة كالمسرحية والملحمة والشعر الغنائى ، إعادة ظهورها والإفادة منها فى أجيال متلاحقة وبطرائق مختلفة ، وضمنت كذلك الأفكار النقدية والأدبية والفلسفية ، قدرًا كبيرًا من الامتداد والصمود والتعديل، وضمنت الأسماء التراثية ، وجود مهمة ومعنى لها لدى المثقف المعاصر .

وكذلك كان الحال لدى علمائنا فى تاريخ تراثنا الطويل ، فقد كان جانب هام من جهودهم مبنيًا على إعادة تقديم ما قدمه أسلافهم ، بطريقة تناسب اختلاف الأجيال، مع قرب الزمن أحيانًا ، والبناء عليه ، ونموذج ابن دريد الواضح فى كتابه الجمهرة الذى أعاد عرض المادة العلمية للعين ، يؤكد ذلك ، وما الشروح والحواشى والمتون والمعارضات التى قدمت فى أزمنة مختلفة ، إلا محاولات فى هذا الطريق لا ينقص من قيمتها ، ما أصاب بعضها من الجمود والتكرار .

ونحن اليوم فى حاجة إلى جهد علمى منظم فى سبيل إعادة «تقديم التراث» تقديمًا معاصرًا ، وإن الإنسان ليتساءل ، كم من المثقفين اليوم - فضلاً عن القراء العاديين أو عن غير القراء - كم منهم لديه فكرة حية - لا فكرة مُتْحفيَّة - عن أعمال الجاحظ وأبى حيان وأبى العلاء والمتنبى وابن سينا والغزالى وابن رشد وعبد القاهر والآمدى وأبى تمام وابن عربى والفخر الرازى والمبرد وابن دريد وغيرهم ، وكم منهم لا تقف معلوماته حول هؤلاء الأعلام عند نص مدرسى قديم تجرعه لكى يمتحن فيه ، أو حتى - مع حسن الظن - عند ارتياد لنتاجهم نشدانًا لسلامة اللغة وصحة الأداء ، دون الطموح إلى ما وراء ذلك ، من الوصول إلى منابع الإبداع الأدبى والفكرى ، التى علينا

أن نجاهد لالتقاط نغمتها الصحيحة ، والاستفادة منها فى تشكيل النغمة الملائمة لعصرنا .

إن «إعادة قراءة التراث» قد تكون مطلبًا هامًا لتحقيق «الإحياء الأدبى والفكرى» الذى ندعو إليه جميعًا ، وفى إطار هذا التصور سوف نعود لإلقاء نظرة على أحاديث ابن دريد من خلال الخطوتين اللتين أشرنا لهما .

توجد أجزاء من النثر الأدبى لابن دريد ، الذى تنتمى الأحاديث إليه ، فى مجموعتين من المؤلفات ، مجموعة تنسب إليه ، ومجموعة تنسب إلى من روى أو نقل عنه .. وفى إطار المجموعة الأولى توجد مؤلفات مخطوطة وأخرى مطبوعة ، فهناك :

١ - مخطوطة كتاب «الأخبار المنثورة» وقد قال عنها بروكلمان : «توجد أوراق من الجزء الرابع والخامس والسادس منه فى المكتبة الخالدية بالقدس[١٤٢] .

٢ - رسالة طبعت بعنوان : «كتاب الفوائد والأخبار» تحقيق إبراهيم صالح فى مجلة مجمع اللغة العربية فى دمشق ، المجلد السابع والخمسون سنة ١٩٨٢م .

٣ - رسالة بعنوان : «من أخبار أبى بكر بن دريد» تحقيق عبد الحسن المبارك فى مجلة «المورد» العراقية ، المجلد السابع سنة ١٩٨٧م .

٤ - كتاب بعنوان : «تعليق من أمالى ابن دريد» تحقيق السيد مصطفى السنوسى ، وقد صدر عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون بالكويت سنة ١٩٨٤م .

ولعل الكتاب الأخير ، يأتى من حيث الأهمية ودلالة الجزء الحاضر على الكل الغائب فى مقدمة هذه الأعمال المنشورة لابن دريد ، فقد اشتمل الكتاب على جملة مختارات من «أمالى ابن دريد» ودلت عباراته على وجود كتاب كبير الحجم كان يسمى «أمالى ابن دريد» وكان يتكون من سبعة أجزاء على الأقل ، وقد بقيت هذه الأجزاء

---

(١٤٢) انظر : كارل برو كلمان ، تاريخ الأدب العربى ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار - الطبعة الرابعة - دار المعارف - مصر ج ٢ ص ١٨٤ .

حتى منتصف القرن السابع الهجرى ، تاريخ نسخ مخطوطة «تعليق من أمالى ابن دريد» سنة ٦٤١هـ ، حيث أشارت المخطوطة إلى بعض أجزاء أمالى ابن دريد فى صفحات متعددة ، وحيث اختتمت بعبارة «هذا آخر الجزء السابع من أمالى ابن دريد»[١٤٣] ومن اللافت للنظر ، أن يكون تاريخ الحديث عن كتاب نثرى لابن دريد من سبعة أجزاء، مقاربًا لتاريخ الحديث عن ديوان شعرى له من خمسة أجزاء فى عبارة القفطى التى أشرنا إليها سابقًا ، وقد توفى القفطى سنة ٦٤٦هـ أى فى نفس العقد الذى نسخت فيه مخطوطة «تعليق من أمالى ابن دريد» ، ومعنى ذلك أن هذين الكتابين وغيرهما لابن دريد كانا معروفين فى المكتبات العربية بعد وفاته بأكثر من ثلاثة قرون ، ومن ثم فتأثير هذه الكتب فى النتاج الأدبى فى هذه الفترة وما بعدها ينبغى أن يوضع فى حساب الدارس دائمًا .

على أن العبارات التى أشارت إليها مخطوطة «تعليق من أمالى ابن دريد» تلقى ضوءًا على ما أشار إليه بروكلمان من وجود مخطوطة كتاب «الأخبار المنثورة» فى المكتبة الخالدية بالقدس ، والإشارة إلى وجود أوراق من الجزء الرابع والخامس والسادس من هذا الكتاب ، فهناك احتمال أن تكون الأخبار المنثورة هى «الأمالى» المفقودة ، وخاصة أن الموضوع واحد فى الكتابين ، وأن عدد الأجزاء المشار إليها متقارب ، وأن من المستبعد قليلاً أن يكون ابن دريد ، قد ألف كتابين كبيرين أحدهما من سبعة أجزاء ، والآخر من ستة على الأقل ، حول موضوع واحد ، وإذن فالاحتمال الذى يظل فرضًا حتى رؤية مخطوطة القدس أن تكون هذه المخطوطة جانبًا من الأمالى المفقودة والتى لخصها أو عرض جانبًا منها «تعليق من أمالى ابن دريد» .

التحقيق العلمى الذى صاحب مخطوطة «تعليق من أمالى ابن دريد» للسيد مصطفى السنوسى ، تحقيق علمى جيد ، عرف قيمة المخطوطة ، وأعطاها حقها من

(١٤٣) انظر : تعليق من أمالى ابن دريد ، تحقيق السيد مصطفى السنوسى ، ص ٥٣ - الكويت ١٩٨٤ .

العناية، وصدرها بدراسة جيدة متأنية عن ابن دريد ، وحاول أن يصل الأخبار الواردة فيها برواياتها فى كتب التراث النثرى المتعددة لتوثيقها وضبطها . وفى هذا الإطار ، استطاع المحقق - كما يقول - توثيق نحو ثمانين فى المائة من مجمل المادة التى تعرض لها الكتاب ، وهى مادة بلغت فى مجملها نحو مائتين وأربعين خبرًا ومائة وسبعين مقطوعة شعرية ، وهو جهد علمى جاد ومفيد .

غير أن المحقق فاته فى بعض الأحايين أن يعرض نصوص الأحاديث والأخبار على أحاديث ابن دريد التى رواها أبو على القالى فى أماليه ، والتى تشكل أهم مصدر موثق لأحاديث ابن دريد عند القدماء والمحدثين ، مع أن المؤلف رجع إلى أمالى أبى على القالى ، بل وعدها المرجع الأول فيما رجع إليه من الكتب القديمة[١٤٤] ، واستطاع إرجاع بعض الأخبار إليها ، ومع ذلك فقد ندَّ عنه عدد لا بأس به من هذه الأخبار ، لم يقابل فيها بين ما جاء فى «التعليق» وما جاء فى «أمالى القالى» .

فهو عندما يعرض لحكاية «الغلام الأحمق» الذى قال لأمه : يوشك أن ترينى عظيم الشأن ، ويعلل أمله قائلاً لأمه التى تستغربه ! «أما علمت أن هذا زمان الحمقى وأنا أحدهم» ، حين يورد هذا الخبر ، يعلق عليه بأنه[١٤٥] «لم يجده فى أخبار الحمقى والأغبياء لابن الجوزى ، ويكتفى بهذا ، مع أن الخبر ورد فى أمالى القالى بين أحاديث ابن دريد[١٤٦] . وحين يورد المجلس الذى عقده معاوية لبيعة يزيد يورد خطبة عمرو بن سعيد فى البيعة ويوثقها بالرجوع إلى زهر الآداب وعيون الأخبار والعقد الفريد مع أنها وردت أولاً فى الأمالى منسوبة إلى ابن دريد[١٤٧] ، وكذلك الشأن بالنسبة لحديث

(١٤٤) انظر : المرجع السابق ص ٥٩ .

(١٤٥) المرجع السابق ص ١٤٠ .

(١٤٦) كتاب الأمالى لأبى على القالى ج ٢ ص ٩٥ ، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ١٩٨٤ .

(١٤٧) انظر : «تعليق» ص ١٥٠ ، والأمالى ج ٢ ص ٧١ .

الأعرابى المعتذر عن الإطالة فى المدح بعبارات بليغة ، فهو كذلك من أحاديث ابن دريد المروية فى الأمالى(١٤٨) ، أما نصيحة زياد لعماله والتى أوردها مستندًا فى توثيقها إلى عيون الأخبار فهى كذلك من مرويات أبى على القالى عن ابن دريد(١٤٩) ، وتشبيه بعض علماء الهند لصحبة السلطان بالجبل الوعر فيه الثمار الطيبة والسباع العادية ، ترد فى تعليق من الأمالى ويوثقها المحقق بالرجوع إلى عيون الأخبار ، وهى بالإضافة إلى هذا من مرويات القالى عن ابن دريد(١٥٠) ، أما الأعرابى الذى يشاور ابن عمه ويأخذ بنصيحته فقد رواها التعليق من أمالى ابن دريد ووثقها المحقق بالرجوع إلى عيون الأخبار فقط مع أنها من مرويات القالى عن ابن دريد كذلك(١٥١) .

إن هذه النماذج التى لم يتم فيها توثيق ابن دريد فى التعليق من خلال أحاديث ابن دريد المروية فى الأمالى ، لا تقلل من قيمة المجهود الطيب الذى أشرنا إليه ، ولكنها تشير إلى أن مزيدًا من الجهد ما زال مطلوبا فى محاولة جمع وتوثيق وإعادة تقديم تراث ابن دريد من النثر الفنى .

ألحق محقق المخطوطة بكتاب «تعليق من أمالى ابن دريد» ملحقًا أسماه «ملحق بأمالى ابن دريد فى أمالى القالى ومزهر السيوطى» . وهو ملحق صغير ، أورد فيه خمس روايات فقط مما ورد فى أمالى القالى منسوبًا إلى ابن دريد ، والحق أننى لم أستطع أن أفهم سر تخصيص هذه الروايات الخمسة من بين نحو سبعمائة خبر رواها القالى عن ابن دريد وأشار لها المحقق نفسه فى مقدمته للكتاب(١٥٢) ، وقد ظننت فى البداية أنها الأحاديث التى ورد فيها لفظ «أملى علينا ابن دريد» كما يوحى بذلك الحديث الأول ، لكننى

(١٤٨) انظر : «تعليق» ص ١٥٠ ، وأمالى القالى ج ٢ ص ٧١ .
(١٤٩) انظر : «تعليق» ص ١٥١ ، وأمالى القالى ج ٢ ص ٨٠ .
(١٥٠) انظر : «تعليق» ص ١٥٣، وأمالى ج ٢ ص ١٢١ .
(١٥١) انظر : «تعليق» ص ١٥٣ ، وأمالى القالى ج ٢ ص ٨٠ .
(١٥٢) انظر : ص ٤٩ من مقدمة تحقيق «التعليق» .

وجدت الحديث الثانى يفتتح بعبارة «حدثنا» وكذلك الخامس من هذه الأحاديث[١٥٣]، ومن هنا فقد ظلت حكمة وجود هذا الملحق ، أو على الأقل الجزء الخاص منه بأمالى القالى ، خافية على .

إذا كان هذا هو مجمل الآثار النثرية المعروفة فى الكتب المنسوبة إلى ابن دريد ، فإن هناك آثارًا نثرية أخرى وجدت فى كتب علماء رددوا أو نقلوا عنه ، ومن بين هذه الكتب كتاب «قطوف الوريد» الذى لخص فيه جلال الدين السيوطى ، أمالى ابن دريد، وأشار إليه حاجى خليفة فى كشف الظنون ، وكذلك المزهر للسيوطى ، الذى وردت فيه روايات كثيرة عن ابن دريد ، أشار محقق التعليق إلى أنها أكثر من مائة وخمسين خبرًا[١٥٤] .

لكن المصدر الرئيسى فى هذا اللون من المؤلفات دون شك يتمثل فى كتاب الأمالى لأبى على القالى التلميذ المباشر لابن دريد ، والذى حمل معه كثيرًا من علم ابن دريد مدونًا فى الصدر أو القراطيس ، وأملى على شهود مجلسه أيام الخميس فى مسجد قرطبة كثيرًا من الروايات والأخبار المنسوبة لابن دريد ، مشفوعة بوفاء التلميذ واحترامه للأستاذ ، فلم يكن يتحدث عنه إلا قائلاً : «وحدثنا أبو بكر رحمه الله» ويفرده بهذا الدعاء بين عشرات الأعلام الآخرين الذين ينقل عنهم فى أماليه ، ولقد مثلت الأحاديث المنسوبة إلى ابن دريد نحو ثلث كتاب الأمالى ، وتردد اسم ابن دريد فى معظم صفحات الكتاب ترددًا يذكر بشيوع اسم سلفه الخليل بن أحمد على صفحات الكتاب لسيبويه .

ولأهمية وكثرة وتنوع الأحاديث التى رواها القالى عن ابن دريد ، سنقصر همنا على إعادة «تقديمها» هنا ، وفقًا للمنهج الذى أشرنا إليه ، لكى تضاف إلى ما حقق

(١٥٣) المرجع السابق ص ٢١١ وما بعدها .

(١٥٤) انظر : التعليق ص ٤٩ .

بالفعل من الأحاديث المنسوبة مباشرة لابن دريد ، مشكلة بذلك حلقة فى سلسلة ، ينبغى أن يستمر العمل فى تطويرها حتى تتشكل لدينا صورة ميسورة للقارئ المعاصر حول هذا التراث الفنى الهام .

منهج التناول :

لكى نوضح المنهج الذى نود أن نقيم على أساس منه «تجسيد النص الأدبى الغائب» لأحاديث ابن دريد التى رواها القالى ، ينبغى أن نتبين أولاً ، المنهج الذى اتبعه القالى نفسه فى إيراد هذه الأحاديث ، وهذا النهج قد تلخصه كلمة «الأمالى» التى اختارها القالى عنوانًا لما أورده من مختارات حفظها عن العلماء السابقين عليه ، وهذه الأمالى اتخذت شكل محاضرات شفهية تعرف طريقها إلى الوجود عن طريق آذان الناس ممن يحضرون مجلس أبى على فى مسجد قرطبة ، قبل أن تعرفه لاحقًا عن طريق «عيون» القراء فى الأمكنة والأزمنة الأخرى ، ومن ثم فإنها اتبعت منهج «المجلس» الذى يعتمد على الإمتاع من خلال تنوع الموضوعات وتشعبها ، لا من خلال وحدتها وتعمقها ، ثم إنها أرضت من خلال ذلك ذوق العصر ، الذى كان يأنس إلى هذا النوع من المعارف المتنوعة ، لا على مستوى السماع فقط ولكن على مستوى القراءة كذلك فى كتب «الأخبار» التى لا شك أن ابن دريد كان له تأثير بارز فى تشجيع تلامذته على التأليف فيها ، والمنهج الأمثل فى هذا اللون من الكتب ، يلخصه تلميذ آخر لابن دريد ممن عاصروا القالى ، وحضروا معه مجلس أبى بكر ، وهو المسعودى ، صاحب مروج الذهب ، فقد لخص المسعودى هذا المنهج المنشود خلال حديثه عن كتاب كان يعترم تأليفه فى هذا المجال ، ويبدو أنه لم يقدر له تأليفه ، يقول المسعودى فى مروج الذهب : «وأرجو أن يفسح الله لنا فى البقاء ، ويمد لنا فى العمر ، فنعقب تأليف هذا الكتاب بكتاب آخر نضمنه فنونًا من الأخبار ، وأنواعًا من طرائف الآثار ، على غير نظم من

التأليف ، ولا ترتيب من التصنيف ، على حسب ما سنح من فوائد الأخبار ، ونترجمه بكتاب «وصل المجالس بجوامع الأخبار ومختلط الآثار»(١٥٥) .

وهذا المنهج هو ما اتبعه القالى ، فليس هناك نظم من التأليف ولا ترتيب من التصنيف ، وإنما تأتى الأخبار على حسب ما سنح من فوائدها ، والفوائد تختلف من مؤلف إلى آخر ، فقد يرى مؤلف الفائدة فى إيراد موضوع معين ، وقد يرى آخر الفائدة فى إيراد طريقة معينة للتعبير ، أو فى إيراد آراء فكرية أو فلسفية أو فقهية أو غيرها ، أو يراها فى التعبير اللغوى فى ذاته ، ويبدو أن هذه الفائدة كانت موضع تركيز أبى على القالى ، وكادت أن تكون فى بعض الأحاديث الخيط الخفى الذى يجمع بين خبرين أو مجموعة أخبار متلاحقة ، ونقول «كادت» لأنه فى كثير من الأحيان أيضًا ، ينعدم هذا الخيط فلا يرى رابط بين الأخبار المتلاحقة ، سوى رابط الفائدة والمتعة اللغوية والأدبية بعامة .

فى مقابل هذا الخيط الخفى ، لم يهتم القالى بخيوط أخرى كان يمكن أن تجمع بين الأحاديث المتناثرة ، وتوجد بينها لونًا من المتعة ربما يقدم مذاقًا مختلفًا ، ومنها الروابط الموضوعية ، فهناك مجموعات من الأحاديث تدور حول «الأعراب والبادية» وتعكس عالمهم فى عيون أهل الحضر من زوايا متعددة تمتد من البلاهة والغفلة إلى الأناة والحكمة ، وهناك أحاديث أخرى تدور حول عالم «النساء والعشق» وتعكس بدورها صورة عن المرأة فتاة وزوجة وأمًّا وعاشقة ومعشوقة ، خاضعة للتقاليد ومتحايلة عليها ، وذات دور هام فى المجتمع وإدارة شئونه ، وهناك أحاديث عن عالم «الطرافة والنوادر» وهى تضم طوائف كثيرة بعضهم يعيش على هامش المجتمع مثل الحمقى ، وبعضهم يمر بمواقف حرجة وطريفة ، والشعراء لهم نصيب وافر فى هذا الباب ، وهناك أحاديث حول

(١٥٥) أبو الحسن على بن الحسنى المسعودى ، مروج الذهب ، ومعادن الجوهر ، شرح الدكتور مفيد قميحة ج ٤ ص ٤٣٥ - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٦ .

«عالم الكهانة» الذى انقرض بمجىء الإسلام ، لكن ظلت بقايا له فى وجدان الناس وظلت تساؤلات وأساطير وأخبار تتناقل عن هؤلاء الذين يعرفون المخبأ أو يدعون ذلك، وأحاديث عن عالم «الجنوب» تميل بدورها إلى إعطاء صورة عن جانب مختلف من الحضارة العربية القديمة سواء على « مستوى غرابة اللغة التى يعد الإلمام بها ضربًا من الثقافة الرفيعة أو على مستوى العادات التى تعيش بين الأقيال والملوك فى الجنوب ، أما أحاديث عالم «الحكمة والفصاحة» فقد جمعت نوادر عن المواقف المتميزة وصياغتها المحكمة التى تمليها التجربة الإنسانية ، سواء ما كان منها عربى اللسان كان معربا ، ويأتى عالم «التاريخ» ليمد الأحاديث بجملة كبيرة تسند الأحاديث فيها إلى أسماء تاريخية معروفة كمعاوية وعبد الملك ، ولكنها تعكس قبل كل شىء صورة هذه الشخصيات فى الوجدان الجماعى قبل أن تعنى بإثبات خبر موثق «حقيقى» عنهم .

إن هذه الملامح التى تمثل القيمة الفنية التى ربما تكون «الأولى» فى الأحاديث ، لم يهتم بها القالى ، ولم يقف الأمر به عند عدم الاهتمام بتجاور الأحاديث المتصلة بموضوع واحد ، بل ولا حتى الأحاديث المتصلة بشخص واحد ، وإنما كان يحدث أحيانًا أن نجد القصة الواحدة المتصلة الأجزاء تُروى فى موضوعين متباعدين ، دون الإشارة إلى جزئها الآخر ، ومن أمثال ذلك أن القالى يورد حديثًا فى الجزء الثانى عن البخترى ابن أبى صفرة وكيف أن امرأة أحد الأمراء راودته عن نفسه فأبى فكادت له عند المهلب ابن أبى صفرة فغضب عليه ، ويورد بعدها بنحو مائتى صفحة جانبًا آخر من الحديث يتصل بغضب المهلب بن أبى صفرة على البخترى وعدم إسناد أعمال له واعتذار البخترى وقبول المهلب للاعتذار ، ولا شك أن الخبرين ربما شكلا فى الأصل رواية واحدة عند ابن دريد ، وخاصة أن سند الرواية فيهما واحد ، فهو يمر من ابن دريد إلى السكن بن سعيد إلى محمد بن سعيد إلى محمد بن عباد ، لكن الذى جزأ الرواية هو نهج القالى فى البحث عن تعبير معين هنا وتعبير غيره هناك ، أو هو ما سنحت به الذاكرة فى كل موقف .

ومن هنا فقد رأينا أن نحاول اتخاذ المنهج المقابل ، بمعنى أن تكون نقطة البدء من موضوع الحديث لا من لغته ، وأن يصنف تبعًا لذلك ، وأن تجمع الأحاديث المتشابهة موضوعًا فى إطار واحد على النحو الذى أشرنا إليه .

وكانت هناك مشكلة سلاسل الإسناد ، وهى مشكلة ناقشنا من قبل بواعثها وتأثيرها على حركة الأحاديث كفن قصصى من شأنه الجنوح إلى الخيال ، والتباسها بفن «رواية الأخبار» التى ينبغى أن تجنح إلى الحقيقة ، ومن ثم فقد رأينا أن تتخفف الأحاديث أيضًا من سلاسل الإسناد فى أولها ، على أن يشار إلى ذلك فى الهوامش ، لمن يريد مزيدًا من التثبت أو الدرس ، ولأن النص اللغوى للأحاديث ، كان نصًّا «خاصًّا» دائمًا ، وكان غريبًا أحيانًا ، وكانت هناك مجهودات لشرحه ، ومن أهمها ما بذله القالى نفسه فى الأمالى ، فقد رأينا الاستفادة من هذه الشروح بالقدر الذى يساعد القارئ المعاصر على تفهم المعنى والفن القصصى ، لا على الإبحار فى النقاش اللغوى، ومن هنا فقد نزعنا الشروح التى تأتى فى صلب السياق وتعطل مسار الحدث القصصى، ولكننا أضفنا فى الهوامش خلاصتها لكى يستضىء بها القارئ إذا شاء ، دون أن تحول النص القصصى إلى مجرد متن لغوى .

أما إضافة عنوان لكل حديث ، فهى واحدة من الضرورات التى تمليها ثقافة «العين» حين تنزع إلى نقطة محددة تشدها وتتفرع عنها بقية الأجزاء ، فتحيط بالمجمل الذى من شأنه أن يشوقها إلى المفصل . ونعتقد أن ظهور الأحاديث فى هذا المعرض ، من شأنه أن يجسد «النص الغائب» وأن يقربه ربما من الصورة التى تصورها ابن دريد نفسه ، أو حتى من الصورة الغائبة التى ليس بين أيدينا منها إلا روايات وتعليقات الآخرين .

أحاديث
من عالم الأعراب والبادية

الأعراب والكدية

١ - يسأل .. ولا يكشف عن شخصيته* :

قال الأصمعى : وقف علينا أعرابى ونحن برملة اللوى فقال : رحم الله امرأ لم تَمْجُجْ أُذُناه كلامى ، وقدَّم معاذة من سوء مقامى ، فإن البلاد مُجدبة ، والحال مُسغِبة ، والحياء زاجرٌ يمنع من كلامكم ، والفقر عاذرٌ يدعو إلى إخباركم ؛ والدعاء أحدُ الصدقتين، فرحم الله امرأ أمر بمير ، أو دعا بخير ؛ فقلت : ممن أنت يرحمك الله ؟ فقال : اللهم غفرًا ، سوء الاكتساب ، يمنع من الانتساب .

٢ - الأعرابى السائل فى المسجد الحرام* :

قال أبو زيد : بينما أنا فى المسجد الحرام إذ وقف علينا أعرابى فقال : يا مسلمون إن الحمد لله والصلاة على نبيه ، إنى امرؤ من أهل هذا الملطاط(١) الشرقى المواصى(٢) أسياف تهامة(٣) ، عكفت على سنون محش(٤) ، فاجتبت(٥) الذرى ، وهشمت العرى(٦) وجمشت النجم ، وأعجت البهم(٧) ، وهمت الشحم ، والتحبت اللحم ، وأحجنت العظم ، وغادرت التراب مورا ، والماء غورا ، والناس أوزاعا ، والنبط قُعاعا(٨) ، والضهل

(١) * ورد الحديث فى الأمالى ، فى الجزء الأول ص ١٣٨ منسوبًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى، وقد ورد فى العقد الفريد ج ٣ ص ١٤٣ مع تغيير بعض العبارات.

(٢) * ورد الحديث فى الأمالى ، فى الجزء الأول ص ١١٣ منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى زيد .

(١) الملطاط : الوادى . (٢) المواصى : المواصل والملاصق . (٣) أسياف : سواحل البحر . (٤) المُحش: التى تحرق الكلأ . (٥) اجتبت : قطعت . (٦) العرى : قطع الشجر المجدب ترعاه الإبل . (٧) أعجت البَهم : أهزلت الماشية . (٨) النبط : أول ما يخرج من الماء من البئر ، والقعاع : المالح .

جُزاعا[٩] ، والمقام جعجاعا[١٠] ؛ يُصبحنا الهاوى ، ويطرُقنا العاوى[١١] ، فخرجت لا أتلفع وصيده ، ولا أتقوت هبيده[١٢] ، فالبخصات وقعة ، والرُّكبات زلعة ، والأطراف قفعة ؛ والجسم مُسلَهِم ، والنظر مُدرهم[١٣] ؛ أعشو فأغطش ، وأضحى فأخفش ، أُسْهِل ظالعا ، وأُحْزِن راكعا ، فهل من آمرٍ بمَيْرٍ أو داع بخير ، وقاكم الله سطوة القادر ، وملكة الكاهر ، وسوء الموارد ، وفُضُوح المصادر . قال : فأعطيته دينارًا ، وكتبت كلامه واستفسرته ما لم أعرفه .

٣ - الأعرابى السائل فى مسجد البصرة * :

وقف أعرابى فى المسجد الجامع فى البصرة فقال : قلَّ النَّيل ، ونقص الكيل ، وعجفت الخيل ، والله ما أصبحنا ننفخ فى وضح[١] ، وما لنا فى الدِّيوان من وشمة[٢] ، وإنا لعيال جَرِيَّة[٣] ، فهل من معين أعانه الله يعين ابن السبيل ، ونِضْوَ طريق ، وفَلَّ سِنة[٤] ؟ فلا قليل من الأجر ولا غِنَى عن الله ، ولا عمل بعد الموت .

---

(٩) الضهل : ما بقى من الماء ، والجزاع : المر . (١٠) الجعجاع : المكان الذى لا يطمئن من جلس إليه .

(١١) الهاوى: الجراد والعادى : الذئب . (١٢) تقوى الهبيد : أكل الحنظل . (١٣) العبارات كلها علامة على ضعف الجسد ، الركب والأطراف والجسم والنظر .

(٣) * ورد الحديث فى الأمالى ، فى الجزء الثانى ص ١٩٤ منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة عن يونس . وقد ورد الخبر فى العقد الفريد ج ٣ ص ١٤٨ مع تغير فى بعض العبارات .

(١) الوصح : اللبن . (٢) الوشمة : الخط ، يريد ليس لنا عطاء مكتوب . (٣) الجرية : الجماعة . (٤) الفل : القوم المنهزمون .

وهذه الأحاديث الثلاثة فى الكدية ، ربما تكون الأصل الذى بنى عليه بديع الزمان الهمذانى شكل مقاماته فى الكدية ونماذج بنى ساسان المختلفة عنده ، وطور من خلالها فن الكدية فى النثر فى شكل المقامات، والذى كان قد صاحبه تطور لفن الكدية فى الشعر والذى كان قد شاع عند بعض شعراء العصر كما أشرنا إلى ذلك فى الدراسة التمهيدية لهذا الفصل .

٤ - بدوية تعيش بين القبور * :

قال الأصمعى : دُفعت يومًا فى تلمسى بالبادية إلى واد خلاء لا أنيس به إلا بيت معتنز[١] بفنائه أعنُزٌ وقد ظمئت فيممته فسلمت ، فإذا عجوز قد برزت كأنها نعامة راخم[٢] ، فقلت : هل من ماء ؟ فقالت : أو لبن ؟ فقلت : ما كنت بغيتى إلا الماء ، فإذا يسر الله اللبن فإنى إليه فقير ، فقامت إلى قعب[٣] فأفرغت فيه ماء ونظفت غسله ثم جاءت إلى الأعنُز فتغبَّرتهن[٤] حتى احتلبت قُراب مِلْءِ القعب ، ثم أفرغت عليه ماء حتى رغا[٦] وطفت ثُمالته[٧] كأنها غمامة بيضاء ، ثم ناولتنى إياه فشربت حتى تحببت[٨] ريًّا ، واطمأننت فقلت : إنى أراك معتنزة فى هذا الوادى المُوحش والحلَّةُ منك قريب ، فلو انضممت إلى جنابهم فأنست بهم! فقالت : يابن أخى ، إنى لأَنس بالوحشة ، وأستريح إلى الوحدة ، ويطمئن قلبى إلى هذا الوادى الموحش ، فأتذكر من عهدت ، فكأنى أخاطب أعيانهم ، وأتراءى أشباحهم[١٠] ، ولتخيَّل لى أندية رجالهم ، وملاعب ولدانهم ، ومُنَدّى[١١] أموالهم ؛ والله يا بن أخى ، لقد رأيت هذا الوادى بشع اللَّدِيدَيْن[١٢] بأهل أدواح وقباب ، ونَعَم كالهضاب ، وخيل كالذئاب ، وفتيان كالرماح ، يبارون الرياح ، ويحمُون الصّباح ؛ فأحال عليهم الجلاء قمًّا[١٣] بغرفةٍ ، فأصبحت الآثار دارسة، والمَحَالُّ طامسة ، وكذلك سيرة الدهر فيمن وثق به . ثم قالت : ارم بعينك فى هذا الملا المُتباطِن ؛ فنظرتُ ، فإذا قبور نحو أربعين أو خمسين ، فقالت : ألا ترى الأجداث ؟ قلت : نعم ! قالت : ما انطوت إلا على أخ أو ابن أخ ، أو عم أو ابن عم ، فأصبحوا قد ألْمَأت[١٤] عليهم الأرضُ ، وأنا أترقَّب ما غالهم[١٥] ؛ انصرف راشدًا رحِمك الله .

---

(٤) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٦ مسندا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى.

(١) بيت معتنز : بيت منفرد . (٢) النعامة الراخم : التى تحضن بيضها . (٣) القعب : القدح الصغير.

(٤) تغبَّر : احتلب ما بقى فى الضرع من اللبن . (٥) قراب : قريب من . (٦) رغا : صارت له رغوة .

(٧) الثمالة : الرغوة . (٨) تحببت : امتلأت . (٩) الحِلة : البيوت المتجاورة . (١٠) الأشباح : الأشخاص. (١١) المندّى : المكان الذى تندى فيه الثمار . (١٢) بشع اللّديدين : ممتلئ الجانبين . (١٣) قمًّا: أى كنسا ، والقمامة : الكناسة ، والغرفة : نوع من الشجر . (١٤) ألْمأت : احتوت . (١٥) غالهم: أهلكهم.

٥ - الأعراب والخمر *

دخل أعرابى على بعض الأمراء وهو يشرب ، فجعل يحدثه وينشده ثم سقاه، فلما شربها قال : هى والله أيها الأمير ، أى هى الخمر ، فقال : كلا ، إنها زبيب وعسل، فلما طرب قال له : قل فيها ، فقال :

أتانا بها صفراء يزعم أنها ... زبيب فصدقناه وهو كذوب

وما هى إلا ليلة غاب نجمها ... أواقع فيها الذنب ثم أتوب

٦ - أعرابى بين ضرتين * :

قيل لأعرابى : من لم يتزوج امرأتين لم يذق حلاوة العيش ، فتزوج امرأتين ثم ندم ، فأنشأ يقول :

تزوجت اثنتين لفرط جهلى ... بما يشقى به زوج اثنتين

فقلت أصير بينهما خروفًا ... أنعم بين أكرم نعجتين

فصرت كنعجة تضحى وتمسى ... تداول بين أخبث ذئبتين

رضا هذى يهيج سخط هذى ... فما أعرى من احدى السخطتين

وألقى فى المعيشة كل ضر ... كذاك الضر بين الضرتين

لهذى ليلة ولتلك أخرى ... عتاب دائم فى الليلتين

فإن أحببت أن تبقى كريمًا ... من الخيرات مملوء اليدين

وتدرك ملك ذى يزن وعمرو ... وذى جدن وملك الحارثين

---

(٥) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٥٩ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى عثمان عن التوزى عن أبى عبيدة .

(٦) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٣٦ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى.

ومــلك المنــذريــن وذى نــواس		وتــبــع الــقــديم وذى رعين

فـعش عـزبًـا فـإن لم تسـتـطـعـه		فضـربًـا فـى عـراض الجحـفـلين

٧ - الأعرابى والبخيل* :

سأل أعرابى رجلاً درهمًا ، فقال :

لقد سألت مزيدًا :

الدرهم : عُشر العشرة ، والعشرة : عُشر المائة ، والمائة : عُشر الألف ، والألف : عُشر ديتك .

٨ - الأعرابى .. والكريم* :

دخل أعرابى على خالد بن عبد الله القسرى فقال : أصلح الله الأمير ، شيخ كبير حَدَته إليك بارية العظام(١) ، ومُورِّثه الأسقام ، ومُطلولة الأعوام ، فذهبت أمواله ، وذعذعت آباله(٢) ، وتغيرت أحواله ، فإن رأى الأمير أن يجبره بفضله ، وينعشه بسَجْله(٣) ، ويرُدَّه إلى أهله ! فقال : كلّ ذلك ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

٩ - الأعرابى .. وجار السوء*

نزل رجلٌ من العرب فى قوم عِدًى فأساءوا عِشرته ، فقيل له : كيف وجدت جيرتك ؟ فقال : يغتابنا أقصاهم ، ويكذب علينا أدناهم ، ويُكثرون لدينا نجواهم، ويَكشفون علينا خُصاهم .

---

(٧) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٧٨ مسندًا إلى ابن دريد ، دون سلسلة الرواة المعهودة.

(٨) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٤٦ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى.

(١) بارية العظام : أى الأحداث الجسيمة التى تبرى العظام .

(٢) دغدغت آباله : أى تفرقت إبله وتشتت .

(٣) السجل : الدلو الذى فيه ماء ، والإنعاش بالسجل ، كناية عن إغاثة الملهوف .

(٩) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى .

١٠ - أعرابية تكره المبالغة*

قال أبو على : وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال : حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعتْ أعرابيةٌ رجلاً ينشد :

وكـأس سُـلافٍ يحلف الـدِّيكُ أنـها   لدى المزج من عينيه أصفَى وأحسن

فقالت : بلغنى أن الديك من صالح طيركم وما كان ليحلف كاذبًا .

١١ - أعرابى يقبل النصيحة*

شاور أعرابى ابن عم له فأشار عليه برأى ، فقال : قلت بما يقول به الناصح الشفيق الذى يخلط حلو كلامه بمره وحَزْنَه بسهله ، ويُحرِّك الإشفاق منه ما هو ساكن من غيره ، وقد وعيْت النصح منه وقَبلتهُ إذ كان مصدره منه عند مَنْ لا شك فى مودته وصافى غَيْبه : وما زِلْتَ بحمد الله إلى الخير مَنْهَجًا واضحا وطريقًا مهيعًا (١) .

١٢ - الأعرابى والطعام الخشن*

عاب رجلٌ السّويق بحضرة أعرابى ، فقال : لا تعبه ، فإنه عُدَّة الْمسافر ، وطعام العَجْلان ، وغِذاء الْمبكّر ، وبُلْغُ المريض ، ويَسْرُو (١) فُـؤاد الحزين ، ويَرُدُّ من نفس المحْدُود (٢) ، وجَيِّدٌ فى التسمين ، ومنعوتٌ فى الطّب ، وقفارهُ يجلو البلغم (٣) ، وملتُوته يُصَفِّى الدَّم ، وإن شئت كان شرابًا ، وإن شئت كان طعامًا ، وإن شئت فثريدًا ، وإن شئت فخبيصًا .

---

(١٠) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٣٦ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى.

(١١) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٨٠ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى.

(١) الطريق المهيع : الواضح .

(١٢) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٩٥ منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى.

(١) يسرو : يكشف ما عليه ، يقال : سرا عنه ثوبه إذ نزعه ، وسرا فؤاد الحزين إذا كشف ما عليه من الحزن.

(٢) المحدود : من قد أقيم عليه الحد ، أى أن طعام السويق يرد عليه نفسه بعد إجهاد الجلد الذى عاناه.

(٣) القفار من السويق ، هو الشديد الخشونة ، الذى لم يخلط بزيت أو سمن أو لبن .

١٣ - أعرابية ثكلى متجلدة*

قال الأصمعى : دخلت على امرأة من العرب بأعلى الأرض فى خِباء لها وبين يديها بُنَىٌّ لها قد نزل به الموت ، فقامت إليه فأغمضته وعصَّبته وسجَّته ، ثم قالت : يا بن أخى ، قلتُ : ما تشائين ؟ قالت : ما أحقَّ مَنْ أُلبس النِّعمة وأُطيلت به النظرة أن لا يدع التَّوَثُّقَ من نفسه قبل حَلِّ عُقدته والحُلُول بِعَقْوتِه والمَحالة بينه وبين نفسه ، قال: وما يَقْطُر من عينها قَطْرٌ صَبْرًا واحتسابًا ، ثم نظرت إليه فقالت : والله ما كان مالُكَ لبَطْنِك ولا أَمْرُكَ لِعُرسِك! ثم أنشدت تقول :

رَحيبُ الذِّراع بالتى لا تشينُه وإنْ كانت الفحشاءُ ضاق بها ذرْعا

١٤ - الجمال المثالى عند الأعرابى*

قال أعرابى لابن عمه : اطْلُب لى امرأة بيضاء حديدة فرعاء جعدة ، تقوم فلا يصيب قميصها منها إلا مُشاشة منكبيها ، وحلمتى ثدييها ، ورانِقَتَىْ أَلْيَتَيْها ، ورضافَ رُكبتيها ، إذا استلقت فرَمَيْتَ من تحتِها بالأَتْرُجَّة العظيمة نفَذت من الجانب الآخر ، وأنَّى بمثل هذه إلا فى الجنان ! .

١٥ - حُداء الأعراب يشفى الأصمعى من الحمى*

قال الأصمعى : نزلتُ فى واد من أودية بنى العنبر وإذا هو مُعانٌ بأهله وإذا فتيةٌ يريدون البصرة ، فأحببت صحبتهم فأقمت ليلتى عليهم ، وإنى لَوَصِبٌ مَحْمُومٌ أخاف لا أستمسك على راحلتى ، فلما قاموا ليرحلوا أيقظونى ، فلما رأوا حالى رَحلوا بى

---

(١٣) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٧٨ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن.

(١٤) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٨٣ ، وقد ورد الحديث بصيغة مختلفة ، فى العقد الفريد ج ٣ ص ١٧١.

(١٥) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨، مصدرًا بسند : حدثنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه .

وحملونى وركب أحدهم ورائى يُمسكنى ، فلما أمْعَنُوا فى السير : تنادَوْا : ألا فتى يحدُو بنا أو ينشدنا ؟ فإذا مُنشِدٌ فى جوف الليل بصوت نَدٍّ حزين يقول :

لَعَمْرُكَ إنى يوم بانو فلم أمُتْ ... خُفاتًا على آثارهم لَصَبورُ

غداة المُنقَّى [1] إذ رميتُ بنظرةٍ ... ونحنُ على متن الطريق نسيرُ

ففاضت دموعُ العين حتى كأنها ... لناظرهم غُصْنٌ يُراحُ مَطِيرُ

فقلت لقلبى حين خَفَّ به الهوى ... وكادَ من الوجد المُبِرِّ يطيرُ [2]

فهذا ولَمَّا تَمْضِ للبَيْنِ ليلةٌ ... فكيف إذا مَرّتْ عليك شُهورُ

وأصبح أعلامُ الأحِبَّة دُونها ... من الأرض غَوْلٌ نازحٌ ومَسِيرُ

وأصبحتُ نَجْدِيَّ الهوى مُتْهمَ النَّوى ... أزيدُ اشْتياقًا إذ يَحِنُّ بَعِيرُ

عسى الله بعدَ النَّأى أن يُعْقِبَ النَّوى ... ويُجْمَع شَمْلٌ بعدها وسُرورُ

قال : فسكنت عنى الحُمَّى حتى ما أحس بها ، وقلت لرديفى ، انزل إلى راحلتك فإنى مُفيقٌ مُتماس ، جزاك الله وحُسنَ الصحبة خيرا!

١٦ - الأعرابى بين زوجته والخروف والخمر*

اشترى أعرابى خمرًا بجزَّةٍ من صوف فغضبت عليه امرأته فأنشأ يقول :

غضبت علىّ لأن شَربتُ بصوف ... ولئن غَضبتِ لأشربن بخروف

ولئن غضبتِ لأشربن بنعجةٍ ... دَهْساء مالئة الإناء سحُوف [1]

ولئن غضبتِ لأشربن بناقةٍ ... كَوْماء ناوية العظام صَفُوف [2]

---

(١) المُنقى : موضع بين أحد والمدينة . (٢) الوجد المُبِر : الوجد المغلوب .

(١٦) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٥٠ منسوبًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى.

(١) السحوف : ذات الشحم الكثير . (٢) الصفوف : التى تصف بين رجليها عند الحلب .

ولـئـن غضـبتِ لأشـربـن بسـابـح		نَـهْـدٍ أشـمَّ المنـكـبين مُـنـيـف
ولـئـن غضـبتِ لأشـربـن بـواحـدى		ولأجـعـلـن الصبر مـنـه حـلـيـفـى
ولـقـد شـهـدتُ الخيلَ تعثُر بالقـنـا		وأجـبـتُ صـوت الصـارخ الملـهـوف
ولـقـد شـهـدتُ إذا الخصوم تواكـلـوا		بــخـصــام لا نَــزِقٌ ولا غُــلْــفُـوف

١٧ - أعرابى وقرد وامرأة*

أدخل أعرابى قردًا إلى سوق الحيرة ليبيعه ، فنظرت إليه امرأة ، فقالت : مُسخ ، فقال :

قــد جــرت الــطير أيــامــيــنــا		قــالت وكــنـت رجــلاً فــطــيــنــا
هــذا ورب الــبــيت إسـرائـيـنــا [1]

١٨ - جهل الأعراب بالقرآن*

اختصم أعرابيان إلى شيخ منهم ، فقال أحدهما :

- أصلحك الله ، ما يُحسن صاحبى هذا آية من كتاب الله عز وجل .

فقال الآخر :

- كذب والله ، إنى لقارئ كتاب الله .

قال : فاقرأ ،

قال :

عــلــق الــقــلب ربــابــا		بــعــدمــا شــابت وشــابــا

---

(١٧) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٤٤ نقلاً عن كتاب المتناهى فى اللغة لابن دريد .

(١) إسرائين : لغة فى إسرائيل .

(١٨) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٣٠٨ مصدرة برواية ابن دريد ، عن عبد الرحمن عن الأصمعى.

قال الشيخ :

- لقد قرأتها كما أنزلها الله .

فقال صاحبه :

- والله ، أصلحك الله ، ما تعلّمها إلا البارحة .

١٩ - أعرابى يتكلم فى الصلاة *

قال الأصمعى : قرأ إمام ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التى حَرَّم الله إلا بالحق ، ولا يزنون﴾ ثم أُرْتِجَ عليه ، فقال أعرابى من خلفه : إنك يا إمام ، ما عَلمتُ ، لفعولٌ لما تحيرت فيه .

٢٠ - بين الأعراب .. التحيةُ بمثلها *

مرّ أعرابىّ بأعرابيّة تبكى زوجها فقال : وما يُبكيك ! لا جَمَعَ الله بينك وبينه فى الجنة ، ثم مرّ بها بعد ذلك فقال : يا فلانة ، رفئينى [1] فإنى قد تزوجتُ ، فقالت : نَعَمْ ، بالبيت المهدوم ، والطائر المشئوم ، والرَّحِم المعقُوم .

٢١ - أعرابى يخاف من الصيام *

نظر أعرابى إلى قوم يلتمسون هلال شهر رمضان فقال : والله لئن آثرتُموه لَتمْسِكُنّ منه بذُنابَى عيشٍ أغبر .

(١٩) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٨٣ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم .

(٢٠) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٧٣ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن عبد الرحمن عن الأصمعى .

(١) رفئينى : أى ادع لى بالرفاء .

(٢١) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٣١ ، والحديث منسوب إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى ، ورواه صاحب العقد الفريد ج ٣ ص ١٨٣ .

٢٢ - البواب الضخم *

مرّ أعرابى برجل يكنى أبا الغمر ، وكان ضخمًا جسيما ، وكان بوابًا لبعض الملوك، فقال : أعِن الفقير الحَسِير ، فقال : ما أَلْحَفَ سائلكم ، وأكثر جائعكم! أراحنا الله منكم ، فقال له الأعرابى : لو فُرّق قوتُ جسمك فى جسوم عشرة منا لكفانا طعامُك فى يوم شهرا ، وإنك لعظيم السرْطَة ، شديد الضرْطَة ، لو ذُرّى بحبقَتِك بَيْدَرٌ (١) لكفَتْه ريحَ الجِرْبياء (٢) .

٢٣ - الحاجب تجاهل الأعرابى *

كان عبدالله بن عامر بن كُريز من فتيان قريش جودًا وحياءً وكرمًا ، فدخل أعرابى البصرة فسأل عن دار ابن عامر فأُرشِد إليها ، فجاء حتى أناخ بفنائها فاشتغل عنه الحاجب والعبيد ، فبات القفْرَ ، فلما أصبح ركب ناقته ووقف على الحاجب ، وأنشأ يقول :

كأنى ونِضْوى عند باب ابن عامر ... من الجوع ذئبا قفرةٍ هَلِعان
وقفتُ وصِنَّبرُ الشتاء يلُفُّنى ... وقد مس بردٌ ساعدى وبنانى
فما أوقدوا نارًا ولا عَرَضوا قِرًى ... ولا اعتذروا من عثرة بلسان

فقال بعض شعراء البصريين :

كم مِنْ فتىً تُحمدُ أخلاقه ... وتَسكُن العافُون فى ذِمته
قد كثَّر الحاجبُ أعداءه ... وأحقد الناس على نعمته

فبلغ ذلك ابن عامر ، فعاقب الحاجب ، وأمر ألا يغلق بابه ليلاً ولا نهارا .

---

(٢٢) * ورد الحديث فى الأمالى ، منسوبًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى .

(١) البيدر : موضع درس الحبوب . (٢) ريح الجربياء : ريح الشمال .

(٢٣) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٧٨ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعى.

٢٤ - صلاة الأعرابى *

رأى الأصمعى أعرابيًّا يصلى وهو يقول : أسألك الغفيرة ، والناقة الغزيرة ، والشرف فى العشيرة ، فإنها عليك يسيرة .

٢٥ - أعرابى يصف إخوته *

قال العتبى : أخبرنى أعرابى عن إخوة ثلاثة قال : قلت لأحدهم : أخبرنى عن أخيك زيد ، فقال : والله ما رأيت أحدا أسْكنَ فورًا ، ولا أبعد غورًا ، ولا آخذ لذنب حُجةٍ قد تقدم رأسُها من زيد ، فقلتُ : أخبرنى عن أخيك زائد ، قال : كان والله شديد العُقدة، لين العطفة ، ما يُرضيه أقل مما يُسخطه ، فقلت : فأخبرنى عن نفسك ، فقال : والله إن أفضل ما فىَّ لمعرفتى بفضلهما ، وإنى مع ذلك لغير منتشر الرأى ، ولا مخذول العزم.

٢٦ - على باب الفضل بن الربيع *

قال عبدالله بن مصعب الزبيرى : كنا بباب الفضل بن الربيع والآذن يأْذنُ لذوى الهيئات والشارات ، وأعرابى يدنو فكُلما دنا صُرِخَ به ، فقام ناحية وأنشأ يقول :

رأيت آذننـــا يـعـتـــام بِـزَّتـنـــا ... ولـيس لـلـحسب الـزاكـى بمُعـتـام

ولـو دُعـينـا عـلـى الأحساب قدمنى ... مجدٌ تـلـيـدٌ وجـدٌ راجـحٌ نـامـى

متـى رأيت الصـقـور الجُدْلَ يـقْدُمُها ... خِـلـطـانِ مـن رَخَـمٍ فُـزْعٍ ومـن هـام

٢٧ - أعرابى يصف حكيما *

ذكر أعرابى من بنى كلاب رجلاً فقال : كان والله الفهمُ منه ذا أذُنين ، والجواب ذا لسانين ، لم أر أحدًا كان أرتق رأى منه ، ولا أبعد مسافة روية ومَرَاد طرف ، إنما يرمى

(٢٤) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢١ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى .
(٢٥) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٣ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى .
(٢٦) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٨١ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن عبد الله بن مصعب.
(٢٧) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٤ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .

بهمته حيث أشار إليه الكرم ، ومازال والله يتحسَّى مرارة أخلاق الإخِوان ويسقيهم عُذُوبة أخلاقه .

٢٨ - أعرابى يصف كريما*

ذُكر رجل عند أعرابى فَوَقَع فيه قوم ، فقال : أما والله إنه لآكلُكُم للمأدوم ، وأعطاكم للمغروم ، وأكبُكم للمعدوم ، وأعطفكم على المحروم .

٢٩ - أعرابى يصف المطر*

سُئل أعرابى عن مطر فقال : استقل سد (١) مع انتشار الطُّفل (٢) ، فشصا (٣) واحزأل (٤) ، ثم اكفهرت (٥) أرجاؤه ، واحمومت (٦) أرحاؤه (٧) ، وابزعرَّت (٨) فوارقه (٩) ، وتضاحكت بوارقه ، واستطار وادِقُه ، وارتتقت جُوَبُه (١٠) ، وارتعن (١١) هيدبه (١٢) ، وحشكت (١٣) أخلافه (١٤) ، واستقلت أردافه ، وانتشرت أكنافه (١٥)، فالرعد مُرتجس (١٦) ، والبرق مُختلس (١٧) ، والماء مُنبجس ، فأترع الغدر ، وانتبث (١٨) الوجر (١٩) ، وخلط الأوعال بالآجال (٢٠) ، وقرن الصيران (٢١) بالرئال (٢٢) ، فللأودية هدير ، وللشّراج خرير ، وللتلاع (٢٣) زفير ، وحط النبع (٢٤) والعُتم (٢٥) ، من القُلل الشُّم ، إلى القيعان الصُّحم (٢٦)، فلم يبق فى القُلل إلا معُصم (٢٧) مُجرَنْثِن (٢٨) ، أو داحص (٢٩) مُجَرْجَمْ (٣٠) ، وذلك من فضل رب العالمين ، على عباده المذنبين .

---

(٢٨) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٤ مسندًا إلى ابن دريد عن حاتم عن الأصمعى .

(٢٩) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٧١ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه.

(١) السد : السحاب . (٢) الطفل : العشى . (٣) شصا : ارتفع . (٤) اجزأل : ارتفع . (٥) اكفهر : تراكم . (٦) احمومت : اسودَّت . (٧) ارجاؤه : اوساطه . (٨) ابزعرت : تفرقت . (٩) الفوارق : السحاب المتفرق . (١٠) جوبه : فربه . (١١) ارتعن : استرخى . (١٢) هيدبه : الذى يتدلى ويدنو من الأرض . (١٣) حشكت : امتلأت . (١٤) أخلافه : الضرع للشاة . (١٥) اكنافه : نواحيه . (١٦) مرتجس: مصوِّت . (١٧) مختلس : كأنه يختلس البصر لشدة لمعانه . (١٨) وانتبث : أخرج ترابها . (١٩) الوُجُر : سرب الثعلب والضبع . (٢٠) بالآجال : قطعان البقر . (٢١) الصيران : البقر . (٢٢) الرئال : النعام . (٢٣) التلاع : مجارى ما ارتفع من الأرض . (٢٤) النبع : شجر يتخذ منه القسى . (٢٥) العُتم: الزيتون الجبلى . (٢٦) الصحم : التى تعلوها حمرة . (٢٧) المعصم : الذى تمسك بالجبال وامتنع فيها . (٢٨) مجرنثم : متقبض . (٢٩) داحص : الذى يفحص برجليه عند الموت . (٣٠) المجرجم : المصروع.

٣٠ - أعرابى آخر يصف الجدب ثم المطر*

قال الأصمعى : سمعت أعرابيًا من غَنِيٍّ يذكر مطرًا صاب بلادهم فى غب جدب فقال : تدارك ربُّك خلقه وقد كلبت [١] الأمحال ، وتقاصرت الآمال ، وعكف اليأس ، وكُظمت الأنفاس ، وأصبح الماشى [٢] مصرما [٣] ، والمُترب مُعدما ، وجُفِيَت الحلائل ، وامتهنت العقائل [٤] ، فأنشأ سحابًا رُكاما ، كنهورًا [٥] سَجّاما ، بُروقه متألقة ، ورُعُوده مُتَقَعْقِعة ، فَسَحَّ ساجيا [٦] راكدا [٧] ، ثلاثًا غير ذى فُواق [٨] ، ثم أمر ربُّك الشمال فطحرت [٩] رُكامه ، وفرقت جهامه [١٠] ، فانقشع محمودا ، وقد أحيا وأغنى ، وجاد فأروى ، والحمدلله الذى لا تُكتُّ [١١] نعمه ، ولا تنفد قِسمُه ، ولا يخيب سائله .

٣١ - نصيحة أعرابى *

قال الأصمعى : سمعت أعرابيًا من بنى مُرة يعظ ابنًا له وقد أفسد ماله فى الشراب فقال : لا الدهر يعظك ولا الأيام تُنذرك ، والساعاتُ تُعَدّ عليك ، والأنفاس تُعدّ منك ، أحبّ أمْرَيْك إليك ، أردُّهما بالمضرة عليك .

وسمعت أعرابيًا يقول لأخ له : اعلم أن الناصح لك المُشفق عليك من طالع لك ما وراء العواقب برويته ونظره ، ومثل لك الأحوال المَخُوفة عليك ، وخلط الوعر بالسهل من كلامه ومشورته ، ليكون خوفُك كِفاء رجائك ، وشُكرك إزاء النعمة عليك ، وأن الغاش لك والحاطِب عليك مَنْ مَدَّ لك فى الاغترار ، ووطأ لك مِهاد الظلم ، تابعًا لمرضاتك ، منقادًا لهواك .

---

(٣٠) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٧٣ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى.

(١) كلبت : اشتدت . (٢) صاحب الماشية . (٣) المصرم : المعدم . (٤) العقائل : الكرام . (٥) الكنهور: قطع كأنها الجبال . (٦) فصب ساكنا . (٧) راكد : ثابت . (٨) فواق : إن يصب فيسكن فيصب أخرى. (٩) طحرت : أذهبت . (١٠) الجهام : السحاب الذى هعراق ماء . (١١) تكت : تحصى.

(٣١) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى.

٣٢ - من حكم الأعراب *

قال أعرابى : لا يوجد العجيل محمودًا ، ولا الغضبوب مسرورًا ، ولا المَلُول ذا إخوان ، ولا الحُرُّ حريصًا ، ولا الشره غنيا .

وقال أعرابى : صُن عقلك بالحِلم ، ومروءتك بالعفاف ، ونجدتك بمجانبة الخُيلاء، وخلتك بالإجمال فى الطلب ، أقبح أعمال المُقتدرين الانتقام ، وما استُنبط الصواب بمثل المُشاورة ، ولا حُصنت النِّعم بمثل المواساة ، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكِبر.

٣٢ - أعرابى بليغ *

ذكر أعرابى قومًا فقال : أدبتهم الحكمة ، وأحكمتهم التجارب ، ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهَلَكة ، وجانبوا التسويف الذى به قطع الناس مسافة آجالهم ، فذلت ألسنتهم بالوعد ، وانبسطت أيديهم بالإنجاز ، فأحسنوا المقال ، وشفعوه بالفعال.

٣٤ - وصية أعرابى *

قال الأصمعى : سمعت أعرابيًّا يوصى ابنه فقال : ابذل المودة الصادقة تستفد إخوانا ، وتتخذ أعوانا ، فإن العداوة موجودة عتيدة ، والصداقة مُستعزِزَةٌ ، جنِّبْ كرامتك اللئام ، فإنهم إن أحسنت إليهم لم يشكروا ، وإن نزلت شديدةٌ لم يصبروا .

٣٥ - حسناء .. يصفها أعرابى *

سُئل أعرابى عن امرأة فقال : هى أرقُّ من الهواء ، وأطيب من الماء ، وأحسن من النَّعماء ، وأبعد من السماء .

---

(٣٢) * ورد الحديثان فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٩، ٣٠ ؛ مسندين إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .

(٣٣) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢١ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه.

(٣٤) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٩٧ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى .

(٣٥) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٩٨ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن الرياشى عن العتبى .

* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٩٨ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن الرياشى عن الأصمعى.

٣٦ - الحَيْن يغطى العين *

قيل لأعرابى قَدِم الحضرة : ما أقدمك ؟ فقال : الحَيْن الذى يغطى العَيْن.

٣٧ - أعرابى يتولى منصبًا عامًا *

ولى جعفر بن سليمان أعرابيًا بعض مياههم ، فخطبهم يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإن الدنيا دار بلاغ ، والآخرة دار قرار ، فخذوا لمقركم من ممركم ، ولا تهتكوا أستاركم ، عند من لا تخفى عليه أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حييتم ، ولغيرها خُلقتم ، إن الرجل إذا هلك ، قال الناس ما ترك ، وقالت الملائكة ما قدَّم ، فلله آباؤكم ! قدموا بعضًا ، يكن لكم قرضا ، ولا تخلفوا كُلًا ، يكن عليكم كَلًا ، أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم.

٣٨ - أعرابى يواجه التهديد بالكدية *

حج عتبة سنة إحدى وأربعين - والناس قريبٌ عهدهم بفتنة - فصلى بمكة الجمعة ، ثم قال : أيها الناس ، إنا قد ولينا هذا المقام الذى يضاعف فيه للمحسن الأجر، وعلى المسىء فيه الوزر ، ونحن على طريق ما قصدنا ، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا ، فإنها تنقطع دوننا ، ورب متمن حتفه فى أمنيته ، فاقبلوا العافية ما قبلناها فيكم وقبلناها منكم ، وإياكم ولوًا فإنها أتعبت من كان قبلكم ، ولن تريح من بعدكم ، وأنا أسأل الله أن يعين كُلًا على كل . فصاح به أعرابى : أيها الخليفة ، فقال : لست به ولم تُبعد ، فقال : يا أخاه : يا أخاه ، فقال: سمعت فقل ، فقال : تالله أن تُحسنوا وقد أسأنا ، خيرٌ من أن تُسيئوا وقد أحسنا ، فإن كان الإحسان لكم دوننا فما أحقكم باستتمامه وإن كان منًا ،

---

(٣٦) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٩٨ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن الرياشى عن الأصمعى.

(٣٧) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٥٣، ٢٥٤ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .

(٣٨) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٣٦ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى عثمان عن العتبى عن أبيه عن هشام بن صالح عن سعيد ، وورد الحديث فى العقد الفريد ج ٣ ص ١٤٣ .

فما أولاكم بمكافأتنا، رجل من بنى عامر بن صعصعة يلقاكم بالعُمومة ، ويقرُب إليكم بالخُئُولة ، قد كثره العيال ، ووطئه الزمان ، وبه فقر ، وفيه أجر ، وعنده شكر . فقال عتبة : أستغفر الله منكم ، وأستعينه عليكم ، قد أمرنا لك بغناك ، فليت إسراعنا إليك، يقوم بإبطائنا عنك .

٣٩ - بلاغة أعرابى *

قال أعرابى لصديق : دع ما يسبق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عندك اعتذاره، فليس من حكى عنك نُكرًا ، تُوسِعهُ فيك عُذْرا .

وقال أعرابى كبير السن : أصبحت والله تقيدنى الشعرة ، وأعثر بالبعرة ، وقد أقام الدهرُ صعرى بعد أن أقمت صعره .

٤٠ - مشادة بين أعرابية وزوجها *

قال الأصمعى : سمعت امرأة من العرب تخاصم زوجها وهى تقول : والله إن شُربك لاشتفاف ، وإن ضجعتك لانجعاف [1] ، وإن شملتك لالتفاف ، وإنك لتشبع ليلة تُضاف ، وتنام ليلة تخاف ، فقال لها : والله إنك لكرواء الساقين ، قعواء الفخدين ، مقاء الرفقين ، مفاضة الكشحين ، ضيفك جائع ، وشرك شائع .

٤١ - الأصمعى يقصد أعرابيًا عجوزًا *

قال الأصمعى : قدم علينا البصرة رجل من أهل البادية شيخ كبير فقصدته فوجدته يخضب لحيته ، فقال : ما حاجتك ؟ فقلت : بلغنى ما خَصك الله به فجئتك

---

(٣٩) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .

(٤٠) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٠٤ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه.

(١) الانجعاف : الانصراع .

(٤١) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٩٢ ، ٩٣ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .

أقتبس من علمك ، فقال : أتيتنى وأنا أخضب وإن الخضاب لِمن علامات الكِبَر ، وطال والله ما غدوت على صيد الوحوش ، ومشيت أمام الجيوش ، واختلت بالرِّداء وهُؤتُ بالنساء ، وثريت الضيف ، وأرويت السيف ، وشربت الراح ، ونادمت الجحجاح [1] ، فاليوم قد حنانى الكِبَر ، وضعف منى البصر ، وجاء بعد الصفو الكدر ، ثم قبض على لحيته وأنشأ يقول :

شيبٌ تُغيِّبه كيْما تَغُر به ... كبيعك الثوب مطويًّا على حرق
قد كنت كالغُصن ترتاح الرياح له ... فصرت عُودًا بلا ماء ولا ورق
صبرًا على الدهر إن الدهر ذو غيرٍ ... وأهلُه منه بين الصفو والرنق

٤٢ - الأصمعى يفوز على أعرابى*

قال الأشناندانى : كنا يومًا فى حلقة الأصمعى ، إذ أقبل أعرابى يرفُل فى الخُزُوز ، فقال : أين عميدكم ؟ فأشرنا إلى الأصمعى ، فقال : ما معنى قول الشاعر :

لا مال إلا العطاف تُوزرُه ... أُمُّ ثلاثين وابنة الجبل
لا يرتقى النَّزُّ فى ذلاذله ... ولا يُعدِّى نعليه عن بلل؟

قال : فضحك الأصمعى وقال :

عُصْرَتُه نُطفةٌ تضمنها ... لِصبٌ تلقى مواقع السُّبل
أو وجبةٌ من جَناةِ أشكَلَة ... إن لم يُرغها بالقوس لم تُنل

---

(١) الجحجاح : السيد الكريم .

(٤٢) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٦٥، ٢٦٦ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن الأشناندانى . ومغزى الحديث أن الأعرابى جاء يعرض على الأصمعى أبياتًا نادرة ظنًّا منه أن لم يسمع بها أحد ، ففوجئ بالأصمعى يحفظ بقية القصيدة فولى مدبرا .

٤٣ - أعرابى يصف قومه*

قال الأصمعى : سمعت أعرابيًا يذكر قومه فقال : كانوا والله إذا اصطفوا تحت القتام ، خطرت بينهم السهام ، بوفود الحِمام ؛ وإذا تصافحوا بالسيوف فَغَرَتِ[1] المنايا أفواهها ؛ فربَّ يومٍ عارم قد أحسنوا أدبه ، وحرب عبوسٍ قد ضاحكتها أسنتهم ، وخطبٍ شَيْزٍ[2] قد ذللوا مناكبه ، ويومٍ عَماس[3] قد كشفوا ظُلمه بالصبر حتى ينجلى ؛ إنما كانوا البحر الذى لا يُنكش[4] غمَارهُ ، ولا يُنَهْنَه تيارُه .

٤٤ - أعرابى يحسن التخلص*

ذكر أعرابى رجلاً فقال : مالهُ لجَ أُمه ، فرفعوه إلى السلطان ، فقال : إنما قلت مَلَجَ أمه . قال أبو بكر قال أبو العباس : لجها: نكحها وملجها رضعها .

٤٥ - أعرابى فصيح*

قدم أعرابى البصرة فنزل على قوم من بنى العنبر وكان فصيحًا ، فكنا نسير إليه فلا نعدم منه فائدة ، فجُدِرَ ثم برأ فأتيناه يومًا فأنشدنا :

ألم يأتِها أنى تلبَّستُ بعدها ... مُفوَّفة صَنَّاعُها غير أخرقا

وقد كنت منها عاريًا قبل لُبسها ... فكان لِباسيها أمرٌ وأعلقا[1]

---

(٤٣) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٣٩ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه.
(١) فغرت : فتحت . (٢) شيز : مقلق . (٣) عماس : شديد . (٤) ينكش : ينزح .

(٤٤) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٣٧ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن ثعلبى .

(٤٥) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٨٣ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه.
(١) أعلق : أى أشد مرارة ، وقد قال القالى : إن هذه أول كلمة سمعها من ابن دريد فى أول درس حضره له .

٤٦ - بلاغة غلام•

مر مَنْسِرٌ[1] من العرب بغلام يرعى غُنيمة له وبينه وبين أهله شِعب أو نقب، فترك غنمه وأسند فى الجبل فأتى قومه فأنذرهم؛ فقالوا له: ما رأيت؟ قال: رأيت سبعة كالرماح، على سبعة كالقداح؛ غائرة العيون، لواحق البُطون، مُلس المُتُون؛ جريُها انبتار[2]، وتقريبها انكدار[3]، وإرخاؤها استعار؛ وعهدى بهم قد لذوا بالضلع، وكأنكم بغُبارهم قد سطع، فلم يفرغ من كلامه حتى رأوا الغبرة فاستعدّوا، وصادفهم القوم حاذرين فأدبروا عنهم.

٤٧ - أعرابى يصف خيلاً•

سمعت أعرابيًا يصف خيلاً فقال: سَباط الخصائل[1]، ظماء المفاصل، شداد الأباجل[2]، قب[3] الأياطل[4]، كرام النواجل[5].

٤٨ - أعرابى يصف إبلاً•

سمعت أعرابيًا يصف إبلاً فقال: إنها لعِظام الحناجر[1]، سباط المشافر، كُومٌ[2] بهازر[3]، نكدٌ[4] خناجر، أجوافها رغاب، وأعطانها رحاب، تُمنع من البُهم، وتُبذل للجُمم.

---

(٤٦) • ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى، ص ٤٤؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه عن ابن الكلبى.

(١) المنسر: جماعة الخيل وتستخدم فى العامية المصرية الآن بمعنى العصابة فيقال: «شيخ منسر».
(٢) شدة الجرى. (٣) السرعة المتوسطة. (٤) الجبل الصغير.

(٤٧) • ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى، ص ٥١؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه.
(١) لحم الفخذ. (٢) القوائم. (٣) ضمامرة. (٤) الكشح. (٥) الذرية.

(٤٨) • ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى، ص ٥١؛ مسندًا إلى أبى بكر عن عبد الرحمن عن عمه.
(١) واحدها حنجور وهو الحلقوم. (٢) جمع أكوام. (٣) العظام. (٤) النكد: الغزيرة.

٤٩ - أعرابى يصف بنيه*

قال الأصمعى : قلت لأعرابى بحمى الربذة : ألك بَنُون ؟ قال : نعم ، وخالقِهم لم تقُم عن مثلهم مُنجِبة ، فقلت : صِفهم لى ، فقال : جَهمٌ وما جَهْم ! يُنضِى[١] الوهم[٢] ، ويصُدُّ الدُّهم[٣] ، ويَفْرى[٤] الصُّفُوف ، ويعُلُّ السُّيُوف ؛ ثُمَّ مَنْ ؟ قال : غَشَمْشَم وما غَشَمْشَم ! مالُهُ مُقسَّم ، وقِرنه مُجَرْجَم[٥] ؛ جِذْلُ حكَاك ، ومِدْرَهٌ[٧] لِكَاك[٨] ؛ قلت : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : عَشَرَّب وما عَشَرَّب ! ليثٌ مُحرب[٩] ، وسِمامٌ مُقشب[١٠] ؛ ذِكرهُ باهر[١١] وخَصمه عاثر ؛ وفناؤُه رُحاب ، وداعيه مُجاب ؛ قلت : فصف لى نفسك ، فقال: ليثٌ أبو ريابل ، رَكَّاب مَعَاضل ، عسَّاف مَجاهل ، حمَّال جعباء ، نهاض ببزلاء .

٥٠ - الرواد والجدب*

أجدبت بلاد مَذْحج فأرسلوا رُوادًا من كل بطن رجلا ، فبعثت بنو زبيد رائدًا ، وبعثت النَّخع رائدًا ، وبعثت جُعفى رائدًا ، فلما رجع الرُّوَّاد قيل لرائد بنى زبيد : ما وراءك ؟ قال : رأيت أرضًا مُوشمة[١] البقاع ، ناتحة[٢] النقاع ؛ مستحلسة[٣] الغيطان ، صاحكة القُريان[٤] ؛ واعدة[٥] وأحْرِ بوفائها ، راضية أرضها عن سمائها[٦] . وقيل لرائد جعفى : ما وراءك ؟ قال : رأيت أرضًا جمَعَت السماءُ أقطارها ، فأمْرَعَت أصبارها[٧] ،

---

(٤٩) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٥٢ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه.
(١) يُنضى : يُهزل . (٢) الوهم : الضخم العظيم من الإبل . (٣) الدهم : العدد الكثير . (٤) يفرى : يشق . (٥) المجرجم : المصروع . (٦) الجذل : أصل الشجرة . (٧) المدره : لسان القوم والمتكلم عنهم والمدافع عنهم . (٨) لكاك : زحام . (٩) : مُحَرَّب : المغضب . (١٠) مقشب : مخلوط . (١١) باهر : غالب . وأسماء بنيه هى : جهم وغشمشم وعشرب ، واسمه هو «ليث» ، وفى الحديث دلالة على رغبة ابن دريد فى التأكيد على أن «أسماء» العرب لها دلالات مقصودة ، وهو ما توسع فيه فى كتابه «الاشتقاق».

(٥٠) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٨٠ ، ١٨١ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن السكن عن محمد بن عباد عن ابن الكلبى عن أبيه عن أشياخ من بنى الحارث .
(١) موشمة : بدا فيها النبات . (٢) ناتحة : راشحة . (٣) مستحلسة : غطاها النبت . (٤) القريان : مجارى الماء . (٥) واعدة : تعد تمام نباتها وخيرها . (٦) السماء : الغيث . (٧) أصبارها : ما علا من الوادى .

وديثت أوعارها[٨] فبُطانُها غمِقة[٩] ، وظُهرانُها[١٠] غَدِقة[١١] ، ورياضُها مُستوسقة[١٢] ؛ ورَقَاقُها[١٣] رائخ[١٤] ، وواطئُها سائخ[١٥] ، وماشيها[١٦] مسرور ، ومصرمها[١٧] محسور . وقيل للنخعى : ما وراءك ؟ فقال : مَدَاحى سيل ، وزهاء[١٨] ليل ، وغيلٌ[١٩] يواصى غيلا ؛ قد ارتوت أجرازُها[٢٠] ، ودمّت[٢١] عَزَازُها[٢٢] - وقال مرة : ودَمِثَ - والْتَبَدَتْ أقوازُها[٢٣] ؛ فرائدُها أنِق[٢٤] ، وراعيها سنِق[٢٥] ؛ فلا قضض[٢٦] ، ولا رَمَض ؛ عازِبُها[٢٧] لا يُفزع ، وواردها لا يُنكع[٢٨] ؛ فاختاروا مَرَادَ النخعى .

٥١ - أعرابية تثنى على زوجها*

وصفت أعرابية زوجها بمكارم الأخلاق عند أمها فقالت : يا أُمَّه ، من نشر ثوب الثناء فقد أدَّى واجب الجزاء ، وفى كتمان الشكر جحود لما وجب من الحق ، ودُخولٌ فى كُفر النعم ؛ فقالت لها أمها : أى بُنيَّة ! أطبتِ الثناء ، وقُمتِ بالجزاء ، ولم تدعى للذم موضعًا ؛ فقالت : يا أُمَّه ، ما مدحتُ حتى اختبرت ، ولا وصفت حتى عرفت .

٥٢ - عبد الملك وأعرابى مادح*

وَفَد رجلٌ من بنى ضنة إلى عبد الملك بن مروان فقال :

والله مـا نـدرى إذا مـا فـاتـنـا   طـلـبٌ إلـيـك مـن الـذى نـتـطـلـبُ

(٨) أوعارها : الخشونة . (٩) غمقة : ندية . (١٠) ظهرانها : ما ارتفع يسيرا . (١١) غدقة : كثيرة البلل والماء . (١٢) مستوسقة - منتظمة . (١٣) رقاقها : الأرض اللينة . (١٤) رائخ : مفرطة اللين. (١٥) أى تسوخ رجلاه . (١٦) ماشيها : صاحب الماشية . (١٧) المصرم : المقل المال . (١٨) الزهاء : الأنوار . (١٩) الغيل : الماء الجارى . (٢٠) الأرض : القاحلة . (٢١) دمّث : الليّن . (٢٢) العزاز : الصلب السريع السيل . (٢٣) القوز : نقى يستدير كالهلال . (٢٤) أنق : معجب بالمرعى . (٢٥) سنق : البشم. (٢٦) القضض : صغار الحصى . (٢٧) عازبها : الذى يعزب بإبله . (٢٨) ينكع : يمنع .

(٥١) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٢١ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه.

(٥٢) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٨٣ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن الرياشى عن مسعود ابن بشر عن رجل من ولد عمرو بن مرة عن رجل من بنى ضنة .

فلقد ضربنا فى البلاد فلم نجد أحدًا سواك إلى المكارم يُنسبُ
فاصبر لعادتنا التى عودتنا أو لا فأرشدنا إلى من نذهبُ

فقال عبد الملك : إلىَّ إلىَّ ! وأمر له بألف دينار ، ثم أتاه فى العام المقبل فقال :

يَرُثُّ الذى يأتى من الخير إنه إذا فعل المعروف زاد وتممَّا
وليس كبانٍ حين تم بناؤُه تتبعهُ بالنقص حتى تهدما

فأعطاه ألفى دينار ، ثم أتاه فى العام الثالث فقال :

إذا استُمطروا كانوا مغازير فى النَّدى يجودون بالمعروف عودًا على بدء

فأعطاه ثلاثة آلاف دينار .

٥٣ - أعرابى ينصح النعمان*

لما توج النعمان واطمأن به سريره ، دخل عليه الناس وفيهم أعرابى فأنشأ يقول :

إذا سُست قومًا فاجعل الجُود بينهم وبينك تأمن كل ما تتخوف
فإن كُشِفَتْ عند الملمات عورةٌ كفاك لباسُ الجُود ما يتكشَّفُ

فقال : مقبولٌ منك نُصحك ، مِمَّنْ أنت ؟ قال : أنا رجل من جَرْمْ ؛ فأمر له بمائة ناقة ؛ وهى أول جائزة أجازها .

٥٤ - أعرابى يصف النساء*

وصف أعرابى نساء فقال : يلتثمن على السبائك(١) ، ويَتَّشِحْنَ على النيازك(٢) ،

(٥٣) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٣٩ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن ابن حاتم عن أبيه عن أبى عمرو بن العلاء .

(٥٤) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٤٢ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه.

(١) السبائك : الأسنان الشديدة البياض . (٢) النيازك : الرماح القصيرة .

ويأتزِرْنَ على العوانِك[٣] ، ويرتفِقْنَ على الأرائك ، ويتهادين على الدَّرانِك[٤] ؛ ابتسامُهُنَّ وميض ، عن وليع[٥] كالأَغريض[٦] ؛ وهُنَّ إلى الصَّبَاصُور[٧] ، وعن الخَنانُور .

٥٥ - دعاء أعرابى*

قال عبد الملك بن قُريب : سمعت أعرابيًا يدعو الله وهو يقول : هَربتُ إليك بنفس يا ملجأ الهاربين بأثقال الذنوب أحملُها على ظهرى ؛ لا أجدُ شافعًا إليك إلا معرفتى بأنك أكرم من قصد إليه المضطرون ، وأملَ فيما لديه الراغبون ؛ يا من فتقَ العقول بمعرفته ، وأطلق الألسُن بحمده ؛ وجعل ما امْتَنَّ به من ذلك على خلقه كفاءً لتأدية حقه ؛ لا تجعل للهوى على عقلى سبيلا ، ولا للباطل على عملى دليلا .

---

(٣) العوانك : واحدها عانك وهو رمل منعقد يشقى فيه البعير . (٤) الدرانك : الطنافس . (٥) ، (٦) الاغريض والوليع : الطلع . (٧) صور : موائل . (٨) نور : نوافر .

(٥٥) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١١ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عبد الله عن عمه الأصمعى .

أحاديث
من عالم الطرائف والنوادر

(٥٦) الواشى والشاعر *

وشى واش بعبدالله بن همام السَّلُولى إلى زياد ، فقال له : إنه هجاك ، فقال : أأجمع بينك وبينه ؟ قال : نعم ، فبعث زياد إلى ابن همام فأُتى به ، وأُدخل الرجل بيتًا، فقال زياد : يابن همام ، بلغنى أنك هجوتنى ، فقال : كلا ، أصلحك الله ! ما فعلت ولا أنت لذلك بأهل ، فقال : إن هذا الرجل أخبرنى - وأخرج الرجل - فأطرق ابنُ همام هُنيْةً ثم أقبل على الرجل فقال :

وأنت امرؤٌ إمَّا ائْتَمنتك خاليًا ... فخنتَ وإمَّا قلتَ قولاً بلا علمِ

فأنْتَ من الأمر الذى كان بيننا ... بمنزلةٍ بين الخيانةَ والإثمِ

فأعجب زياد بجوابه ، وأقصى الواشى ولم يقبل منه .

(٥٧) لا تخلطوا جائزتى بغيرها *

رفع طُريح بن إسماعيل الثقفى حاجة إلى كاتب داود بن على ليرفعها إلى داود وجاءه مُجَازِيًا له فقال له : هذه حاجتك مع حاجة فلان - لرجل من الأشراف - فقال طُريح :

تَخَلُّ بحاجتى واشْدُدْ قُواها ... فقد أَمست بمنزلة الضَّياع

إذا راضعتها بلبان أخرى ... أضرَّ بها مُشاركةُ الرضاع

(٥٦)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٤٦ منسوبًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى.

(٥٧)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٧٠ ، ٧١ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة.

(٥٨) الشاعر والحائط وحمار الخليفة*

قال الكتنجى : أملقتُ حتى لم يبْقَ فى منزلى إلا باريةٌ ، فدخلتُ إلى دار المتوكل فلم أزل مُفكرًا فحضرنى بيتان ، فأخذت قصبة وكتبت على الحائط الذى كنت إلى جنبه :

الرزق مقسوم فأجمل فى الطلبْ ... يأتى بأسباب ومن غير سببْ

فاسترزق الله ففى الله غِنى ... الله خيرٌ لك من أبٍ حدِبْ

قال : فركب المتوكل فى ذلك اليوم حمارًا وجعل يطوف فى الحُجَر ، ومعه الفتح بن خاقان ، فوقف على البيتين وقال : من كتب هذين البيتين ؟ وقال للفتح : اقرأ هذين البيتين ، فاستحسنهما وقال : من كان فى هذه الحُجرة ؟ فقيل : الكتنجى ، فقال : أغفلناه وأسأنا إليه ، وأمر لى ببَدْرَتيْن .

(٥٩) أربعة أبيات بأربعة آلاف*

قال المُفضَّل الضبى : دخلت على المهدى فقال لى قبل أن أجلس : أنشدنى أربعة أبيات لا تزد عليهن – وعنده عبد الله بن مالك الخزاعى – فأنشدته :

وأشعثَ قدْ قدَّ الشِّفارُ قميصه ... يجُرُّ شواءً بالعصا غير مُنْضَجِ

دعوت إلى ما نابنى فأجابنى ... كريمٌ من الفتيان غيرُ مُزلَّجِ

فتى يملأ الشِّيزى ويُرْوِى سِنانه ... ويضرب فى رأس الكَمِىِّ المُدجَّجِ

فتى ليس بالراضى بأدنى معيشة ... ولا فى بيوت الحىِّ بالمُتَوَلِّجِ

فقال المهدى : هو هذا – وأشار إلى عبد الله بن مالك – فلما انصرفت بعث إلىَّ بألف دينار وبعث إلى عبد الله بأربعة آلاف درهم .

---

(٥٨)* ورد الحديث فى الأمالى ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن عبد الأول عن الكتنجى.

(٥٩)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٦٦ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى زيد عن المفضل الضبى .

(٦٠) شاعران .. وشيطان واحد*

خرج جرير والفرزدق مَرتدَفين على ناقة إلي هشام بن عبد الملك ، فنزل جرير يبُول فجعلت الناقة تتلفتُ فضربها الفرزدق وقال :

إلام تلـفتـين وأنت تحتـي ... وخيـر النـاس كُـلهـم أمـامـي
متـى تَردِى الرُّصافة تستريحى ... مـن التـهجير والدَّبر الدَّوامى

ثم قال : الآن يجيء جرير ، فأنشده هذين البيتين فيردّ عليٌ :

تلفَّتُ أنها تحت ابن قَين ... إلى الكيرين والفأس الكَهَام
متى ترد الرُّصافة تَخْزَ فيها ... كخزيك فى المواسم كل عام

فجاء جرير والفرزدق يضحك ، فقال : ما يضحكك يا أبا فَراس ؟ فأنشده البيتين ، فقال جرير : - تلفت أنها تحت ابن قين - كما قال الفرزدق سواءً ، فقال الفرزدق : والله لقد قلت هذين البيتين ، فقال جرير : أما علمت أن شيطاننا واحد .

(٦١) المعارضة من فوق المئذنة*

وحدثنا أبو بكر بن دريد - رحمه الله - قال : جلس كاملٌ الموصلى فى المسجد الجامع يقرئ الشعر ، فصعد مَخْلَدٌ الموصلى المنارة وصاح :

تأهبوا للحدث النازل ... قد قُرِئ الشعر على كامل
وكامل الناقص فى عقله ... لا يعرف العام من القابل
يهيّة يخلط ألفاظه ... كأنه بعض بنى وائل

---

(٦٠)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٣٥ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى عثمان عن التوزى عن أبى عبيدة .

(٦١)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد وحده .

وإنــمــا الــمــرء ابــن عــم لــنــا ونــحــن مــن كُــوثــى ومــن بــابــل

أذنــابُــنــا تــرفــع قُــمــصــانــنــا مــن خَــلــفــنــا كــالــخشب الشــائــل

(٦٢) غرامة على الشاعر الردئ*

قال الأصعمى : نزلت بقوم من غنى مجتورين هم وقبائل من بنى عامر بن صعصعة فحضرت ناديًا لهم وفيهم شيخ طويل الصمت عالم بالشعر وأيام الناس يجتمع إليه فتيانهم ينشدونه أشعارهم فإذا سمع الشعر الجيد قرع الأرض قرعة بمحجن فى يده فينفذ حكمه على من حضر ببكر للمنشد ، وإذا سمع ما لا يعجبه قرع رأسه بمحجنه فينفذ حكمه عليه بشاة إن كان ذا غنم وابن مخاض إن كان ذا إبل ، فإذا أُخذ ذلك ذبح لأهل النادى فحضرتهم يومًا والشيخ جالس بينهم فأنشد بعضهم يصف قطاة :

غدت فى رعيل ذى أداوى مَنُوطةٍ بلبـاتـهـا مَربوعة [1] لـم تُـمـرَّخ

إذا سـربـخٌ عـطَّـت مـجـال سـراتـه تـمطت فحطت بين أرجاء سربخ [2]

فقرع الأرض بمحجنه وهو لا يتكلم ، ثم أنشده آخر يصف ليلة :

كأن شـمـيـط الصـبـح فـى أُخرياتها مـلاءٌ يـنـقـى مـن طيالسة خُضْـرِ

تـخـال بـقـايـاها التـى أسأر الـدجـى تـمُـدُّ وشـيـعًـا فـوق أرديـة الـفـجـر

فقام كالمجنون مصلتًا سيفه حتى خالط البرك [3]، فجعل يضرب يمينًا وشمالاً وهو يقول :

لا تـفـرغـنَّ فـى أذنـىَّ بـعـدهـا مـا يـسـتـفـز فـأريك فـقـدهـا

إنـى إذا الـسـيـف تـولـى نَـدَّهـا لا أسـتـطـيـع بـعـد ذاك ردَّهـا

(٦٢)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعى .

(١) تمرخ : تلبن . (٢) سربخ : أرض واسعة ، عطت : شقت . (٣) البرك : الإبل المجتمعة .

(٦٣) شاعر لكل العصور*

مات المهلب بمرِو الرُّوذ بخراسان ، وكانت ولايته أربع سنين ، فقال نهارُ بن توسعة :

ألا ذهب الغزو المقرب للغِنَى ... ومات الندى والحزم بعد المُهلبِ

أقاما بمَرْوِ الرُّوذ رهن ضريحه ... وقد غُيِّبا عن كل شرقٍ ومغربِ

ثم ولى بعده قُتيبةُ بن مسلم ، فدخل عليه نهارٌ فيمن دخل وهو يعطى الناس العطاء ، فقال : من أنت ؟ قال : نهار بن توسعة ، قال : أنت القائل فى المهلب ما قلت قال : نعم ، وأنا القائل :

وما كان مُذ كُنا ولا كان قبلنا ... ولا كائنٌ من بعد مثل ابن مسلم

أعم لأهل الشرك قتلاً بسيفه ... وأكثر فينا مغنمًا بعد مغنم

قال : إن شئت فأقلل ، وإن شئت فأكثر ، وإن شئت فاحمد ، وإن شئت فذُمّ ، لا تصيب منى خيرًا أبدا ، يا غلام ، أقرض اسمه من الدفتر ، فلزم منزله حتى قتل قتيبة وولى يزيد ، فأتاه فدخل عليه وهو يقول :

إن كان ذنبى يا قتيبة أننى ... مدحتُ امرأً قد كان فى المجد أوحدا

أبا كل مظلوم ومَنْ لا أبا لهُ ... وغَيث مُغيثات أطلن التلدُّدا

فشأنك إن الله إن سُؤت مُحسنٌ ... إلىَّ إذا أبقى يزيد ومَخْلدا

قال : احتكم ، قال : مائة ألف درهم ، فأعطاه إياها . وقال أبو عبيدة مرة أخرى : بل كان الممدوح مخلد بن يزيد ، وكان خليفة أبيه على خراسان ، فكان نهار يقول بعد موته : رحم الله مخلدًا فما ترك لى بعده من قول .

---

(٦٣)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٩٨، ١٩٩ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة .

(٦٤) الشاعر وحسن الجواب*

أوفد المهلب كعب بن معدان الأشقرى حين هَزَمَ عبد ربه الأصغر وأجلى قَطَرِيًّا حتى أخرجه من كرمان نحو أرض خراسان ، فقال له الحجاج : كيف كانت محاربة المهلب للقوم ؟ قال : كان إذا وجد الفرصة سار[1] كما يسُور الليث ، وإذا دهمته الطَّحمة[2] راغ كما يروغ الثعلب ، وإذا مادّه القوم صبر صبر الدهر ، قال : وكيف كان فيكم ؟ قال : كان لنا منه إشفاق الوالد الحَدِب ، وله منا طاعةُ الولد البرّ ، قال : فكيف أفلتكم قَطَرىٌّ ؟ قال : كادنا ببعض ما كدناه به ، والأجل أحصن جُنَّة وأنفذ عُدَّة ، قال : فكيف اتبعتم عبد ربه وتركتموه ؟ قال : آثرنا الحدَّ على الفلّ ، وكانت سلامة الجُند أحبَّ إلينا من شَجب[3] العدوّ ، فقال له الحجاج : أكنت أعددت هذا الجواب قبل لقائى ؟ قال : لا يعلم الغيب إلا الله .

(٦٥) شاعر بين ملكين*

كان قيس بن رفاعة يفد سنة إلى النعمان اللخمى بالعراق وسنة إلى الحارث بن أبى شِمر الغسانى بالشام ؛ فقال له يومًا وهو عنده : يابن رفاعة ، بلغنى أنك تفضل النعمان علىَّ ، قال : وكيف أفضله عليك أبيْت اللعن ! فوالله لقفاك أحسن من وجهه ، ولأُمُّك أشرف من أبيه ، ولأبوك أشرف من جميع قومه ، ولَشِمالك أجود من يمينه ، ولحِرمانك أنفع من نداه ، ولَقَليلك أكثر من كثيره ، ولثِمادُك[1] أغزرُ من غديره ، ولكرسيك أرفع من سريره ، ولجَدْوَلُك أغمر من بحوره ، وليومُك أفضل من شهوره ، ولشهرُك أَمَدُّ من حَوله ، ولحولك خير من حُقْبه[2] ، ولزندُك أورى من زنده ، ولجُندُك أعز من جنده ، وإنك لَمِنْ غسان أرباب الملوك ، وإنه لمن لخم الكثيرى النُّوك ، فكيف أفضله عليك !

---

(٦٤)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٦٥ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن السكن عن محمدبن عباد .

(١)سار : وثب . (٢) الطحمة :جماعة الناس ، ويريد جند العدو . (٣) الشجب : الهلاك .

(٦٥)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى عثمان عن التوزى عن أبى عبيدة .

(١) الثماد : الماء المقليل . (٢) الحقب : الزمن الطويل .

(٦٦) الثأر *

قُتل سِماك بن حَريم أخو مالك بن حَريم ؛ قتله مفراد غِيلة فلم يدر مالك من قتله حتى أخبر بعد ذلك أن بنى قُمَيْر قتلوا أخاه ، فأغار عليهم وقتل قاتل أخيه وأنشأ يقول :

يـا راكـبًـا بَـلِّـغَـنْ ولا تَـدَعَـنْ ... بَـنِـى قُـمَـيْـر وإن هُـمُ جـزعـوا

كـى يـجـدوا مـثـل مـا وجـدتُ فـقـد ... أصـبـحـتُ نِـضـوًا ومَـسَّـنـى الـوجـع

لا أسـمـع الـلـهـو فـى الـحـديث ولا ... يـنـفـعُـنـى فـى الـفـراش مضـطـجَع

لا وَجْـدُ ثَـكـلـى كـمـا وَجَـدت ولا ... وجْـدُ عَـجُـول أضـلَّـهـا رُبَـعُ

أو وجْـدُ شـيـخ أضـل نـاقـتـه ... يـوم رواح الـحـجـيـج إذ دَفـعُـوا

يـنـظُـر فـى أوجُـه الـرجـال فـلا ... يَـعْـرِف شـيـئًـا فـالـوَجْـه مُلْـتَـمَـع

بـنـى قُـمـيْـر قـتـلتُ سـيِّـدكـم ... فـالـيـوم لا فـديـةٌ ولا جـزع

جَـلَّـلْـتـهُ صـارمَ الـحـديـدة كـالـ ... ـمـلـح وفـيـه سـفـاسـقٌ [1] لُمَعُ

تـركـتُـه بـاديًـا مَـضَـاحـكـه ... يـدعُـو صـداه والـرأس مُـنصـدع

بـنـى قُـمـيْـر تـركـتُ سـيِّـدكـم ... أثـوابـهُ مِـنْ دِمـائـه رُدُع [2]

فـالـيـوم صِـرنـا عـلـى السَّـواء فـإن ... أبـق فـدَهـرى ودهـرُكـم جـذَع

لـم أكُ فـيـهـا لَـمَّـا بُـلِـيتُ بـهـا ... نَـئُـوم لَـيْـل يَـغُـرُّنـى الـطَّـمَـع

(٦٦)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن السكن عن ابيه عن الكلبى .

(١) سفاسق السيف : طرائقه التى يقال لها الفرند . (٢) رُدُع : متلطخة .

(٦٧) عندما يكون الشاعر راوية نفسه*

قال الهيثم بن عدى : أنشدنى مُجالد بن سعيد شعرًا أعجبنى فقلت له : من أنشدك ؟ قال : كنا يومًا عند الشَّعبى فتناشدنا الشعر ، فلما فرغنا قال الشَّعبى : أيكم يُحسن أن يقول مثل هذا ؟ وأنشدنا :

أعَيْنَىَّ مهلاً طالما لم أقل مَهْلا ... وما سَرَفًا مِلآن قُلتُ ولا جهلا
وإنَّ صِبا ابن الأربعين سفاهةٌ ... فكيف مع اللاتى مُثِلت بها مَثْلا
يقول لى المُفتى وهُنَّ عَشِيَّةً ... بمكَّة يَسْحَبْن المُهدَّبة السُّحلا [1]
تَقِ الله لا تنظر إليهنَّ يا فتى ... وما خِلْتُنى فى الحجِّ مُلتمسًا وصلا
ووالله لا أنسى وإن شَطَّتِ النَّوى ... عرانينهن الشُّم والأعين النُّجلا
ولا المِسْكَ من أعرافِهِنَّ ولا البُرا ... جَواعل فى أوساطها قصبا خَدْلا
خليلى لولا الله ما قلت مرْحَبا ... لأول شَيباتٍ طلعنَ ولا أهْلا
خليلى إن الشَّيْبَ داءٌ كرِهتُه ... فما أحسن المرعى وما أقبح المحلا

قال الهيثم : قال مجاهد : فكتبنا الشعر ثم قلنا للشعبى : من يقول هذا ؟ فسكت ، فَخُيِّل إلينا أنه قائله .

(٦٨) حديث موسى شهوات*

قال موسى شهوات يهجو عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر ويمدح عمر بن موسى بن طلحة بن عبد الله :

---

(٦٧)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٢٤ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن العكلى عن الحرمازى .
(١) السُّحلا : أراد السُّحُل فسكن الحاء وهى ثياب بيض . السُّحْل : الثوب من القطن .
(٦٨)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٩١ ؛ مسندًا إل ابن دريد عن أبى عثمان عن التوزى عن أبى عبيدة .

تُبارِى ابن موسى يابن موسى ولم تكن
يَـداك جـمـيـعـا تَـعـدِلان لـه يـدَا

تُـبـارى امرأً يُسْـرَى يـديـه مُـفـيـدةٌ
ويُـمـنـاهـمـا تَـبْـنـى بـنـاءً مُـشـيَّـدا

فـإنك لـم تُـشـبـه يـداك ابـن مَـعْـمَرِ
ولـكـنـمـا أشـبـهت عَـمَّـك مَـعْـبَـدا

وفيك وإن قيل ابن موسى بن معمر
عُروقٌ يَدَعنَ المرء ذا المَجدْ قُعْدُدا[1]

ثـلاثـةُ أعـراقٍ فـعِـرْقٌ مُـهَـذَّبٌ
وعِـرقـان شـانـا مـا أصـابـا فـأفـقـدا

قال ابن دريد : وله حديث ذكره أبو عبيدة فى المثالب .

(٦٩) عقروا الرواحل على قبره ورثوه*

لما مات عمرو بن حُمَمة الدَّوْسى ، وكان أحد من تتحاكم إليه العربُ ، مرَّ بقبره ثلاثة نَفَر من أهل يثرب قادمين من الشام : الهِدْم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد أبو كلثوم بن الهدم ، الذى نزل عليه النبى ﷺ ؛ وعَتِيك بن قيس بن هَيْشة بن أمية ابن معاوية ؛ وحاطب بن قيس بن هَيْشة الذى كانت بسببه حرب حاطب ؛ فعقروا رواحلهم على قبره ، وقام الهِدْم فقال :

لـقـد ضـمت الأثـراء مـنك مُـرزأً
عظيم رَماد النار مُشترك القِدْر

حـليـمًـا إذا مـا الـحِلْـم كـان حَزامة
وقُورًا إذا كان الوقوف على الجمر

إذا قـلـت لـم تـتـرك مـقـالاً لـقـائـل
وإن صُلْتَ كنت اللَّيْث يحمى حمى الأجر

لِـيَـبْـكِـكَ مَـنْ كـانت حيـاتُـك عِـزَّهُ
فأصبح لمَّا بنْتَ يُغضى على الصُّغْر

سقى الأرض ذات الطول والعرض مُنْجِمٌ
أحَمُّ الرَّحا واهى العُرى دائم القَطْر

ومـا بـى سُـقْـيَـا الأرض لـكـنَّ تُـرْبَـة
أضَلَّك فى أحشائها مَلْحَدُ القبر

---

(١) قُعددا : القعْدُدَ القعْدَدَ اللئيم الأصل .

(٦٩)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه عن ابن الكلبى عن ابن مسكين .

وقام عَتِيك بن قيس فقال :

برغم العلى والجود والمجد والندى ... طواك الردى يا خير حاف وناعل
لقد غال صرف الدهر منك مُرَزأً ... نهوضًا بأعباء الأمور الأثاقل
يضم العفاة الطارقين فناؤه ... كما ضمّ أم الرأس شعب القبائل
فإما تُصْبْنا الحادثات بنكبةٍ ... رمتك بها إحدى الدواهى الضآبل [1]
فلا تبعدن إن الحتوف موارد ... وكل فتى من صرفها غير وائل

وقام حاطب بن قيس فقال :

سلام على القبر الذى ضمّ أعظما ... تحوم المعالى حوله وتسلّمُ
سلام عليه كلما ذرّ شارق ... وما امتد قطع من دجى الليل مظلمُ
فلو نطقت أرض لَقال تُرابُها ... إلى قبر عمرو الأزد حل التكرم
فلا يبعدنك الله حيًّا وميتًا ... فقد كنت نور الخطب والخطبُ مظلم

(٧٠) جرير .. ناقدًا*

دخل جرير على بعض خُلفاء بنى أمية فقال : ألا تُحدثنى عن الشعراء ؟ قلت : بلى ، قال : فَمَنْ أشعرُ الناس ؟ قلت : ابن العشرين - يعنى طرفة - قال : فما تقول فى ابن أبى سُلمى والنابغة ؟ فقلت : كانا يُنيران الشعر ويُسديانه ، قال : فما تقول فى امرئ القيس بن حُجْر ؟ قلت : اتّخذ الخبيث الشّعر نعلين يطؤهما كيف شاء ، قال : فما تقول فى ذى الرُّمّة ؟ قلت : قَدرَ من الشعر على ما لم يقدرْ عليه أحد ، قال : فما

(١) الضآبل : الدواهى .

(٧٠)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٧٩، ١٨٠ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن عمارة بن عقيل عن أبيه عن جده وعن جرير .

تقول فى الأخطل ؟ قلت : ما باح بما فى صدره من الشعر حتى مات ، قال : فما تقول فى الفرزدق ؟ قلت : بيده نَبْعَة الشعر قابضًا عليها ، قال : فما أبقيت لنفسك شيئًا ! قلت : بلى ، والله يا أمير المؤمنين ، أنا مدينة الشعر التى يخرج منها ويعود إليها ، ولأنا سَبَّحْتُ الشعر تسبيحًا ما سَبَّحه أحدٌ قبلى ، قال : وما التسبيح ؟ قلت : نَسَبتُ فأطْرفت ، وهجوت فأرذيت[1] ، ومدحت فأسنيت ، ورَمَلْت فأغزَرت ، ورَجَزت فأبحرت ، فأنا قُلْتُ ضروبًا من الشعر لم يقُلها أحد قبلى .

(٧١) حسن إنشاد الشعر*

قال أبو عمرو بن العلاء : سمعتُ جَنْدَل بن الراعى ينشد بلال بن أبى بردة قصيدة أبيه :

نَـعُـوسٌ إذا دَرَّتْ جَـرُوزٌ إذا غَـدَتْ ... بُـوَيْـزِلُ عـامٍ أو سَـدِيسٌ كـبـازلِ

فكاد صدرى ينفرج لحسن إنشاده وجودة الشعر .

(٧٢) نهم يتمنى*

قال رجل : أُحب أن أرزق ضرسًا طحُونا ، ومعدةً هضوما ، وسُرمًا مُنباقا[1] .

(٧٣) متخم وزوجته جائعة*

كان رجل من أهل الشام مع الحجاج يحضر طعامه ، فكتب إلى امرأته يعلمها بذلك ، فكتبت إليه :

---

(١) أرذيت : أسقطت .

(٧١)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٤٠ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء .

(٧٢)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٥٧ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى .

(١) المنباق : المندفع .

(٧٣)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٣٦ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن الأشناندانى .

أيُهدى لى القرطاسُ والخُبزُ حاجتى		وأنت عـلـى بـاب الأمـيـر بـطـيـنُ
إذا غبت لم تذكر صديقًا ولم تُقِمْ		فأنت عـلـى مـا فـى يـديك ضَـنِـيـن
فـأنت كَـكَـلب السَّـوء جوّع أهـلـه		فَـيُـهْـزَل أهلُ الـبـيت وهـو سـمـيـن

(٧٤) أشعب .. عالمًا*

قيل لأشعَبَ : قد أدركت الناس ، فما عندك من العلم ؟ قال : حدثنا عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ «لله على عبده نعمتان» ثم سكت أشعبُ ، فقيل له : وما النعمتان ؟ فقال : نسى عكرمةُ واحدة ونسيتُ أنا الأخرى .

(٧٥) زمان الحمقى*

كان بالمدينة غلام يُحمق فقال لأمه : يُوشِك أن تَرَيْنِى عظيم الشأن ، فقالت : فكيف ؟ والله ما بين لابتَيْها(١) أحمق منك ! فقال : والله ما رجوت هذا الأمر إلا من حيث يئست منه ، أما علمتِ أن هذا زمان الحمْقَى وأنا أحدهم .

(٧٦) غلام غريب الاسم*

قال الأصمعى : بينما أنا بحِمى ضَرِيَّةَ إذ وقف علىّ غلام من بنى أسد فى أطمار ما ظننته يجمع بين كلمتين ، فقلت : ما اسمك ؟ فقال : حُرَيْقيص ؛ فقلت : أما كفى أهلك أن يُسمُّوك حُرْقُوصا(١) حتى حقَّروا اسمك ! فقال : إنَّ السَّقط لَيُحرِق الحَرَجة(٢) ؛

---

(٧٤)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٣١١ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن الدينورى عن السكونى عن الرحبى ، ورواه صاحب العقد الفريد بلفظه ج ٦ ص ٣١٧ .

(٧٥)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٩٥ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم .

(١) اللابة : الحرة ، جبل بالمدينة .

(٧٦)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٩٦ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى ، والحديث يدل على ولع ابن دريد بتحليل الأسماء وهو الذى دفعه إلى وضع كتاب «الاشتقاق» . والسقط الشرر الصغير والحرجة الغابة الكبيرة .

فعجبت من جوابه ، فقلت : أتُنشِد شيئًا من أشعار قومك ؟ قال : نعم أُنشدك لمرَّارنا ؛ قلت : افعل ؛ فقال :

سكنوا شُبيثًا والأحص [٣] وأصبحوا ... نَـزَلَـتْ مـنـازلـهـم بـنُـو ذُبـيـان
وإذا يـقـال أُتِـيـتـم لـم يـبـرحـوا ... حتـى تُـقيمَ الـخيـلُ سُوقَ طِعان
وإذا فـلانٌ مـات عـن أُكْـرُومـةٍ ... رَقـعُـوا مَـعَـاوز فَـقْـره بـفـلان

قال : فكادت الأرض تَسُوخ بى لحسن إنشاده وجودة الشعر ، فأنشدت الرشيد هذه الأبيات ، فقال : وَدِدْتُ يا أصمعى أن لو رأيتُ هذا الغلام فكنت أُبلغه أعلى المراتب .

(٧٧) الموت أرحم من زوجته*

قال الأصمعى : كنت مؤاخيًا لرجل من أهل حِمى ضَرِيَّة ، وكان جوادًا رَثَّ الحال ، فمررت به يومًا فى بعض تَرَدُّدِى على الأحياء فإذا هو كئيبُ ، فسألته عن شأنه فقال :

ثـمـانـيـن حـولاً لا أرى مِـنْـكِ راحـة ... لَـهِـنَّـك فـى الـدُّنـيـا لـبـاقِـيـة الـعُـمْـرِ
فإن أنـقـلـب مـن عُـمـر صَـعـبـة سـالـمًا ... تكنْ من نساء الناس لى بيضة [١] العُقر

والبيتان لعُروةَ الرَّحَّال فأقبلت عليه أعِظُه وأُصبره ، فأنشأ يقول :

فـلـو أن نـفـسـى فـى يـدى مُـطـيـعـتـى ... لأرسـلـتـهـا مـمَّـا ألاقـى مـن الـهـمِّ
ولـو كـان قـتْـلـيـهـا حـلالاً قـتـلـتُـهـا ... وكـان ورُودُ الـمـوت خـيـرًا مـن الـغـمِّ

---

(٧٧)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٣٦ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى .

(١) من أمثال العرب «كانت بيضة العقر» أى فعلت الشىء مرة ولن أعود إليه أبدا ، وصعبة : اسم زوجته.

تعرضت للأفعى أحاول وطأها	لعلى أنجو من صُعيبة بالسُمّ
فيارب أكْفِنْها وإلاّ فنجنى	وإن كان يومى قبْلَها فاقْضِيَنْ حتمى

(٧٨) زوجان بذيئان*

كانت أم كثير الضَّبِّيَة بَذِيَّة ، وكان زوجُها كذلك ، فاختصما عند بعض وُلاة المياه ، فقالت له ، اسكت يا مُنْتِنَ الخُصْيتين ، فقال : يَحِقُ لهما أن يكونا كذلك ، وهما طَبَّقا عِجَانَك مُنْذُ ثلاثين عاما .

(٧٩) أعمى يبحث عن حمار*

قال الهيثم : بينما أنا بالكُناسة بالكوفة إذ أتى مكفوف نَخاسًا ، فقال له : اطلب لى حمارًا ليس بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر ؛ إن خلا بالطريقُ تَدَفَّق ، وإن كَثُر الزحام تَرَفَّق ؛ لا يُصادِمِ السَّوارى ، ولا يدخلنى تحت البوارى ، إن أقللت علفه صبر ، وإن أكرمته شكر ، وإن ركبته هام ، وإن ركبه غيرى قام . فقال له : اصبر ، فإن مَسَخ الله القاضى حمارًا قضيت حاجتك .

(٨٠) عمياء تتخيل فرسًا*

ابتاع شابٌ من العرب فرسًا ، فجاء إلى أُمِّه وقد كُفَّ بصرُها ، فقال : يا أمى ، إنى قد اشتريت فرسًا ، فقالت : صفه لى ، قال : إذا استقْبَل فظبى ناصب[١] ، وإذا استدْبَر فهِقْلٌ خاضِب[٢] ، وإذا استعرض فسيدٌ قارب[٣] ، مُؤَلل[٤] المسمعين ، طامحُ

---

(٧٨)* ورد الحديث فى الأمالى ، مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى .

(٧٩)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٤٠ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن العكلى عن أبى خالد عن الهيثم ، ورواه صاحب العقد الفريد ج ٦ ص ٣٢٦ .

(٨٠)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٤١ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن عمه عن جده عن ابن الكلبى .

(١) الظبى الناصب : الذى نصب عنقه . (٢) الهقل : ذكر النعام ، الخاضب : الذى أكل الربع .
(٣) السيد : الذئب . (٤) مؤلل : محدد .

الناظرين ، مُدعلَقُ الصُّبيِّين [٥] ؛ قالت : أجَوْدتَ إن كنت أعْرَبْتَ ؛ قال : إنه مُشْرِفُ التَّلِيل [٦] ، سَبْطُ الخَصِيل [٧] ، وهواه الصَّهِيل [٨] ؛ قالت : أكرَمْتَ فارتَبِطْ .

(٨١) ثكلى كريمة*

قال الأصمعى : نزلت على امرأة من بنى عامر بن صعصعة وقد مات ابن لها ، وهى من القلق على مثل الرَّضْفة [١] ، فقامت تعالج لى طعامًا ، فقلت لها : يا هذه إنك لفى شُغُل عن هذا ، فقالت : والله لا تَجُوز بيتى إلا مَقْرِيًا ، ولكن أنشدنى أبياتًا أسلو بهنّ ، فإنى أراك لوذعيًّا ، فأنشدتها أبيات نُوَيْرة بن حُصين المازنى يرثى ابنه :

إنـى أُرى لـلشـامـتـيـن تـجـلـدى ... وإنى كالطاوى الجناح على كسر
يُـرى واقـعًـا لـم يُـدر مـا تـحت ريشـه ... وإن نـاء لم يسطع نهوضًا إلى وكر
فـلـولا سُـرور الشـامـتـيـن بـكـبـوتـى ... لـمـا رقأت عيناى مِنْ واكفٍ يجرى
عـلـى مَـنْ كـفـانـى والـعشيرة كـلـهـا ... نوائب رَيْبِ الدهر فى عثرة الدهر
ومـن كـانـت الـجـاراتُ تـأمَـنُ لـيـلـه ... إذا خفـن من باتت غوائله تَسْرى
بصـيـر بـمـا فـيـه لـهُـن حصـانـةٌ ... غَبىٌّ عن المحجوب بالباب والسِّتْرِ
يـكُـفُّ أذاه بـعـد مـا بـذل عـرفـه ... ويحلُـم حِـلـمًا لا يُذمُّ ولا يُزرى
ويـأخـذ مـمـن رام بـالـهصر هيضه [٢] ... إذا ما أراد الأخذ بالهَصْرِ والقَسْرِ
ولا يُـنـظِـر الأيسـار إن نـال يُـسـرَه ... ولا ينثنى عن فعل خير لدى العُسرِ

---

(٥) الصبيين : مقدم اللحية ، وقد علق شيبه بالنبات المنساب . (٦) التليل : العنق . (٧) الخصيل : أنسجة الفخذ . (٨) صهيله منقطع .

(٨١)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى .

(١) الرضفة : الحجارة المحمّاة . (٢) الهيض : الكسر .

ولا يَتَأَرَّى [٣] للعواقب إن رأى له فُرصةً يَشفى بها وحر [٤] الصَّدرِ
ولكنه رَكَّاب كل عظيمة يضيق بها صدر الحسود على الأمر
ولست وإن خَبَّرْت أن قد سَليتُه بناس أبا سَوداء إلاَّ على ذِكْرِ
شمائل منه طيبات بَعُدْننى وأخلاق محمودٍ لدى الزاد والقِدْرِ
فتى شَعْشَع [٥] يُروى السِّنان بكفِّه ويجمع للمولى العطاء مع النَّصرِ

قال : فكأنى والله زبرت[٦] الأبيات فى صدرها ، فمازالت تنشدها وتصلح طعامى حتى قرتنى ورحت من عندها .

(٨٢) زكاة الجاه*

كتب الحسن بن سهل لرجل كتاب شفاعة ، فجعل الرجل يشكُر ويدعو له ، فقال الحسن : يا هذا ، عَلَامَ تشكرنا ! إنا نرى الشفاعات زكاة مروءتنا . قال : وأملى كتاب شفاعة فكتب فى آخره : إنه بلغنى أن الرجل يُسأل عن فضل جاهه يوم القيامة كما يُسأل عن فضل ماله .

(٨٣) الخليل يرفض صلة الأمير*

بعث سليمان المُهلبى إلى الخليل بن أحمد بمائة ألف درهم وطالبه لصحبته ، فردَّ عليه المائة ألف وكتب إليه :

أَبلغ سليمان أنى عنه فى سعة وفى غِنى غير أنى لست ذا مال
شُحى بنفسى أنى لا أرى أحدًا يموتُ هُزلاً ولا يبقى على حال

(٣) يتأرى : ينتظر ويترقب . (٤) وحر الصدر: غيظه وفعله . (٥) شعشع : طويل . (٦)زبر :كتب .

(٨٢)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٨ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الأول عن أبيه .

(٨٣)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٦٩ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبيه .

والرزقُ عن قدرٍ لا العجز يَنْقُصه		ولا يزيدُك فيه حَوْلُ مُحتال
والفقر فى النفس لا فى المال تعرفُه		ومثلُ ذاك الغنى فى النفس لا المال

(٨٤) ولد عجيب الشكل*

قال العباس بن محمد : قلنا لأبى المِخش الغَطَفانى ، أما كان لك ولد ؟ فقال : بلى والله ، مِخَشٌّ ، وما كان مِخَش ؟ كان حُرْطُمانيًا أشدق ، إذا تكلم سال لعابُه كأنما يَنظُر بمثل الفَلْسَيْن - يعنى أن عينيه كانتا خضراوين - كأن مُشاشة منكبيه كُركرةُ جمل وكأن ترقُوتهُ بِوانٌ أو خالِفه ، فقأ الله عينى هاتين إن كنتُ رأيتُ مثله قبله ولا بعده .

(٨٥) جسد أسود فى ثوب أبيض*

كان المغيرة بن شعبة أعور دميمًا آدَم [١] ، فهجاه رجل من أهل الكوفة فقال :

إذا راح فى قُبطيَّةٍ مُتأزِّرا		فقُلْ جُعَلٌ [٢] يستَنُّ فى لبن مَحْض [٣]
فأقسِم لو خَرَّت مِن اسْنِك بَيْضَةٌ		لما انكسرت من قُرْب بعضك من بعض

قال أبو بكر فقلت لأبى حاتم : ما أظن أحدًا يسبقه إلى قوله : (جعل يستن فى لبن محض) فقال : بلى ، كان إبراهيم بن عربى والى اليمامية ، فصعد المنبر يومًا وعليه ثيابٌ بيض فبدا وجهه وكفاه ، فقال الفرزدق :

تَرَى مِنْبَرَ العبد اللئيم كأنما		ثلاثة غِربان عليه وقُوعُ

قال : فهذا يشبه ذلك وإن لم يكنه .

---

(٨٤)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٦٦؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى عن صفر بن سليمان عن العباس بن محمد .

(٨٥)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة .

(١) آدم : أسمر . (٢) الجعل : حشرة صغيرة سوداء . (٣) يستن : يشق طريقه .

(٨٦) أحب البغضاء*

وَفَدَ عُبيدُ الله بن زياد بن ظبيان على عَتَّاب بن ورقاء فأعطاه عشرين ألفًا ، فلما وَدَّعه قال : يا هذا ، ما أحسنت فأمدحك ، ولا أسأت فأذُمَّك ؛ وإنك لأقرَبُ البعداء ، وأحَبُّ البُغَضاء .

(٨٧) وارث إخوته*

كان حَضْرَمِيُّ بن عامر عاشرَ عشرةٍ من إخوته فماتوا فورثهم ، فقال ابن عمّ له يقال له جَزْءٌ : من مَثْلُك ، مات إخوتُك فورثتهم فأصبحت ناعمًا جَذِلا ! فقال حضرمى :

يزعُم جزءٌ ولم يَقُلْ سدَدًا ... أنِّى تروحتُ ناعِمًا جَذِلا

إن كُنت أزنَنْتنى بها كَذِبًا ... جَزْءُ فلاقَيْتَ مثلها عجلا

أفرحُ أنْ أُرزأَ الكرام وأن ... أُورثَ ذَوْدًا شصائصًا (١) نَبَلا (٢)

كم كان فى إخوتى إذا احتض الأقوامُ تحت العَجَاجة (٣) الأسلا (٤)

مِنْ واجدٍ (٥) ماجدٍ أخى ثِقةٍ ... يُعطى جَزيلاً ويضربُ البَطَلا

إن جِئتهُ خائفًا أمِنْتَ وإن ... قال سأحْبُوك نائِلاً فَعَلا

فجلس جزءٌ على شفير بئر وكان له تسعة إخْوةٍ فانخسفت بإخوته ونَجَا هو ، فبلغ ذلك حَضْرَمِيًّا فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، كلمة وافقت قدرًا وأبقت حِقدًا .

---

(٨٦)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٣٥ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى معاذ عن محمد ابن شبيب النحوى .

(٨٧)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٩٧ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن العباس بن هشام عن أبيه .

(١) الشصائص : التى لا ألبان لها ؛ واحدتها شَصُوص . (٢) النبل : الصِّغار .

(٣)العجاجة : الغبار. (٤) الأسل: الرماح . (٥)الواجد: الفتى الذى يجد .

(٨٨) القبور تجدد الأحزان*

قَدِمَ مُتَمِّم بن نُوَيْرة العراق فأقبل لا يرى قبرًا إلا بكى عليه ، فقيل له : يموت أخوك بالمَلاَ وتبكى أنت على قبر بالعراق ! فقال :

لقد لامنى عند القبور على البكا ... رفيق لتَذْرَافِ الدموع الشَّوافِك

أَمِنْ أجل قَبْرٍ بالملا أنت نائح ... على كل قبرٍ أو على كل هالك

فقلت له إن الشَّجَا يَبْعَث الشجا ... فدعنى فهذا كلُّه قبر مالك

ألم تَرَهُ فينا يُقسِّم ماله ... وتأوِى إليه مُرملات الضَّرَائِك (١)

(٨٩) جاهليون حرموا على أنفسهم الخمر*

حرم رجالُ الخمر فى الجاهلية تكرمًا وصيانة لأنفسهم ، منهم عامر بن الظَّرِب ابن عباد بن يَشْكُر بن بكر بن عَدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ، وقال فى ذلك :

مسألةٌ للفتى ما ليس فى يده ... ذَهابةٌ بعُقُول القوم والمال

أقسمت بالله أَسقِيها وأَشربُها ... حتى يفرِّق تُربُ القبر أوصالى

مُورثةُ القوم أضغانًا بلا إحَنٍ ... مُزْرِيةٌ بالفتى ذى النَّجدة الحالى

وحرم قيس بن عاصم الخمر وقال فى ذلك :

لَعَمْرُك إنَّ الخمر ما دُمت شاربا ... لَسَالبةٌ مالى ومُذْهِبَةٌ عقلى

وتاركتى من الضِّعاف قُواهُمُ ... ومُورِثتى حَرْبَ الصَّديق بلا تَبْل (١)

---

(٨٨)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن عبد الرحمن عن الأصمعى .

(١) الضرائك : الفقراء والسيئو الحال.

(٨٩)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن السكن عن محمد بن عبادة .

(١) التبل : العداوة .

وحرم صفوان بن أُمية بن مُحَرِّث الكِنانى الخمر فى الجاهلية ، وقال فى ذلك :

رأيت الخمر صالحةً وفيها مَنَاقِبُ تُفْسد الرجل الكريما
فلا والله أشربُها حياتى ولا أَشقى بها أبدًا سقيما

وحرم عفيفُ بن مَعْدِ يَكَرب - عمّ الأشعث بن قيس - وقال :

وقائلةُ هلم إلى التصابى فقلتُ عففتُ عما تَعْلَمينا
وَوَدَّعت القِداح وقد أرانى بها فى الدهر مشعُوفًا [٢] رهينا
وَحَرَّمتُ الخمور علىَّ حتى أكون بقعر ملحُودٍ دَفِينا

وقال عفيف بن معد يكرب أيضًا :

فلا والله لا ألفى وشربًا أنازِعُهم شرابًا ما حَيِيتُ
أبى لى ذاك آباءٌ كِرامٌ وأخوالٌ بعزِّهم رَبيت

(٩٠) تعارف على طريقة النسابين*

خرج يزيد بن شيبان بن علقمة حاجًّا ، فرأى حين شارف البلد شيخًا يَحُفُّه ركبٌ على إبل عِتاق برحال مِيسٍ [١] مُلبسة أَدما ، قال : فعَدَلْتُ فسلمت عليهم وبدأتُ به وقلتُ : مَن الرجلُ ؟ ومن القوم ؟ فأَرَمَّ [٢] القوم ينظرون إلى الشيخ هيبة له ، فقال الشيخ : رجل من مَهْرة بن عمرو بن الحافِ بن قضاعة ، فقلتُ : حياكم الله ! وانصرفتُ ، فقال الشيخ : قِفْ أيها الرجل ، نسبتنا فانتسبنا لك ثم انصرفت ولم تُكلمنا - قال أبو بكر : وروى السكن بن سعيد عن محمد بن عباد : شاممتنا مُشامَّة الذئب

---

(٢) الشعف : حرقة يجدها الرجل مع لذة فى قلبه.

(٩٠)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٩٧، ٢٩٨ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة عن أبى زرارة .

(١) الميس : ضرب من الشجر يعمل منه الرحال . (٢) أرم القوم : سكتوا .

الغنم ثم انصرفت – قلت : ما أنكرتُ سوءًا ، ولكنى ظننتكم من عشيرتى فأناسبكم فانتسبتم نسبًا لا أعرفه ولا أراه يعرفنى . قال : فأمال الشيخ لثامه وحَسَرَ عمامته ، وقال : لعَمْرى لئن كنت من جِذْم من أجذام العرب لأعرفنك ، فقلت : فإنى من أكرم أجذامها ، قال : فإن العرب بنيت على أربعة أركان ؛ مُضر ، وربيعة ، واليمن ، وقضاعة ؛ فمن أيهم أنت ؟ قلت : من مُضر ، قال : أمِن الأرحاء أم من الفُرسان ؟ فعلمت أن الأرحاء خِندف وأن الفُرسان قيس ، قلت : من الأرحاء ، قال : فأنت إذًا من خِندف ، قلت : أجَلْ ، قال : أفمِنَ الأرنَبة أمن من الجُمْجُمة ؟ فعلمتُ أن الأرنبة مُدركة وأن الجُمجمة طانجة ، فقلت : من الجُمجمة ، قال : فأنت إذًا من طانجة ، قلت : أجل، قال : أفَمِن الصميم[٣] أم من الوشيظ[٤] ؟ فعلمت أن الصميم تميم وأن الوشيظ الربابُ ، قلت : من الصميم ، قال : فأنت إذًا من تميم ، قلت : أجل قال : أفمن الأكرمين أم من الأحْلَمين أم من الأقلين ؟ فعلمت أن الأكرمين زيد مناة وأن الأحلمين عمرو بن تميم ، وأن الأقلين الحارث بن تميم ، قلت : من الأكرمين ، قال : فأنت إذًا من زيد مناة ، قلت : أجل ، قال : أفمن الجَدود ، أم من البحور ، أم من الثِّمَاد؟ فعلمت أن الجدود مالك ، وأن البحور سعد ، وأن الثماد امرؤ القيس بن زيدة مناة ، قلت : من الجدود ، قال : فأنت إذًا من بنى مالك ، قلت : أجل ، قال : أفمن الذُّرى ، أم من الأرداف ؟ فعلمت أن الذرى حنظلة ، وأن الأرداف ربيعة ومعاوية وهما الكُرْدُوسان ، قلت : من الذرى ، قال : فأنت إذًا من بنى حنظلة ، قلت : أجل ، قال : أمن البُدُور ، أم من الفُرسان ، أم الجراثيم ؟ فعلمتُ أن البدور مالك ، وأن الفرسان يربُوع ، وأن الجراثيم البراجم ، قلت : من البدور ، قال : فأنت إذًا من بنى مالك بن حنظلة ، قلت : أجل ، قال : أفمن الأرنبة ، أم من اللَّحْيَيْن ، أم من القَفا ، فعلمتُ أن الأرنبة دارِمٌ ، وأن اللحيين طُهية والعدوية ، وأن القفا ربيعة بن حنظلة ، قلت : من

(٣)الصميم : الخالص. (٤)الوشيظ: الخسيس من الرجال .

الأرنبة ، قال : فأنت إذًا من دارم ، قلت : أجل ، قال : أفمن اللُّباب ، أم من الهضاب ، أم من الشهاب ؟ فعلمت أن اللُّباب عبد الله ، وأن الهضاب مُجاشع ، وأن الشّهاب نَهْشَل ، قلت : من اللباب ، قال : فأنت إذًا من بنى عبد الله ، قلت : أجل ، قال : أفمن البيت ، أم من الزوافر ، فعلمت أن البيت بنو زُرارة ، وأن الزوافر الأحلاف . قلتُ : من البيت ، قال : فأنت إذًا من بنى زرارة ، قلت : أجل ، قال : فإن زرارة ولد عشرة ؛ حاجبًا ، ولقيطًا ، وعلقمة ، ومعبدًا ، وخُزيمة ، ولبيدا ، وأبا الحارث ، وعمرا ، وعبد مناة ، ومالكًا ؛ فمن أيهم أنت ؟ قلت : من بنى علقمة ، قال : فإن علقمة وَلَدَ شيبان ولم يلد غيره ، فتزوج شيبان ثلاث نسوة : مَهْدَدَ بنت حُمران بن بشر بن عمرو بن مرثد فولدت له يزيد ، وتزوج عِكْرِشة بنت حاجب بن زُرارة بن عُدس فولدت له المأمور ؛ وتزوج عَمْرة بنت بِشر بن عُدّس فولدت له المُقْعَد ، فلأيتهنّ أنت ؟ قلتُ: لِمَهْدد ، قال : يابن أخى ، ما افترقت فِرْقتان بعد مدركة إلا كنتَ فى أفضلهما حتى زاحمك أخواك ، فإنه تَلِدنى أُمَّاهُما أحَبُّ إلىَّ من أن تلدنى أُمُّك ! يابن أخى ، أتُرانى عَرَفْتُك ؟ قلتُ : إى وأبيك أىَّ معرفة ! .

أحاديث
من عالم الكهان

٩١ - هل يعرف الكاهن المخبأ ؟ * :

خرج خمسة نفر من طيئ من ذوى الحِجا والرأى ، منهم بُرج بن مُسهر وهو أحد المُعمرين . وأُنَيْفُ بن حارثة بن لأم ، وعبدالله بن سعد الحشرج أبو حاتم طيئ ، وعارف الشاعر ، ومُرة بن عبد رُضى ، يريدون سواد بن قارب الدَّوسى ليمتحنوا علمه، فلما قرُبوا من السَّراة قالوا : ليخبأ كل رجل منا خبيئًا ولا يُخبر به صاحبه ليسأله عنه ، فإن أصاب عرفنا علمه وإن أخطأ ارتحلنا عنه . فخبأ كل رجل منهم خبيئًا ثم صاروا إليه فأهدوا له إبلا وطُرفا من طُرف الحيرة ، فضرب عليهم قُبة ونحر لهم . فلما مضت ثلاثٌ دعا بهم فدخلوا عليه ، فتكلم بُرجٌ وكان أسنهم فقال : جادك السحاب ، وأمرع لك الجناب (١) ، وضفت عليك النعم الرغاب (٢) ، نحن أُولو الآكال (٣) ، والحدائق والأغيال (٤) ، والنَّعم الجُفال (٥) ، ونحن أصهار الأملاك ، وفرسان العِراك - يروى عنهم أنهم من بكر بن وائل - فقال سَوَادٌ : والسماء والأرض ، والغمر والبرض (٦) ، والقرض والفرض ، إنكم لأهل الهِضاب الشُم ، والنخيل العُم ، والصُّخور الصُم ، من أجأ العيطاء ، وسلمى ذات الرُّقبة السطعاء (٧) . قالوا : إنا كذلك وقد خبأ لك كل رجل منا خبيئًا لتخبرنا باسمه وخبيئه . فقال لبُرج : أُقسم بالضياء والحَلَك ، والنجوم والفلك ، والشروق والدلك (٨) ، لقد خبأت بُرثُن فَرخ ، فى إعْليط مَرخ ، تحت آسرة الشرخ (٩) ، قال : ما أخطأت شيئًا ، فمن أنا ؟ قال : أنت برج بن مُسهِر ، عُصرَةُ المُمْعِر ، وثِمال المُحجر (١٠) . ثم قام أُنَيْف بن حارثة فقال : ما خبيئى وما اسمى ؟ فقال : والسحاب والتراب ،

---

(٩١) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٨٩ ، ٢٩٠، منسوبًا إلى ابن دريد عن عمه عن جده عن ابن الكلبى عن أبيه عن الذبال عن الطرماح بن حكيم .

(١) أمرع الجناب : أى أخصب ما حول دارك . (٢) أى أسبغت عليك النعم الكثيرة . (٣) أولو الآكال : أصحاب الثروة . (٤) الأغيال : المياه الجارية . (٥) الجُفال : الكثيرة . (٦) الغمر : الماء الكثير ، والبرض : الماء القليل. (٧) أجأ وسلمى : جبلان ، والعيطاء والسطعاء: الطويلة .

(٨) الدلك : اصفرار الشمس عند المغيب . (٩) خبأ ظفر طائر فى جراب ثمرة تحت حزام مشدود على وسطه . (١٠) الممعر : الذى ذهب ماله . والمحجر : المُضيق عليه .

والأصباب والأحداب [١١] والنَّعم الكُثاب ، لقد خبأت قُطامة فَسِيط وقُدَّة مَريط ، فى مَدَرة من مدى مطيط [١٢] . قال : ما أخطأت شيئًا ، فمن أنا ؟ قال : أنت أنيف ، قارى الضَّيف، ومُعمل السَّيف ، وخالطُ الشتاء بالصيف . ثم قام عبدالله ابن سعد فقال : ما خبيئى وما اسمى ؟ فقال سوادٌ : أقسم بالسوام العازب [١٣] والوقير الكارب [١٤] ، والمُجدّ الراكب ، والمشيخ الحارب ، لقد خبأت نُفاثة فَتن ، فى قطيع قد مرن ، أو أديم قد جرن [١٥] . قال : ما أخطأت حرفا ، فمن أنا ؟ قال : أنت ابن سعد النوال، عطاؤك سَجال ، وشَرُّك عُضال ، وعَمَدُك طِوال ، وبيتُك لا يُنال . ثم قام عارف فقال : ما خـبيئى وما اسمى؟ فقال سواد : أقسم بنفنف اللُّوح ، والماء المسفُوح ، والفضـاء المندُوح [١٦] ، لقد خـبأت رُقعـة طـلا أعفر ، فى زعنفة أديم أحمر ، تحت حِلْس نِضو أدبر [١٧] ، قـال : ما أخطـأت شيئا ، فمن أنا ؟ قال : أنت عارف ذو اللسان القضب، والقلب الندب [١٨] ، والمضّـاد الغـرب ، منـاع السـرب ، ومبيح النهب ، ثم قام مُرة بن عبد رضى ، فقال : ما خبيئى وما اسمى ؟ فقال سواد : أقسم بالأرض والسماء، والبروج والأنواء ، والظلمة والضياء، لقد خبّأت دحَّةٍ فى رمَّة تحت مُشْط لِمَّة [١٩] . قال: ما أخطأت شيئا ، فمن أنا ؟ قال : أنت مُرَّة ، السريع الكرَّة ، البطىء الفرَّة ، الشديد المرَّة. قالوا: فأخبرنا بما رأينا فى طريقنا إليك . فقال : والناظر من حيث لا يُرى ، والسامع قبل أن يناجى ، والعالم بما لا يدرى، لقد عنَّت لكم عُقابٌ عجزاء [٢٠] ، فى شذانيب [٢١] دوحة جرداء ، تحمل جدلا [٢٢] ،

---

(١١) أى ما علا من الأرض وما انخفض. (١٢) خبأ قلامة من ظفره ، وريشه من رياشة السهم فى جدول ماء صغير . (١٣) السوام العازب : الإبل البعيدة . (١٤) الوفير الكارب : الغنم القريبة . (١٥) خبأ غصينًا صغيرًا فى قطعة من الجلد . (١٦) المسفوح: المصبوب ، والمندوح : الواسع . (١٧) خبأ قطعة عفراء من جلد ظبى صغير ، داخل قطعة من جلد أحمر ، تحت الفرش الذى يوضع على ظهر الناقة . (١٨) الندب : الذكى . (١٩) خبأ قملة داخل شعره . (٢٠) عجزاء : أبيض ذنبها . (٢١) الشنابيب : ما تداخل من الأغصان .
(٢٢) الجَدْل : العضو .

فتماريتم إما يدًا وإما رِجْلا . فقالوا: كذلك ثم مَهْ ؟ قال سنح لكم قبل طلوع الشرق [٢٣] ، سيد أمق [٢٤] ، على ماء طرق . قالوا : ثم ماذا ؟ قال: ثم تيسٌ أفرق ، سندٌ فى أبرق [٢٥] ، فرماه الغلام الأزرق ، فأصاب بنى الوابلة [٢٦] والمِفْرق. قالوا : صدقت ، وأنت أعلم من تحمل الأرض ثم ارتحلوا عنه .

٩٢ - كاهنة تتنبأ بكارثة •

كان ثلاثة أبطن من قُضاعة مُجتورين بين الشّحر وحضرموت : بنو ناعب، وبنو داهِن ، وبنو رِئام ، وكانت بنو رئام أقلهم عددا وأشجعهم لقاء ، وكانت لبنى رئام عجوز تُسمى خُويلة ، وكانت لها أمةٌ من مُوَلَّدات العرب تسمى زَبراء ، وكان يدخل على خويلة أربعون رجلاً كلهم مَحْرَمٌ ، بنو إخوة وبنو أخوات ، وكانت خويلة عقيمًا ، وكان بنو ناعب وبنو داهن مُتظاهرين على بنى رئام ، فاجتمع بنو رئام ذات يوم فى عُرس لهم وهم سبعون رجلا كلهم شُجاعٌ بئيس، فطعموا وأقبلوا على شرابهم ، وكانت زبراء كاهنة فقالت لخويلة : انطلقى بنا إلى قومك أنذرهم . فأقبلت خويلة تتوكأ على زبراء ، فلما أبصرها القوم قاموا إجلالاً لها ، فقالت : يا ثمر الأكباد ، وأنداد الأولاد ، وشجا الحُساد، هذه زبراء ، تخبركم عن أنباء ، قبل انحسار الظلماء ، بالمؤيد الشنعاء [١] ، فاسمعوا ما تقول . قالوا : وما تقولين يا زبراء ؟ قالت : واللوح [٢] الخافق ، والليل الغاسق ، والصباح الشارق ، والنجم الطارق ، والمُزن الوادق ، إن شجر الوادى ليأْدُوا خَتلا [٣] ، ويحرق أنيابا عُصلا [٤] ، وإن صخر الطود ليُنْذِر ثُكلا ، لا تجدون عنه مَعْلا [٥] ، فوافقت قوما أشارى سكارى ، فقالوا : ريحٌ خجُوجٌ [٦] ، بعيدة ما بين الفروج ، أتت زبراء بالأبلق النتوج .

---

(٢٣) الشرق: الشمس. (٢٤) سِيد أمق : ذئب طويل . (٢٥) أبرق : أرض غليظة ، الوابلة : رأس العضد الذى يلى المفرق .

(٩٢) • ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٢٦ ، ١٢٧، ١٢٨ ، منسوبًا إلى ابن دريد عن السكن عن محمد بن هشام عن أبى مخنف عن أشياخ من قضاعة .

(١) المؤيد : الداهية . (٢) اللوح : الهواء . (٣) أى يختلى غدرًا (٤) العصل : المعوجة . (٥) المعل: المنجى. (٦) الخجوج : السريعة .

فقالت زبراء : مهلاً يا بنى الأعزة ، والله إنى لأشم دفر الرجال تحت الحديد ، فقال لها فتى منهم يقال له هُذيل بن مُنقِذ : يا خذاق ، والله ما تشمين إلا دفر [٧] إبطيك ، فانصرفت عنهم وارتاب قوم من ذوى أسنانهم ، فانصرف منهم أربعون رجلا وبقى ثلاثون فرقدوا فى مشربهم ، وطرقتهم بنو داهن وبنو ناعب فقتلوهم أجمعين .

٩٣ - كاهن جنوبى يعتنق الإسلام*

كان خنافر بن التوءم الحميرى كاهنًا ، وكان أُوتى بسطةً فى الجسم ، وسعةً فى المال ، وكان عاتيا ، فلما وفدت وفود اليمن على النبى ﷺ وظهر الإسلام أغار على إبل لُمراد فاكتسحها [١] وخرج بأهله وماله ولحق بالشحر ، فحالف جودان بن يحيى الفرضمى ، وكان سيدًا منيعًا ، ونزل بواد من أودية الشحر مُخصبا كثير الشجر من الأيك والعرين . قال خنافر : وكان رَئِىٌّ [٢] فى الجاهلية لا يكاد يتغيب عنى ، فلما شاع الإسلام فقدتُه مدة طويلة وساءنى ذلك ، فبينما أنا ليلة بذلك الوادى نائمًا إذ هوى هوِىَّ العُقاب ، فقال : خُنافر ، فقلت : شِصار ؟ فقال : اسمع أَقُلْ ، قلت : قلِ اسمع ، فقال : عه تغنم ، لكل مُدة نهاية ، وكل ذى أمد إلى غاية ، قلت : أجل فقال : كل دولة إلى أجل ، ثم يُتاح لها حول ، انتُسخت النحل ، ورجعت إلى حقائقها الملل ، إنك سجير [٣] موصول ، والنصح لك مبذول ، وإنى آنست [٤] بأرض الشام ، نفرًا من آل العُذام [٥] حُكامًا على الحكام ، يذبُرون [٦] ذا رونق من الكلام ، ليس بالشعر المُؤلف ، ولا السجع المتكلف ، فأصغيت فزُجرت ، فعاودت فظُلفت [٧] ، فقلت بِمَ تُهَيْنِمون ، وإلامَ تعترُون ؟ قالوا : خِطاب كُبار ، جاء من عند الملك الجبار ، فاسمع يا شِصار ، عن أصدق الأخبار ،

---

(٧) الدفر : النتن.

(٩٣) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، مسندًا إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه عن ابن الكلبى عن أبيه.

(١) كسحها : كنسها . (٢) ما يتراءى للانسان من الجن . (٣) سجير : صديق . (٤) آنست : أبصرت . (٥) من قبائل الجن . (٦) يذبرون : يقرأون . (٧) ظلفت : منعت .

واسلُك أوضح الآثار ، تنج من أوار [٨] النار ، فقلت : وما هذا الكلام ؟ فقالوا: فُرقانٌ بين الكفر والإيمان ، رسول من مُضر ، من أهل المدر ، ابتعث فظهر ، فجاء بقول قد بهر، وأوضح نهجًا قد دثر ، فيه مواعظ لمن اعتبر ، ومعاذٌ لمن ازدجر ، أُلِّف بالآى الكُبر، قلت: ومن هذا المبعوث من مُضر ؟ قال : أحمد خير البشر ، فإن آمنت أُعطيت الشُّبر [٩] ، وإن خالفت أُصليت سقر ، فآمنتُ يا خنافر ، وأقبلتُ إليك أبادر ، فجانب كل كافر، وشايع كل مؤمن طاهر ، وإلاَّ فهو الفراق ، لا عن تلاق ، قلت : من أين أبغى هذا الدين؟ قال : من ذات النخل ، والحرة ذات النعل ، فهناك أهل الطول والفضل ، والمواساة والبذل ، ثم أملس عنى . فبت مذعورًا أراعى الصباح ، فلما برق لى النور امتطيت راحلتى ، وآذنت أعبُدى ، واحتملت بأهلى حتى وردت الجوف ، فرددت الإبل على أربابها بحُولها وسِقَابها ، وأقبلت أريد صنعاء ، فأصبت بها معاذ بن جبل أميرًا لرسول الله ﷺ ، فبايعته على الإسلام ، وعلمنى سورًا من القرآن ، فمن الله علىَّ بالهُدى بعد الضلالة ، والعلم بعد الجهالة ، وقلت فى ذلك :

ألم تــر أن الله عــاد بــفضــلــه ... فــأنــقــذ مـن لَـفْـح الـزَّخِـيـخ خُـنـافرا

وكشَّـف لى عـن حَـجْـمَـتَـىَّ عـمـاهُـمـا ... وأوضـح لى نـهـجـى وقـد كـان داثـرا

دعـانـى شِـصـارٌ لـلـتـى لـو رفضـتُـهـا ... لأصليت جمرًا من لظى الهوب واهرا

فأصبحت والإسلام حشو جوانحى ... وجـانـبـت من أمسـى عـن الحق نـاذرا

وكـان مُـضـلـى مـن هُـديتُ بـرشـده ... فـلـلـه مُـغـو عـاد بـالـرشـد آمـرا

نجوت بـحـمـد الله مـن كـل قُـحـمـة ... تُـورِّثُ هُـلْـكـاً يـوم شـايـعـتُ شـاصِـرا

وقـد أمِـنـتـنـى بـعـد ذاك يُـحـابـرٌ ... بما كـنـتُ أُغـشـى المـنـديـات يُـحـابـرا

---

(٨) الإوار: شدة الحر. (٩) الشبر : الخير .

وفى الحديث إشارة إلى خصوصية لغة الكهان واعتبارها جنسًا أدبيًا وسطًا بين الشعر والنثر .

فمن مُبلغٌ فتيان قومى أُلُوكة		بأنى من أقتال مَنْ كان كافرا
عليكم سواء القصد لا فُلَّ حدُّكُم		فقد أصبح الإسلام للكفر قاهرا

٩٤ - الصعلوك والكاهنة*

أغار رجل من مُراد يقال له حَرِيم على إبل عمرو بن براقة الهمذانى وخيل له فذهب بها ، فأتى عمرو سَلْمى - وكانت بنت سيدهم وعن رأيها كانوا يصدُرون - فأخبرها أن حريما المرادى أغار على إبله وخيله ، فقالت : والخَفْو (١) والوميض ، والشفق كالإحريض (٢) ، والقُلة والحضيض ، إن حريمًا لمنيع الحِيز (٣) ، سيز مزيز(٤) ، ذو معقل حَرِيز ، غير أنى أرى الحُمة (٥) ستظفر منه بعثرة ، بطيئة الجبرة ، فأغر ولا تُنْكَع (٦) . فأغار عمرو فاستاق كل شىء له ، فأتى حريمٌ بعد ذلك يطلب إلى عمرو أن يَرُدَّ عليه بعض ما أخذ منه فامتنع ورجع حريم ، وقال عمرو :

تقول سُليمى لا تعرض لتَلْفَةٍ		وليلُكُ عن ليل الصعاليك نائمُ
وكيف ينامُ الليل مَنْ جُلَّ ماله		حُساءٌ كلون الملح أبيضُ صارمُ
غمُوضٌ إذ عض الكريهة لم يدع		له طمعًا طوعُ اليمين مُلازم
ألم تعلمى أن الصعاليك نومُهُم		قليلٌ إذا نام الخِلىُّ المسُالم
إذا الليلُ أدجى واكفهر ظلامهُ		وصاح من الأفراد بُومٌ جواثِمَ
ومال بأصحاب الكرى غالِباته		فإنِّى على أمر الغواية حازم

---

(٩٤) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٢١، ١٢٢ ، مسندًا إلى ابن دريد عن السكن عن محمد ابن عباد عن ابن الكلبى .

(١) الخفو : اللمعان الخفيف . (٢) الإحريض : حجارة النورة . (٣) الحيز : الناحية . (٤) مزيز : فاضل . (٥) الحُمَة: القدر . (٦) تنكع : تردع .

كـذبـتـم وبـيت الله لا تـأخـذونـهـا … مُـراغـمـة مـا دام لـلسَّـيف قـائـم
تحالـف أقـوامٌ عـلـىَّ لـيسـلـمـوا … وجـرُّوا عـلـىَّ الحرب إذ أنـا سـالم
أفـالـيـوم أُدْعَـى لـلـهـوادة بـعـدما … أُجيل على الحى المذاكى الصلادِم (٧)
فـإن حـريمًا إن رجـا أن أردَّهـا … ويـذهـب مـال يـا بـنـة القَـيْـلِ حالم
مـتـى تجمع الـقـلب الـذَّكـىَّ وصـارمًا … وأنـفًـا حَـمـيـاً تجتـنـبك المظـالم
مـتـى تـطـلب المال المُمـنـع بـالـقـنـا … تـعـش مـاجـدًا أو تـخترمك المخارم
وكـنـتُ إذا قـوم غـزونـى غـزوتـهـم … فـهـل أنـا فـى ذا يـآل هـمـدان ظـالم
فلا صُلح حتى تُقدعَ (٨) الخيلُ بالقنا … وتُـضـرب بـالـبـيض الخِفاف الجماجم
ولا أمن حتى تَغْشِم (٩) الحربُ جهرة … عـبـيـدة يـومًـا والحروب غـواشـم
أمُستبطِىءٌ عمرو بن نعمان غارتى … ومـا يُـشـيـه الـيـقـظـان مـن هو نـائم
إذا جَـرَّ مـولانـا عـلـيـنـا جـريـرة … صبرنـا لـهـا إنـا كـرام دعـائـم
ونـنـصُـر مـولانـا ونـعـلـم أنـه … كـمـا الـنـاس مَجْرُوم عـلـيـه وجـارم

---

(٧) الصلادم : الشديد الصلب . (٨) تقدم : تكف .
(٩) الغشم : أشد الظلم .

أحاديث
من عالم النساء والصبابة

(٩٥) النساء ثلاث .. والرجال ثلاثة*

أخبرنا شيخ من بنى العنبر قال : كان يقال : النساء ثلاث فَهَيِّنة ليِّنة عفيفة مُسْلِمةٌ ، تُعِين أهلها على العيش ، ولا تُعين العيش على أهلها ؛ وأخرى وعاء للولد ؛ وأخرى غُلٌ قَمِلٌ يضعه الله فى عنق من يشاء . والرجال ثلاثة : فَهَيِّن ليِّن عفيفٌ مسلم، يُصْدِر الأمور مصادرها ويُوردها مواردها ؛ وآخر ينتهى إلى رأى ذى اللُّب والمقدرة فيأخذ بقوله وينتهى إلى أمره ؛ وآخر حائر بائر لا يأتمر لرُشد ولا يطيع المُرْشد.

(٩٦) العشق يشفع للجندى الهارب*

كان بشر بن مروان شديدًا على العصاة فكان إذا ظفر بالعاصى أقامه على كرسى وسَمَر كفيه فى الحائط بمسمار ونزع الكرسى من تحته فيضطرب معلقًا حتى يموت ، وكان فتى من بنى عِجْل مع المُهلب وهو يحارب الأزارقة وكان عاشقًا لابنة عم له ، فكتبت إليه تستزيره ، فكتب إليها :

لولا مخافة بشر أو عقوبته ... أو أن يُشد على كفى مسمار
إذًا لعطلتُ ثغرى[1] ثم زرتكمُ ... إن المُحبَّ إذا ما اشتاق زوَّار

فكتبت إليه :

ليس المُحب الذى يخشى العقاب ولو ... كانت عُقوبته فى إلفه النار

---

(٩٥)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٥٦ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى .

(٩٦)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٣٠ ، ٣١ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى .

(١) عطل ثغره : ترك موقعه الذى يحرسه .

بل المحب الذى لا شىء يمنعه أو تَسْتَقِرَّ ومن يهوى به الدار

قال : فلما قرأ كتابها عطَّل ثغره وانصرف إليها وهو يقول :

أستغفر الله إذ خفتُ الأمير ولم أخش الذى أنا منه غير مُنتصر

فشأن بشر بلحمى فليعذبه أو يعفُ عفو أمير خير مقتدر

فما أبالى إذا أمسيت راضيةً يا هند ما نِيلَ من شَعرى ومن بشَرى

ثم قدم البصرة فما أقام إلا يومين حتى وشى به واش إلى بشر ، فقال : علىَّ به، فأتى به فقال : يا فاسق عطلت ثغرك ! هلموا الكُرسىَّ ، فقال : أعز الله الأمير ، إن لى عذرًا ، فقال : وما عذرك ؟ فأنشده الأبيات ، فرق له وكتب إلى المُهلب فأثبته فى أصحابه .

(٩٧) البنات الثلاث والزوج المطلوب*

قالت عجوز من العرب لثلاث بنات لها : صفن ما تُحبين من الأزواج ؛ فقالت الكُبرى : أُريد أروع[١] بسَّاما ، أحَدَّ[٢] مجذاما[٣] ؛ سيد ناديه ، وثِمال[٤] عافيه ، ومُحسِب راجيه ؛ فناؤه رحب ، وقيادُه صعب . وقالت الوُسطى : أريده عالى السناء ، مُصمم المضاء ؛ عظيم نار ، مُتمم أيسار ؛ يُفيد ويُبيد ، ويبدى ويُعيد ؛ هو فى الأهل صبى ، وفى الجيش كمى ، تستعبدُه الحليلة ، وتُسوّدُهُ الفضيلة . وقالت الصغرى : أُريد بازل عام ، كالمهند الصمصام ، قرانه حُبُور ، ولقاؤه سُرور ؛ إن ضم قضقض ، وإن دسر أغمض ، وإن أخل أحمض . قالت أمها : فُض فُوك ! لقد فَرَرْتِ لى شِرَّةَ الشَّباب جَذَعةً.

---

(٩٧)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٦ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن عمه عن جده عن ابن الكلبى .

(١) أروع : كريم . (٢) أحد : خفيف . (٣) مجذام : صاحب رأى قاطع . (٤) الثمال : المغيث .

(٩٨) أحلام العوانس الثلاث*

كان لِهَمَّام بن مُرة ثلاث بنات فعنسهن ، فقالت الكبرى : أنا أكفيكموه اليوم ، فقالت :

أهمَّام بن مرة إنَّ همِّى إلى قنفاء مُشرفة القذال

فقال همام : قنفاء مشرفة القذال ! تصف فرسًا . فقالت الوسطى : ما صنعت شيئًا ، فقالت :

أهمَّام بن مرة إنَّ همِّى إلى اللائى يكُنَّ مع الرجال

فقال همام : يكون مع الرجال الذهب والفضة ! فقالت الصغرى ما صنعتما شيئا ، وقالت :

أهمَّام بن مرة إنَّ همِّى إلى عَرْدٍ أسُد به مَبَالى(١)

فقال همام : قاتلكن الله ! والله لا أمسيتُ أو أُزوجكن ! فزوجهن .

(٩٩) الوصيفات يرغبن بنت الملك فى الزواج*

كان قيْلٌ من أقيال حِمير مُنِع الولد دهرا ثم وُلِدت له بنتٌ فبنى لها قصرًا مُنِيفا بعيدا من الناس ، ووكَّل بها نساء من بنات الأقيال يخدمنها ويؤدبنها حتى بلغت مبلغ النساء ، فنشأت أحسن منشأ وأتمَّه فى عقلها وكمالها ، فلما مات أبوها ملَّكها أهلُ مِخْلافها ، فاصطنعت النسوة اللواتى ربينها وأحسنت إليهن وكانت تشاورهن ولا تقطع

(٩٨)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة .

(١) المبال : الموضع الذى ينزل منه البول .

(٩٩)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٨٠ ، ٨١ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن السكن بن أبى عباد عن ابن الكلبى .

أمرًا دونهن ، فقلن لها يومًا : يا بنت الكرام ، لو تزوجت لتم لك المُلك ، فقالت : وما الزَّوج ؟ فقالت إحداهن : الزوج عزٌّ فى الشدائد ، وفى الخطوب مُساعد ؛ إن غضبت عطف ، وإن مَرِضت لَطَف ؛ قالت : نعم الشىء هذا ! فقالت الثانية : الزوج شعارى حين أصْرَد(١) ، ومتكئى حين أرقد ، وأُنسى حين أفرُد ؛ فقالت : إن هذا لمن كمال طيب العيش . فقالت الثالثة : الزوج لما عنانى كاف ، ولما شَفَّنى شاف ، يكفينى فقد الآلاف ؛ ريقه كالشهد ، وعناقه كالخُلد ؛ لا يُمَلُّ قِرانه ، ولا يخاف حِرانُه ، فقالت : أمهلننى أنظر فيما قلتن ، فاحتجبت عنهن سبعًا ثم دعتهن فقالت : قد نظرت فيما قلتن فوجدتُنى أُمَلِّكُه رِقّى ، وأُبثُّه باطلى وحقى ، فإن كان محمود الخلائق ، مأمون البوائق ، فقد أدركت بغيتى ، وإن كان غير ذلك فقد طالت شقوتى ؛ على أنه لا ينبغى إلا أن يكون كُفؤًا كريما يسود عشيرته ، ويرُب فصيلته ؛ لا أتقنع به عارا فى حياتى ، ولا أرفع به شنارًا لقومى بعد وفاتى ، فعلَيْكُنَّ فابغينه وتفرقن فى الأحياء ، فأَيَّتُكُنَّ أتتنى بما أُحب فلها أجزل الحِباء ، وعلىَّ لها الوفاء ؛ فخرجن فيما وجهَتهُن له ، وكن بنات مقال ذوات عقل ورأى ، فجاءتها إحداهن وهى عَمرَّطة بنت زرعة بن ذى خنفر فقالت : قد أصبت البُغية ، فقالت : صِفيه ولا تُسمِّيه . فقالت : غيثٌ فى المحل ، ثمالٌ فى الأَزل، مفيد مبيد ، يصلح الناثر ، وينعش العاثر ، ويغمُر الندى ، ويقتاد الأبى ، عِرضُه وافر ، وحَسَبُه باهر ، غَضُّ الشباب ، طاهر الأثواب . قالت : ومن هو ؟ قالت : سَبْرة بن عَوَّال ابن شداد بن الهمَّال . ثم خلت بالثانية فقالت : أصبتِ من بُغيتك شيئا ؟ قالت : نعم، قالت صِفِيه ولا تسمّيه . قالت : مُصَامِصُ النَّسب ، كريم الحَسَب ، كامل الأدب ؛ غزير العطايا ، مألوف السجايا ؛ مُقتبل الشباب ، خصيب الجناب ، أمْرُه ماض ، وعَشِيره راض . قالت : ومن هو ؟ قالت : يَعْلَى بن هَزَّال بن ذى جدن . ثم خلت بالثالثة فقالت: ما عِندَكِ ؟ قالت : وجدته كثير الفوائد ، عظيم المرافد ، يعطى قبل

(١) أى ثوبى حين أبرد .

السؤال ، وينبل قبل أن يُستنال ؛ فى العشيرة معظَّم ، وفى الندىِّ مكرم ، جم الفواضل، كثير النوافل، بذال أموال ، مُحقق آمال ، كريم أعمام وأخوال ، قالت : ومن هو ؟ قالت : رَوَاحة بن خُمَير بن مضحى بن ذى هُلاهِلة ؛ فاختارت يَعْلَى بن هَزال فتزوجته، فاحتجبت عن نسائها شهرا ثم برزت لهن ، فأجزلت لهن الحِباء ، وأعظمت لهن العطاء .

(١٠٠) شروطها فيمن تقبل الزواج منه*

قالت هند لأبيها عُتبة بن ربيعة : إنى امرأة قد مكلتُ أمرى فلا تزوجنى رجلا حتى تعرضه علىَّ ، قال : لك ذاك ، فقال لها ذات يوم : إنه قد خطبك رجُلان من قومك ولستُ مسميًا لك واحدًا منهما حتى أصفه لك : أما الأول : ففى الشرف الصميم ، والحسب الكريم ، تخالين به هوجا من غفلته ، وذلك إسجاحٌ[1] من شيمته؛ حسن الصحابة ، سريع الإجابة ؛ إن تابعته تَبِعك ، وإن مِلت كان معك ، تقضين عليه فى ماله ، وتكتفين برأيك عن مشورته . وأما الآخر : ففى الحسب الحسيب ، والرأى الأريب ، بدر أرومته ، وعز عشيرته ، يؤدب أهله ولا يؤدبونه ؛ إن اتبعوه أسهل بهم ، وإن جانبوه توعر عليهم ، شديد الغيرة ، سريع الطيرة ، صعب حجاب القُبة ، إن حاجَّ فغير منزور ، وإن نُوزِع فغير مقهور ؛ وقد بينت لك كليهما . فقالت : أما الأول فسيد مضياع لكريمته مُوَات لها فيما عسى إن تعتص أن تلين بعد إبائها ، وتضيع تحت خبائها ، إن جاءته بولد أحمقت ، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت ، إطو ذكر هذا عنى ولا تُسمه لى ؛ وأما الآخر فبعل الحرة الكريمة ، إنى لأخلاق هذا لَوامقة ، وإنى له لموافقة ، وإنى لآخُذُهُ بأدب البعل مع لزومى قُبتى ، وقلَّة تَلَفُّتى ؛ وإن السَّليل بينى وبينه لَحَرِىّ أن

---

(١٠٠)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن سعيد بن هارون عن شيخ من أهل الكوفة عن عبد الملك بن نوفل .

(١) الإسجاح : السهولة .

يكون المُدافع عن حريم عشيرته ، الذائد عن كتيبتها المُحامى عن حقيقتها ، المُثبت لأَرُومته ؛ غير مُواكل ولا زُميل[٢] عند صعصعة[٣] الحروب . قال : ذلك أبو سفيان بن حرب ، قالت : فزوِّجه ولا تُلق إلقاء السَّلِس ، ولا تسُمْه سَوم الضرس ، ثم استخر الله فى السماء ، يخر لك فى القضاء .

(١٠١) ترفض أن تُكره على الزواج*

خطب دريد بن الصِّمة خنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ، فأراد أخوها معاوية أن يزوّجها منه ، وكان أخوها صخر غائبًا فى غَزَاةٍ له ، فأبت وقالت : لا حاجة لى به ، فأراد معاوية أن يُكرهها ، فقالت :

تُباكِرُنى حَمِيدةُ كلَّ يوم ... بما يُولى مُعاوية بن عمرو
فإلاَّ أُعْطَ من نفسى نصيبا ... فقد أوْدَى الزمان إذًا بصخر
أتُكرِهُنى هُبِلت على دُريد ... وقد أَحْرمْتَ سيد آل بدر
معاذ الله يَرْضَعُنى خَبركى ... قصيرُ الشّبر من جُشَمَ بن بكر

(١٠٢) العاشقة المطلقة*

كانت أم الضحاك المُحاربية تحت رجل من بني الضّباب ، وكادت تحبه حبًّا شديدًا فطلقها فقالت :

هل القلب إن لاقى الضّبابى خاليا ... لدى الرُّكن أو عند الصفا مُتحرجُ

---

(٢) زُميل : الجبان الضعيف . (٣) الصعصعة : الاضطراب .

(١٠١)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٦١ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة .

(١٠٢)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٨٦ ؛ مقروءًا على ابن دريد ، ولم ترد فيه كلمة «حدثنا» وإنما قرأت على أبى بكر .

وأعجلنا قرب المحلِّ وبيننا حديثٌ كتنشيج[1] المريضين مُزعج
حديثٌ لو أن اللحم يصلى بحرِّه طريًّا أتى أصحابه وهو مُنْضَج

(١٠٣) الصبايا يسمعن الغزل*

كانت مولاة لبنى الحجاج تحفظ شعرًا وترويه وتُنشده فتيات بنى الحجاج ، فأنشدتهن ذات ليلة كلمتى فى حمّادة - وفيهن واحدة وهى عقيلتهن - فلما انتهى قولى :

فإن تُصبح الأيام شيَّبن مفْرِقى وأذهبن أشجانى وفللن من غربى
فيارُب يوم قد شربتُ بمشرب شفيت به غيم الصدى بارد عذب
ومن ليلة قد بِتُّها غير آثم بساجية الحِجْلين ريَّانة القلب[1]

ضحكَتْ ، ثم أعرَضَتْ وضَرَبَتْ بكُمِّها على وجهها وقالت : فهلا أثِمَ[2] ! حرّمهُ الله .

(١٠٤) عاشقة ابن عمها*

كانت خُليبة الخُضرية تهوى ابن عم لها ، فعلم بذلك قومها فحجبوها ، فقالت :

هجرتُك لما أن هجرتك أصبحتْ بنا شُمَّتًا تلك العيون الكواشح
فلا يفرح الواشون بالهجر رُبما أطال المُحبُّ الهجر والجَيْبُ ناصح
وتغدو النوى بين المحبين والهوى مع القلب مَطْوىٌ عليه الجوانح

---

(١) تنشيج : أنينه .

(١٠٣)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٦٠ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى عثمان عن عمارة ابن عقيل .

(١) القُلب (بالضم) : سوار المرأة . (٢) تعليقًا على قول الشاعر : ومن ليلة قد بتها غير آثم .

(١٠٤)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٨٣ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى .

(١٠٥) عاشقة تعترف*

قال الأصمعى : كانت امرأة بحمى ضَرِيَّة - أحسبها من غَنَى - ذاتُ يسار فكثر خُطابها ، ثم إنها عَلِقت غُلاما من بنى هلال ، فَضِفتها ليلة وقد شاع فى الحاضر شأنها فأحسنت ضيافتى ، فلما تعشَّيْتُ جلستْ إلىَّ تحدثنى فقلت لها يا أمَّ العَلاء ، إنى أريد أن أسألك عن أمر وأنا أهابُك لما أعلم من عِفتك وفضل دينك وشرفك ، فتبسمت ثم قالت : أنا أُحدثُك قبل أن تسألنى ، ثم قالت :

أَلَـهْـفَ أبـى لـمَّـا أدَمتُ لك الـهوى ... وأصفيتُ حتى الوجدُ بى لك ظاهرُ

وجاهرتُ فيك الناس حتى أضرَّ بى ... مُجاهرتـى يـا ويح فيـمـن أُجاهرُ

فكُنت كَفَىء الغُصن بَيْنا يُظِلنى ... ويُـعـجـبنـى إذ زعزعتـه الأعاصِرُ

فصـار لـغـيـرى واسـتـدارتْ ظِلالـه ... سِـواى وخـلانـى ولـفـح الـهـواجرِ

ثم غلب عليها البكاء فقامت عنّى ، فلما أصبحتُ وأردت الرحيل قالت : يا بن عمى ، أنت والأرضَ فيما كان بينى وبينك[1] ، فقلتُ : إنَّهْ[2] ، وانصرفت عنها .

(١٠٦) يراها ولا تراه*

خرجتْ تُماضِر بنت عمرو بن الحارث بن الشَّريد فهنأت ذودًا لها جربى ، ثم نضت عنها ثيابها واغتسلت ، ودُريدٌ يراها ولا تراه ، فقال دريد :

حيُّـوا تُـمـاضـر واربـعـوا صـحـبـى ... وقـفـوا فـإن وقـوفـكـم حسـبـى

مـــا أن رأيت ولا ســـمـــعتُ بـــه ... كـالـيـوم طـالـى أيـنُـق جُـرب

---

(١٠٥)* ورد الحديث فى الأمالى ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى .

(١) أنت والأرض : كناية عن طلب كتمان الحديث . (٢) إنه : إنه لكذلك ، استجابة لما طلبت .

(١٠٦)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٦١ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة .

مُـتـبـدلاً تـبـدو مـحـاسـنُـه يَـضَـعُ الـهِـنـاء مـواضـع الـنُّـقب

مُـتـحـسـرًا نضـخ الـهِـنـاء بـه نضـخ الـعـبـيـر بـربـطـة الـعصب

أخُـنـاسُ قـد هـام الـفـؤاد بـكـم واعـتـادَهُ داءٌ مـن الـحُـبّ

فَـسَـلـيـهـم عـنّـى خُـنـاسُ إذا غَـضَّ الـجـمـيـعُ هُـنـاك مـا خـطبى

(١٠٧) شكوك الزوج*

تزوج رجل من بنى عامر بن صعصعة امرأة من قومه ، فخرج فى بعض أسفاره ثم قدم وقد ولدت امرأته وكان خَلَّفها حاملاً ، فنظر إلى ابنه فإذا هو أحمر غَضْب ، أزَبُّ الحاجبين ، فدعاها وانتضى السيف وأنشأ يقول :

لا تـمشُـطـى رأسـى ولا تـفْـلِـيـنـى وحـاذرى ذا الـريـق[1] فـى يـمينى

واقـتـربـي دُونك أخـبـريـنـى مـا شـأنُـه أحـمـر كـالـهـجـيـن

خـالَـف ألـوان بـنـى الـجُـون[2]

فقالت تجيبه :

إنَّ لـه مـن قـبـلـى أجـدادا بـيضَ الـوجـوه كَـرَمًـا أنـجـادا

مـا ضَـرَّهُـم إن خَـضَـرُوا مـجـادا أو كـافـحـوا يـوم الـوغـى الأنـدادا

ألا يـكـون لـونُـهُـم سـوادا

---

(١٠٧)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٣٥ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى عثمان عن التوزى عن أبى عبيدة .

(١) ذو الريق : السيف . (٢) الجون : القائمة السوداء .

(١٠٨) بين نحوى وزوجته*

جرى بين أبى الأسود الدُّؤلى وبين امرأته كلام فى ابن كان لها منه وأراد أخذه منها ، فسار إلى زياد وهو والى البصرة ، فقالت المرأة : أصلح الله الأمير ، هذا ابنى كان بطنى وعاءه ، وحجرى فناءه ، وثديى سقاءه ، أكْلؤهُ إذا نام ، وأحفظه إذا قام ؛ فلم أزل بذلك سبعة أعوام حتى إذا استوفى فصاله ، وكَمَلَتْ خصاله ، واستوكعت[١] أوصاله ؛ وأمَّلتُ نفعه ، ورجوت دفعه ؛ أراد أن يأخذه منى كرها ، فآدنى أيها الأمير[٢] ، فقد رام قهرى ، وأراد قسرى . فقال أبو الأسود : أصلحك الله ، هذا بنى حملته قبل أن تحمله ، ووضعته قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه فى أدبه ، وأنظر فى أَوده ، وأمنحه علمى ، وأُلهمه حلمى ، حتى يكمل عقله ، ويستحكم فتله . فقالت المرأة : صدق أصلحك الله ، حملهُ خِفًّا ، وحملته ثقْلا ، ووضعه شهوة ، ووضعته كُرها ، فقال له زياد: أردُد على المرأة ولدها فهى أحق به منك ، ودعنى من سجعك .

(١٠٩) الصبيان والعاشق*

قال الأصمعى : مررت بحمى الرَّبذة فإذا صبيانٌ يتقامسُون[١] فى الماء وشابٌ جميل الوجه مُلَوَّحُ الجسم قاعد ، فسلَّمت عليه ، فردّ علىَّ السلام وقال : من أين وضح الراكب ؟ قلتُ : من الحمَى ، قال : ومتى عَهدُك به ؟ قلت : رائحًا ؛ قال : وأين كان مَبيتُك ؟ قلت : أدنى هذه المشاقر[٢] فألقى نفسه على ظهره وتنفس الصُّعداء ، فقلت: تفسأ حجاب قلبه ، وأنشأ يقول :

---

(١٠٨)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٢ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة .

(١) استوكعت : اشتدت . (٢) آدِنى : أى قونى وانصرنى عليه .

(١٠٩)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٣٧ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى .

(١) يتقامسون : يغمس بعضهم بعضا . (٢) المشاقر : العرفج والنبات أو الرمال .

سقى بلدًا أمستْ سُليمى تَحُلُّه | مِنَ المُزن ما تُروى به وتُسيمُ
وإن لم أكُن من قاطنيه فإنه | يَحُلُّ به شخصٌ علىَّ كريم
ألا حبذا من ليس يعدِلُ قُربه | لَدَىَّ وإن شطَّ المزارُ نعيم
ومن لامَنى فيه حميمٌ وصاحبٌ | فُرُدَّ بغيظٍ صاحبٌ وحميم

ثم سكت كالمغمى عليه ، فَصِحت بالصبية ، فأتوا بماء فصببته على وجهه ، فأفاق وأنشأ يقول :

إذا الصَّبُّ الغريب رأى خُشُوعى | وأنفاسى تَزَيَّن بالخُشُوع
ولى عين أضرَّ بها التفاتى | إلى الأجراع مُطلقة الدُّموع
إلى الخلوات تأنسُ فيك نفسى | كما أنِسَ الوحيد إلى الجميع

(١١٠) رجل وأربع حسناوات فى الصحراء*

كان مَصَادر بن مذعور القينىُّ رئيسًا قد أخذ مرباع قومه دهرا ، وكان ذا مال فَنَدَّ ذَوْدٌ من أذواد له فخرج فى بغائها ؛ قال : فإنى لفى طلبها إذ هَبَطت واديا شجيرًا كثيف الظِّلال وقد تفسخت أينًا ، فأنخت راحلتى فى ظل شجرة وحطَطتُ رحلى ورسغتُ بعيرى واضطجعتُ فى بُردى ، فإذا أربع جَوَارٍ كأنهن اللآلئ يرعين بَهْمًا لهن ؛ فلما خالطتْ عينى السِّنةُ أقبلن حتى جلسن قريبًا منى وفى كف كل واحدة منهن حصياتٌ

(١١٠)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٤٢، ١٤٣ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن السكن بن سعيد عن العباس بن هشام عن أبيه .

وهذا الحديث هو الأصل الذى استند إليه بديع الزمان الهمذنى فى كتابة المقامة الإبليسية (انظر مقامات الهمذانى ص ١٨٢، من تحقيق الشيخ محمد عبده) التى تلتزم نفس البناء وتتحدث عن رجل ندَّت إبله فى الصحراء ، فخرج يبحث عنها ، فوجد شيخًا منفردًا دل عليها تبين فيما بعد أنه من شياطين الشعر ، وتردد صداه كذلك فيما بعد فى «رسالة التوابع والزوابع» لابن شهيد الأندلسى .

تُقلِّبهن ، فَخَطَّت إحداهن ثم طرفتْ فقالت : قُلن يا بنات عَرَّاف ، فى صاحب الجمل النِّياف ، والبرد الكُثاف ، والجِرم الخُفاف . ثم طرقت الثانية فقالت : مُضِلٌ أذواد علاكد ، كُوم صَلاخِد ، منهن ثلاثٌ مَقَاحِد ، وأربعٌ جَدائد ، شُسُفٌ صَمارِد . ثم طرقت الثالثة فقالت : رعين الفرع ، ثم هبطن الكرع ، بين العِقدات والجَرَع . فقالت الرابعة: ليهبط الغائط الأفيح ، ثم ليظهر فى الملا الصحصح ، بين سديرٍ وأملح ؛ فهناك الذود رِتاعٌ بمُنعرج الأجرع . قال : فقمت إلى جملى فشددت عليه رحله وركبت ، ووالله ما سألتهن مَنْ هُنَّ ولا مِمَّنْ هُنَّ . فلما أدبرت قالت إحداهن : أبْزَح فتىً إن جَدَّ فى طَلَب، فما له غيرهن نَشَب ، وسيثُوب عن كَشَب ، ففزَّع قلبى والله قولُها ؛ فقلت : وكيف هذا؟ وقد خَلَّفت بوادى عرجا عُكامسًا ، فركبت السَّمت الذى وُصِف لى حتى انتهيت إلى الموضع فإذا ذودى رواتع ، فضربت أعجازهن حتى أشرفت على الوادى الذى فيه إبلى، فإذا الرِّعاء تدعو بالويل ، فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : أغارت بهراء على إبلك فأسحفتها ، فأمسيت والله ما لى مال غير الذود فرمى الله نواصيهنَّ بالرَّغس ، وإنِّى اليوم لأكثر بنى القين مالا ، وفى ذلك أقول :

هو الدهر آسٍ تارةً ثم جارح ... سوانِحهُ مبثوتة والبوارح

فبينا الفتى فى ظلِّ نعماء غضَّةٍ ... تُباكره أفياؤه وتُراوِح

إلى أن رمته الحادثات بنكبة ... تضيق به منها الرِّحاب الفسائح

فأصبح نِضوًا لا ينوء كأنما ... بأعظمه مما عراه القوادح

فما خِلتنى من بعد عرج عُكامِس ... أُقَسس أذوادا وهُنَّ روازح

حَدَابِيرُ ما ينهضن إلاَّ تحامُلا ... شواسف عوجٌ أسارتها الجوائح

فيا واثقًا بالدهر كن غير آمن ... لِما تنتضيه الباهظات الفوادح

فلست على أيَّامه بمُحكَّم ... إذا فَغرتْ فاهَا الخُطوبُ الكوالح

مُجيرُك منه الصبرُ إن كنت صابرًا وإلاَّ كما يهوى العدُوُّ المُكاشِح

(١١١) كُثيِّر فى سوق المدينة*

قال هند بن عبدالله : بينما أنا مع أبى بسوق المدينة إذ أقبل كُثير ، فلما رأى أبى عدل إليه وتحدث معه ساعة ، فقال له أبى : هل قلت بعدى شيئًا يا أبا صخر ؟ قال هند : فأقبل علىّ وقال : احفظ هذه الأبيات ، وأنشدنى :

وكُنا سلكنا فى صعود من الهوى فلما توافينا ثَبَتُّ وزلَّت

وكنا عقدنا عُقدة الوصل بيننا فلما تواثقنا شددتُ وحلَّت

فواعجبا للقلب كيف اعترافُه وللنفس لمَّا وُطِّنت كيف ذلَّت

وللعين أسرابٌ إذا ما ذكرتُها وللقلب وسواسٌ إذا العين ملت

وإنّى وتهيامى بعزَّة بعدما تخلَّيْتُ مما بيننا وتخلَّت

لَكَالمرتجِى ظِلَّ الغمامة كُلما تبوَّأ منها للمَقِيل اضمحلَّت

فإن سأل الواشون : فيم هجرتها فقُل : نفس حُرٍّ سُلِّيَتْ فَتَسَلَّت

(١١٢) الحسناوات والخيول*

اجتمع خمسُ جوارٍ من العرب فقُلن : هلمُمن نصف خيل آبائنا . فقالت الأولى: فرس أبى وردة ، وما وردة ! ذاتُ كَفَلٍ مُزحلقٍ[١] ، ومَتنٍ أخلَق[٢] ، وجَوْب

(١١١)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٦٥ ، ٦٦ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن الرياشى عن ابن سلام عن عزيز بن طلحة عن عمه .

(١١٢)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه عن ابن الكلبى عن أمه ، وهذا الحديث هو أصل المقامة الحمدانية عند بديع الزمان الهمذانى والتى تقوم على وصف الخيل فى مجلس سيف الدولة الحمدانى . انظر نص المقامة فى مقامات الهمذانى ، تحقيق محمد عبده ص ١٥٠ وما بعدها .

(١) المملس . (٢) أملس .

أخوَق[٣] ؛ ونفس مَرُوح[٤] وعين طرُوح[٥] ، ورِجْل ضَرُوح[٦] ، ويد سَبُوح ، بُداهتها[٧] أهذاب[٨] وعَقبها[٩] غلاب . وقالت الثانية : فرس أبى اللَّعَّاب ، وما اللَّعَّاب ! غَبْيَةُ سحاب ، واضطرام غاب ؛ مُترصُ[١٠] الأوصال ، أشَمُّ[١١] القَذال[١٢] ، مُلاَحَك[١٣] المَحَال[١٤] ، فارسُه مُجيد ، وصيدُه عَتيد ، إن أقْبَل فظبىٌ مَعَّاج[١٥] ، وإن أدبر فظليم هَدَّاج[١٦] ، وإن أحضر فعِلْجٌ[١٧] هَراج . وقالت الثالثة : فرس أبى خذمة[١٨] ، وما خذَمة! إن أقبَلَت فقناةٌ مقوَّمة ، وإن أدبرت فأثْفيَّة مُلَمْلَمة ، وإن أعرضت فذئبةٌ مُعجرمة[١٩] ؛ أرساغُها مُترصة ، وفُصُوصها مُمعَّصة[٢٠] ، جريها انثِرار[٢١] ، وتقريبُها انكدار . وقالت الرابعة : فرسُ أبى خيْفَق[٢٢] ، وما خيفق ! ذات ناهق[٢٣] مُعْرَق[٢٤] ، وشِدْق أشدق[٢٥] ، وأديم مُلَّق[٢٦] ؛ لها خَلقٌ أشدَف[٢٧] ودَسِيعٌ[٢٨] مُنَفْنف[٢٩] ، وتليلٌ[٣٠] مُسيَّف ، وثَّابة زَلُوج ، خيفانة[٣١] رَهُوج[٣٢] ؛ تقريبُها إهْماج[٣٣] ، وحُضْرها ارتِعاج[٣٤] . وقالت الخامسة : فرسُ أبى هُذْلُول ، وما هُذلُول ! طريدُه مَحْبول ، وطالبُه مَشكُول ؛ رقيق الملاغ[٣٥] ، أمين المَعَاقِم[٣٦] ؛ عَبْلٌ[٣٧] المَحْزِم ، مِخَدٌّ مِرْجَم[٣٨] ؛ مُنِيف الحارك[٣٩] أشَمُّ السَّنابك[٤٠] ؛ مجدُول الخصائل ، سَبِطُ الفلاتل[٤١] ؛ غَوْجٌ[٤٢] التَّليل ، صَلصال الصَّهيل ؛ أديمُه صاف، وسَبِيبُه ضاف ، وعَفْوُه كاف .

---

(٣) واسع . (٤) كثير المرح . (٥) بعيدة موقع النظر . (٦) دَفُوع .
(٧) فجاءتها . (٨) سرعة . (٩) جرى بعد جرى . (١٠) محكم . (١١) مرتفع . (١٢) معقد العذار .
(١٣) مداخل . (١٤) فقار الظهر . (١٥) مسرع . (١٦) متدحرج . (١٧) الحمار الغليظ .
(١٨) الحذم : القطع . (١٩) وثبة كوثبة الظبى . (٢٠) قليلة اللحم . (٢١) انصباب .
(٢٢) سريع . (٢٣) العظم فى خد الفرس . (٢٤) قليل اللحم . (٢٥) واسع الشدق . (٢٦) مملس .
(٢٧) الشخص العظيم . (٢٨) مركب العنق فى الحمار . (٢٩) واسع . (٣٠) العنق .
(٣١) جرادة . (٣٢) تثير الغبار . (٣٣) مبالغة فى العدو . (٣٤) كثرة البرق . (٣٥) الجحافل .
(٣٦) المفاصل . (٣٧) غليظ . (٣٨) يرجم الحجر بالحجر . (٣٩) منسج الفرس . (٤٠) أطراف الحوافر. (٤١) الشعر المجتمع . (٤٢) اللين المعطف .

(١١٣) فراق الأحباب*

وحدثني أبو بكر بن دريد قال : خرجنا من عُمان في سفر لنا فنزلنا في أصل نخلة ، فنظرت فإذا فاختَتَان تزقُوان في فرعها ، فقلت :

أقول لورقاوين في فرع نخلة ... وقد طَفَّل الإمساء أو جَنَحَ العَصْرُ

وقد بَسَطَتْ هاتا لتلك جناحها ... ومال على هاتيك مِنْ هذه النَّحرُ

لِيَهْنِكُما أن لم تُراعا بفُرقة ... وما دَبَّ في تشتيت شملِكُما الدَّهْرُ

فلم أر مثلي قطَّعَ الشوقُ قلبه ... على أنه يحكي قساوتهُ الصَّخْر

(١١٤) حميري يشخص الداء*

قيل لرجل من حِميَر : ما الداء العُضال ؟ قال : هوى مُحْرِض[١] ، وحسدٌ مُمْرِض ؛ وقلبٌ طروب ، ولِسانٌ كذوب ، وسؤالٌ كديد[٢] ومنعٌ ججيد[٣] ؛ ورشدٌ مُطرح، وغنًى مُمتنح[٤] .

(١١٥) الغريب والعاشق*

قال الأصمعي : بينما أنا سائر بناحية بلاد بني عامر ، إذ مررت بحِلةٍ في غائط يطؤُهم الطريق ، وإذا رجل ينشد في ظل خيمة له وهو يقول :

أحقًا عباد الله أن لَستُ ناظرًا ... إلى قرقرى[١] يومًا وأعلامها الغُبر

---

(١١٣)* ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١٣٣ .

(١١٤)* ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١٤٠ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن السكن بن سعيد.

(١) الحرض : الساقط الذي لا يقدر على النهوض . (٢) كديد : متعب .

(٣) جحيد : يابس لا لين فيه . (٤) ممتح : مستعار غير أصيل .

(١١٥)* ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١١٧ ، ١١٨ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعي .

(١) قرقرى : اسم موضع .

كـأنَّ فـؤادى كُـلـمـا مـرّ راكب جنـاح غُـراب رام نـهضًـا إلـى وكـر
إذا ارتـحـلـت نـحـو الـيـمـامـة رفـقـةٌ دعاك الـهوى واهتـاج قلبك للذكر
فـيـا راكب الـوجـنـاء أُبت مُـسـلَّـمـا ولا زِلتَ من ريب الحوادث فى ستر
إذا مـا أتيت الـعـرض[٢] فاهتف بجوّه سقيت على شَحط النوى سَبَلَ القَطر
فـإنَّـك مِـن وادٍ إلـى مُـرجَّـب وإن كـنت لا تُـزدارُ إلا عـلـى عُـفـر

قال : فأذنت[٣] له وكان نَدِى الصوت ، فلما رآنى أومأ إلىَّ فأتيته فقال : أأعجبك ما سمعت ؟ فقلت : إى والله ، فقال : من أهل الحضارة أنت ؟ قلت : نعم ، قال : فممن تكون ؟ قلت : لا حاجة لك فى السؤال عن ذلك ، فقال : أو ما حل الإسلام الضَّغائن وأطفأ الأحقاد ؟ قلت : بلى ، قال : فما يمنعك إذًا ؟ قلت : أنا امرؤ من قيس، فقال : الحبيب القريب من أيهم ؟ قلت : أحد بنى سعد بن قيس ، ثم أحد بنى أعصُر ابن سعد ، فقال : زادك الله قُربا ، ثم وثب فأنزلنى عن حمارى ، وألقى عنه إكافه وقيَّده بقُراب خَيمته ، وقام إلى زند فاقتدح وأوقد نارًا ، وجاء بصيدانة فألقى فيها تمرا وأفرغ عليه سمنا ، ثم لَفَتَه حتى الْتَبَك ، ثم ذَرَّ عليه دقيقا وقرَّبه إلىَّ ،فقلت :إنى إلى غير هذا أحوج ، قال : وما هو ؟ قلت : تُنشدنى ، فقال : أصِب فإنى فاعِل ، فلقمت لُقيمات وقلت : الوعد ، فقال : ونُعمى عينٍ ، ثم أنشدنى :

لـقـد طـرقتْ أمُّ الـخُـشـيـف وإنـهـا إذا صـرع الـقـومُ الـكـرى لَـطَـرُوق
فـيـا كـبـدًا يُـحـمـى عـلـيـهـا وإنـهـا مـخـافـة هـيضـات الـنَّـوى لـخـفُـون
أقـام فـريـقٌ مـن أنـاس يـودهـم بـذات الـغـضـا قـلـبـى وبـان فـريـق
بـحـاجـة مـحـزون يـظـلُّ وقـلـبـه رهـيـنٌ بـبـيضـات الـحـجـال صـديـق

(٢) أذنت له : أى أصغيت له بأذنى . (٣) العرض : دار باليمامة .

تحمَّلْن أن هبت لهن عشية جنوبٌ وأن لاحت لهنَّ بُرُوق

كأن فُضُول الرَّقم حين جعلنها غُديًا على أدم الجمال عُذُوق

وفيهن مِنْ بُخت النساء ربَحْلةٌ تكاد على غُرِّ السحاب تَرُوق

هِجانٌ فأما الدِّعْصُ من أخرياتها فوعثٌ وأما خصرها فدقيق

قال : ففارقته وأنا أشد الناس ظمأ إلى معاودة إنشاده .

(١١٦) صلابة الحماسة .. لا رقة الغزل*

قال أبو حاتم : أتيت أبا عبيدة ومعى شِعر عروة بن الورد فقال لى : ما معك ؟ فقلت : شعر عروة ، فقال : فارغٌ حمل شِعر فقير ليقرأه على فقير ، فقلت له : ما معى غيره ، فأنشدنى أنت ما شئت ، فأنشدنى :

يا رُبَّ ظِلِّ عُقاب[1] قد وَقَيتُ بها مُهرى من الشمس والأبطالُ تجتلدُ

ورُبَّ يوم حمى أرعيت عَفْوته خَبْلى اقتصارًا وأطرافُ القناقِصد[2]

ويوم لهو لأهل الخفض ظلٌّ به لَهْوِى اصطلاء الوغى وناره تقِد

مُشهرًا موقفى والحرب كاشفةٌ عنها القِناع وبحرُ الموت يطَّرِد

ورُبَّ هاجرةٍ تغلى مراجلها مَخَرْتُها بمطايا غارةٍ تَخِد

تجتابُ أودية الأفزاع آمنة كأنها أُسُدٌ تقتادُها أُسُدُ

فإن أمُتْ حتف أنفى لا أمُت كمدا على الطِّعان وقصر العاجز الكَمَدُ

ولم أقل لم أساق الموت شاربهُ فى كأسه والمنايا شُرعٌ وُرُدُ

ثم قال : هذا هو الشعر ! لا ما تعللون به أنفسكم من أشعار الخانيث ! قال أبو بكرى : والشعر لقطرى بن الفجاءة .

(١١٦)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم .

(١) العقاب : الراية . (٢) القصد : القطع .

أحـــاديث
مـن الجنـوب

(١١٧) حكيمان عند ملك حمير*

وحدثنا أبو بكر بن دريد - رحمه الله - قال : كان أبو حاتم يَضَنُّ بهذا الحديث ويقول : ما حدثنى به أبو عبيدة حتى اختلفت إليه مُدة وتحملت عليه بأصدقائه من الثقفيين وكان لهم مُواخيا . قال حدثنا أبو حاتم قال : حدثنى أبو عبيدة قال حدثنى غيرُ واحد من هوازن من أولى العلم وبعضهم قد أدرك أبوه الجاهلية أو جدُّه ، قال : اجتمع عامر بن الظَّرب العدوانى ، وحمة بن رافع الدوس - ويزعم النساب أن ليلى بنت الظرب أمُّ دوس بن عدنان وزينب بنت الظرب أمُّ ثقيف وهو قيسى - قال : اجتمع عامر ولحُمة عند ملك حمير ، فقال : تساءلا حتى أسمع ما تقولان ، قال عامر لحممة : أين تُحِبُّ أن تكون أياديك ؟ قال : عند ذى الرثية العديم[١] ، وذى الخلَّة[٢] الكريم ، والمُعسِر الغريم ، والمُستضعف الهَضيم . قال : من أحقُّ الناس بالمنع ؟ قال : الحريص الكاند[٣] ، والمُستميد[٤] الحاسد ، والملْحِفُ الواجد ، قال : فمن أجدر الناس بالصنيعة ؟ قال : من إذا أُعطى شكر ، وإذا مُنع عَذَر ، وإذا مُوطل صَبَر ، وإذا قَدُم العهد ذكر . قال من أكرم الناس عشرة ؟ . من إن قرب منح ، وإن بعد مدح وإن ظُلم صفح ، وإن ضُويق سمح . قال : من ألأَمُ الناس ؟ قال : من إذا سأل خضع ، وإذا سُئل منع ، وإذا ملك كنع[٥] ، ظاهره جشع ، وباطنه طبع[٦] . قال : فمن أحلم الناس ؟ قال : من عفا إذا قدر ، وأجمل إذا انتصر ، ولم تُطغِه عزَّةُ الظُّفر . قال : فمن أحزم الناس ؟ قال : من أخذ رقاب الأمور بيديه ، وجعل العواقب نُصب عينيه ، ونبذ التَّهيُّب دَبْرَ أُذنيه[٧] . قال : فمن أخرَقُ الناس ؟ قال : من ركب الخِطار ، واعتسف[٨] العِثار ، وأسرع فى البدار . قال : فمن أجود الناس ؟ قال : من بذل المجهود ، ولم يأس على

(١١٧)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٧٦، ٢٧٧ ؛ مسندًا إلى ابن دريد ، ومتبوعًا بتوثيق وتأكيد للرواية ، وقد تركنا السند فيه كما هو ؛ لتفرده .

(١) الرثية : المرض أو العجز . (٢) الخلة : الحاجة . (٣) الكاند : الذى يكفر بالنعمة . (٤) المستميد : طالب العطاء . (٥) كنع : تقبض وابتعد وهو كناية البخل . (٦) الطبع : الدنس . (٧) جعل الشىء دبر أذنيه : أى لم يلتفت إليه . (٨) الاعتساف : الذهاب على غير هدى .

المعهود . قال : فمن أبْلَغُ الناس ؟ قال : من جلى المعنى المزيز[٩] ، باللفظ الوجيز ، وطبَّق المِفصل قبل التَّحزيز . قال : فمن أشقى الناس ؟ قال : من حَسَدَ على النعم ، وتسخَّط على القِسَم ، واستشعر النَّدم ، على فوت ما لم يُحتم. قال : من أغنى الناس ؟ قال : من استشعر اليأس ، وأبدى التجمُّل للناس؛ واستكثر قليل النعم ، ولم يسخط على القِسَم . قال : فمن أحكم الناس ؟ قال: من صمت فاذكر ، ونظر فاعتبر ، ووُعَظ فازدجر . قال : من أجهلُ الناس ؟ قال : من رأى الخُرق مغنما ، والتجاوز مغرما .

(١١٨) قَيْل يُصلح بين شريفين*

كان مَرثد الخير بن ينكف بن نوف بن معديكرب بن مُضحِي قَيلا ، وكان حِدبًا على عشيرته مُحبًّا لصلاحهم ، وكان سُبيع بن الحارث أخو عَلَس - وعلس هو ذوجدان- وميثم بن مثوب بن ذى رُعين تنازعا الشَّرف حتى تشاحنا وخيف أن يقع بين حييهما شر فيتفانى جِذماهما[١] ؛ فبعث إليهما مَرثد فأحضرهما ليُصلح بينهما ، فقال لهما : إن التخبط[٢] وامتطاء الهجاج ، واستحقاب اللجاج ، سيقِفُكُما على شفا هُوةٍ فى تورُّدها بوار الأصيلة ، وانقطاع الوسيلة ، فتلافيا أمركما قبل انتكاث العهد ، وانحلال العقد ، وتشتت الألفة ، وتباين السُّهمة ، وأنتما فى فُسحة رافِهة ، وقدم واطِدة، والمودة مُثرية، والبُقيا مُعرضة ؛ فقد عرفتم أنباء من كان قبلكم من العرب ممن عصى النصيح ، وخالف الرشيد ، وأصغى إلى التقاطع ؛ ورأيتم ما آلت إليه عواقب سوء سعيهم ، وكيف كان صيور أمورهم ؛ فتلافوا القرحة قبل تفاقم النَّأى واستفحال الداء وإعواز الدواء ، فإنه إذا سُفكت الدماء استحكمت الشحناء ، وإذا استحكمت الشحناء

---

(٩) المزيز : الخافى البعيد المنال.

(١١٨)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٩٢ ، ٩٣ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن السكن عن محمد ابن عباد عن ابن الكلبى عن أبيه .

(١) الجذم : الفرع . (٢) التخبط : ركوب الرجل رأسه فى الشر .

تقضبت عُرى الإبقاء وشَمِل البلاء ، فقال سُبيع : أيُّها الملك ، إن عداوة بنى العلات لا تُبرئها الأُساة ، ولا تشفيها الرُّقاة ، ولا تستقِلُّ بها الكُفاة ؛ والحسد الكامن ، هو الداء الباطن ؛ وقد علم بنو أبينا هؤلاء أنَّا لهم ردءٌ إذا رَهِبوا ، وغيثٌ إذا أجدبوا ، وعضُدٌ إذا حاربوا ، ومفزع إذا نُكبوا ؛ وإنَّا وإياهم كما قال الأول :

إذا مـا عـلـوا قـالـوا أبُـونـا وأُمُّـنـا ... ولـيس لـهـم عـالـيـن أُمٌّ ولا أب

فقال ميثم : أيها الملك ، إن من نَفِسَ على ابن أبيه الزَعامة ، وجدبه فى المقامة، واستكثر له قليل الكرامة ، كان قرفا بالملامة ، ومؤنبًا على ترك الاستقامة ؛ وإنَّا والله ما نعتدُّ لهم بيد إلا وقد نالهم منا كِفَاؤها ، ولا نذكُر لهم حسنة إلا وقد تطلَّع منا إليهم جزاؤها ، ولا يتفيأ لهم علينا ظِلُّ نعمة إلا وقد قُوبلوا بشرواها ، ونحن بنو فحل مُقرم لم تقعُد بنا الأمهات ولا بهم ، ولم تترعنا أعراق السُّوء ولا إياهم ؛ فعلام مطُّ الخُدود وخرز العُيون ، والجَخِيفُ والتصعُّر ، والبأْوُ والتكبر ؟ ألِكثرة عدد ، أم لفضل جلد ، أم لطول مُعتقد ؟ وإنَّا وإياهم لكما قال الأول :

لاهِ(٣) ابنُ عمِّك لا أفضلت فى حسبٍ ... عـنِّـى ولا أنت ديَّـانـى فـتـخـزونـى

ومقاطع الأمور ثلاثة : حربٌ مُبيرة ، أو سلمٌ قريرة ، أو مُداجاةٌ وغَفيرة ؛ فقال الملك : لا تُنشِطوا عُقُل الشوارد ، ولا تُلقحوا العُون القواعد ؛ ولا تُؤرِّثوا نيران الأحقاد ففيها المتلفة المستأصلة ، والجائحة والأليلة ؛ وعَفَّوا بالحلم أبلاد الكلم ، وأنيبوا إلى السبيل الأرشد والمنهج الأقصد ، فإن الحرب تُقبل بزبرج الغرور ، وتُدبر بالويل والثبُور، ثم قام الملك وأنشد :

ألا هـل أتـى الأقـوام بَـذلـى نصيحـة ... حـبـوت بـهـا مـنـى سُـبـيـعًـا ومـيـثـمـا

---

(٣) لاه : أراد لله ابن عمك فحذفت لام الجر والتى بعدها .

وقلت اعلما أن التدابر غادرت | عواقبه للذل والقُلِّ جُرهما
فلا تقدحا زند العُقوق وأبقيا | على العزة القعساء أن تتهدما
ولا تجنيا حربًا تجُرُّ عليكما | عواقبُها يومًا من الشَّرِّ أشأما
فإن جُناة الحرب للحين عُرضةٌ | تفوِّقُهم منها الذُّعاف المقشَّما
حذار فلا استنبثُوها فإنها | تُغادر ذا الأنف الأشم مُكشَّما

فقالا : لا أيها الملك ، بل نقبل نُصحك ، ونُطيع أمرك ، ونُطفئ النائرة ، ونَحُلُّ الضغائن ، ونثوب إلى السِّلم .

(١١٩) حميرى مع ولديه*

كان لرجل من مقاول حمير ابنان يقال لأحدهما : عمرو وللآخر : ربيعة ، وكانا قد برعا فى الأدب والعلم ، فلما بلغ الشيخ أقصى عمره وأشفى على الفناء ، دعاهما ليبلُو عقولهما ، ويعرف مبلغ علمهما ؛ فلما حضرا قال لعمرو - وكان الأكبر - : أخبرنى عن أحب الرجال إليك ، وأكرمهم عليك ، قال : السيِّد الباسل الذُّوَّاد ، الصادر الوارد. قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال : ما أحسن ما وصف ! وغيره أحب إلى منه ، قال : ومن يكون بعد هذا ؟ قال : السيد الكريم ، المانع للحريم ، المِفْصال الحليم ، القَمْقَام الزِّعيم ، الذى إن همَّ فعل ، وإن سُئل بذل . قال : أخبرنى يا عمرو بأبغض الرجال إليك ، قال : البَرَم اللئيم ، المستخذى للخصيم ، المبطان النهيم ، العيىُّ البكيم ؛ الذى إن سُئل منع ، وإن هُدد خضع ، وإن طَلب جشع[١] . قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال: غيره أبغض إلىَّ منه ، قال : ومن هو ؟ قال : النَّؤُوم الكذوب ، الفاحش الغضوب، الرَّغيب عند الطعام ، الجبان عند الصدام . قال : أخبرنى يا عمرو ، أىُّ النساء أحب

---

(١١٩)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٥٢، ١٥٤ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن الأشنداندانى عن التوزى عن أبى عبيدة عن أبى عمر بن العلاء .

(١) جشع : الجشع أسوأ الحرص .

إليك ؟ قال : الهِرْكَوْلة[٢] اللَّفَّاء[٣] ، المَمْكُورة[٤] الجيداء ؛ التى يَشفى السقيم كلامُها، ويُبرى الوَصِبِ إلمامُها ؛ التى إن أحسَنْتَ إليها شكرت ، وإن أسأت إليها صبرت ، وإن استعتبتها أعتبت ؛ الفاترة الطَّرف ، الطفلة الكف ، العميمة الرِّدف . قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال : نَعَتَ فأحسن ! وغيرها أحب إلىَّ منها ، قال : ومن هى ؟ قال: الفَتَّانة العينين ، الأسيلة الخدين ، الكاعب الثديين ، الرداح[٥] الوركين ؛ الشاكرة للقليل ، المساعدة للحليل ؛ الرخيمة[٦] الكلام ، الجماء[٧] العظام ، الكريمة الأخوال والأعمام، العذبة اللَّثام[٨] . قال : فأى النساء إليك أبغض يا عمرو؟ قال : القتاتة[٩] الكذوب ، الظاهرة العيوب ، الطَّوَّافة الهَبُوب[١٠] ، العابسة القطُوب ، السَّبَّابة الوثُوب ؛ التى إن ائتمنها زوجها خانته ، وإن لان لها أهانته ، وإن أرضاها أغضبته ، وإن أطاعها عصته . قال: ما تقول يا ربيعة ؟ قال : بئس والله المرأة ذَكَر ! وغيرُها أبغض إلىَّ منها ، قال : وأيتهن التى هى أبغض إليك من هذه ؟ قال : السَّليطة اللسان ، المؤذية للجيران ، الناطقة بالبهتان ؛ التى وجهها عابس ، وزوجها من خيرها آيس ؛ التى إن عاتبها زوجها وترته ، وإن ناطقها انتهرته . قال ربيعة : وغيرُها أبغض إلىَّ منها ، قال : ومن هى ؟ قال: التى شقى صاحبُها ، وخزى خاطبُها ، وافتضح أقاربها . قال : ومن صاحبها ؟ قال : مِثلُها فى خصالها كُلِّها ، لا تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها . قال : فصِفه لى ؟ قال : الكَفُور غير الشكور ، اللئيم الفجُور ، العبُوس الكالح ، الحرُون الجانح ؛ الراضى بالهوان؛ المختال المنَّان ، الضعيف الجنان ، الجعد البنان ، القؤول غير العقول ، المَلُول غير الوصول ، الذى لا يرعُ عن المحارم ، ولا يرتدع عن المظالم . قال : أخبرنى يا عمرو ، أى الخيل أحبُّ إليك عند الشدائد ، إذا التقى الأقران للتجالد ؟

---

(٢) الهركولة : الممتلئة . (٣) اللفاء : الملتفة الجسم . (٤) الممكورة: المطوية الخلق . (٥) الرداح : الثقيلة العجيزة الضخمة الوركين . (٦) الرخيمة : البينة الكلام . (٧) الجماء : لا حجم لعظامها . (٨) اللثام : موضع اللثم . (٩) القتاتة : النمامة . (١٠) الهبوب : الكثيرة الانتباه .

قال : الجواد الأنيث ، الحِصان[١١] العتيق ، الكفيت[١٢] العريق ، الشديد الوثيق ، الذى يفوت إذا هرب ، ويلحق إذا طلب . قال : نِعْمَ الفرس والله نَعَتَّ ! قال : فما تقول يا ربيعة ؟ قال : غيره أحب إلىَّ منه ، قال : وما هو ؟ قال الحِصان الجواد ، السلسُ القياد، الشهم الفؤاد ، الصبور إذا سرى ، السابق إذا جرى . قال : فأى الخيل أبغض إليك يا عمرو ؟ قال : الجموح الطمُوح ، النكول[١٣] الأنوح[١٤] ؛ الصَّؤول الضعيف ، الملُول العنيف ؛ الذى إن جاريته سبقته ، وإن طلبته أدركته ، قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال : غيره أبغض إلىَّ منه ، قال : وما هو ؟ قال : البطىء الثقيل ، الحَرُون الكليل ؛ الذى إن ضربته قمص ، وإن ذنوت منه شمس ؛ يدركه الطالب ، ويفوته الهارب ، ويقطع بالصاحب . قال ربيعة : وغيره أبغض إلىَّ منه ، قال : وما هو ؟ قال : الجَمُوح الخبوط، الرَّكُوض الخَرُوط ، الشَّمُوس الضَّرُوط ، القَطُوف فى الصمود والهبوط ؛ الذى لا يُسلم الصاحب ، ولا ينجو من الطالب . قال : أخبرنى يا عمرو ، أى العيش ألذُّ ؟ قال : عيشٌ فى كرامة ، ونعيم وسلامة ، واغتباق مُدامة . قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال نِعْمَ العيشُ والله وَصَفَ ! وغيره أحب إلىَّ منه ، قال : وما هو ؟ قال : عيش فى أمن ونعيم ، وعزّ وغنى عميم ، فى ظل نجاح ، وسلامة مساء وصباح ؛ وغيره أحب إلىَّ منه ، قال : وما هو ؟ قال : غنى دائم ، وعيش سالم ، وظل ناعم . قال : فما أحب السيوف إليك يا عمرو ؟ قال : الصَّقِيل الحُسام ، الباتر المِجدام[١٥] ، الماضى السِّطام[١٦] ؛ المُرهف الصَّمصام ؛ الذى إذا هززته لم يَكْبُ ، وإن ضربت به لم يَنْبُ . قال : وما تقول يا ربيعة؟ قال : نعم السيف نعت ! وغيره أحب إلىَّ ، قال : وما هو ؟ قال : الحسام القاذع ، ذو الرَّونق اللامع ، الظمآن الجائع ، الذى إذا هززته هَتكَ ، وإذا ضربت به بَتكَ . قال : فما أبغض السيوف إليك يا عمرو ؟ قال : الفُطار[١٧] الكَهام ، الذى إن

(١١) الحصان : الذكر من الخيل . (١٢) الكفيت : السريع.
(١٣) النكول : الذى ينكل عن قرنه . (١٤) الأنوح : الكثير الزفير .
(١٥) المجدام : القاطع .
(١٦) السطام : حد السيف . (١٧) الفطار : الذى لا يقطع .

ضُرب به لم يقطع ، وإن ذُبح به لم ينخع[١٨] . قال : فما تقول يا ربيعة ؟ قال : بئس السيفُ والله ذَكَر ! وغيره أبغض إلىَّ منه ، قال : وما هو ؟ قال : الطَّبعَ[١٩] الدَّدان[٢٠] ، المِعضد[٢١] المُهان . قال : فأخبرنى يا عمرو ، أى الرماح أحب إليك عند المِراس ، إذا اعتكر الباس ، واشتجر الدعاس[٢٢] ؟ قال : أحبها إلىَّ المارن المُثقف ، المُقوم المُخطَّف ؛ الذى إذا هزته لم ينعطف ، وإذا طعنت به لم ينقصف . قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال : نعم الرمح نعت ! وغيره أحب إلىَّ منه ، قال : وماهو ؟ الذابل العسال[٢٣] ، المُقوم النسال[٢٤] ؛ الماضى إذا هزته، النافذ إذا همزته . قال : فأخبرنى يا عمرو عن أبغض الرماح إليك ، قال : الأعصل[٢٥] عند الطعان ، المُتلَّم السِّنان ؛ الذى إذا هزته انعطف ، وإذا طعنت به انقصف . قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال : بئس الرمح ذَكَرَ ! وغيره أبغض إلىَّ منه ، قال: وما هو ؟ قال: الضعيف المَهَزَ ، اليابس الكزِّ ، الذى إذا أكرهته انحطم ، وإذا طعنت به انقصم . قال: انصرفا الآن طاب لى الموت .

(١٢٠) شاعر عند ملك حمير*

وفد علبة بن مسهر الحارثى والمُنتشر أحد فوارس الأرباع الذين يقول لهم الأجدع الهمذانى :

وسألتنى بركائبى ورِحالها ... ونسيت قتل فوارس الأرباع

إلى ذى فائش الملك الحميرى ، وكان ذو فائش يحب اصطناع سادات العرب ويقرب مجالسهم ويقضى حوائجهم ، وكان علبة شاعرا حدُثًا[١] ظريفا ؛ فقال له الملك :

(١٨) لم يبلغ النخاع . (١٩) الطبع : الصدأ . (٢٠) الددان : الذى لا يقطع . (٢١) المعضد : القصير يقطع به الأشجار . (٢٢) الدعاس : الطعان . (٢٣) العسال : الشديد الاضطراب إذا هزته . (٢٤) النسال : قريب من العسال . (٢٥) الأعصل : المعوج .

(١٢٠)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٣ ، ٢٤ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه عن الكلبى .

(١) الحدث : الحسن الحديث .

يا علبة ، ألا تُحدثنى عن أبيك وأعمامك وتصف لى أحوالهم ؟ فقال : بلى أيها الملك، وهم أربعة : زيادٌ ومالكٌ وعمرو ومسهر . فأما زياد ، فما استل سيفه مُذ ملكت يده قائمه إلا أغمض فى جُثمان[2] بطل ، أو شوامت[3] جمل ؛ وكان إذا حملق[4] النجيد[5] ، وصلصل الحديد ، وبلغت النفسُ الوريد ، اعتصمت بحقويه الأبطال ، اعتصام الوُعُول بذُرى القلال ، فَذاد عنهم الأبطال ، ذياد القُرُوم عن الأشوال . وأما مالك ، فكان عِصمة الهوالك ، إذا شُبهت الأعجاز بالحوارك ؛ يفرى الرعيل ، فرى الأديم بالإزميل، ويخبطُ البُهم ، خبط الذئب نِقاد الغنم . أما عمرٌ ، فكان إذا عَصبت الأفواه ، وذبلت الشفاه ، وتفادت الكُمه ؛ خاض ظلامِ العجاج ، وأطفأ نار الهياج ، وألوى بالأعراج ، وأردف كل طفلة مغناج ، ذات بدن رجراج ؛ ثم قال لأصحابه : عليكم النّهاب ، والأموال الرّغاب ؛ عطاء لا ضنين شكس ، ولا حقلّدٍ عَكِس . وأما مُسْهِر ، فكان الذُّعاف المُمقِر ، والليث المُخدَر ، يُحيى الحرب ويُسعر ، ويبيح النهب فيكثر ، ولا يحتجن ولا يستأثر ؛ فقال له الملك : لله أبوك ! مِثلُك فَلْيَصِف أسرته .

---

(٢) جثمان بطل : أى شخص . (٣) أى قوائمه ، يريد أنه يعقر الإبل للضيفان . (٤) حملق : انقلب باطن جفنه . (٥) النجيد : البطل .

أحاديث
من التاريخ

(١٢١) يتشاتمان عند معاوية*

تلاحي الوليد بن عتبة وعمرو بن سعيد بن العاص فى مجلس معاوية - رحمه الله - فتكلم الوليد فقال له عمرو : كذبت وكذبت ، فقال له الوليد : اسكت يا طليق اللسان منزوع الحياء ، ويا ألأَم أهل بيته ، فلعمرى لقد بلغ بك البخل الغاية الشائنة المُذله لأهلها ، فساءت خلائقك لبخلك ، فمنعت الحقوق ، ولزمت العُقوق ، فأنت غير مَشِيد البُنيان ، ولا رفيع المكان فقال له عمرو : والله إن قريشا لتعلم أنى غير حُلو المذاقة ، ولا لذيذ الملاكة ، وإنى لكالشجا فى الحلق ؛ ولقد علمت أنى ساكن الليل داهية النهار ، لا أتبع الأفياء ، ولا أنتمى إلى غير أبى ، ولا يُجهل حسبى ، حامٍ لحقائق الذِّمار ، غير هيُوب عند الوعيد ، ولا خائف رعديد ، فلِم تُعيِّر بالبخل وقد جُبلت عليه، فلعمرى لقد أورثتك الضرورة لُؤما ، والبخل مُحشا ، فقطعت رحِمك ، وجُرت فى قضينك ، وأضعت حق من وليت أمره ، فلست تُرجى للعظائم ، ولا تُعرف بالمكارم ، ولا تستعف عن المحارم ، لم تقدر على التوقير ، ولم يُحكم منك التدبير فأفحِم الوليد ، فقال معاوية- وساءه ذلك -: كفًّا لا أبا لكما ، لا يرتفع بكما القول إلى ما لا نريد ، ثم أنشأ عمرو يقول :

وليدُ إذا ما كنت فى القوم جالسًا   فكن ساكنا منك الوقار على بال

---

(١٢١)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٣٧، ٣٨ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن العتبى عن أبيه عن رجل من أهل الشام عن الأبراشى عن الكلبى .

وهذا الحديث وأمثاله ربما يكون هو الذى أوحى لبديع الزمان بصياغة مقامات الشتائم المتبادلة ، مثل المقامة الدينارية التى تقوم على رصد دينار جائزة للفائز من اثنين يتشاتمان : «قلت : ليشتم كل منكما صاحبه ، فمن غلب سلب ، ومن عزبزّ» والتي يتبارى فيها رجلان فى الشتائم حتى يحار عيسى بن هشام لمن يعطى الجائزة حين يقول فى نهاية المقامة : «فو الله ما علمت أى الرجلين أوتر ، وما منهما إلا بديع الكلام عجيب المقام ألد الخصام ، فتركتهما والدينار مشاع بينهما ، وانصرفت وما أدرى ما صنع الدهر بهما».

«انظر المقامة الدينارية ص ٢١٦ وما بعدها ، فى مقامات أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى ، تحقيق الشيخ محمد عبده» .

ولا يبدُرن الدهر من فيك منطقٌ بلا نظرٍ قد كان منك وإغفال

(١٢٢) معاوية يتماسك*

مرض معاوية رحمه الله ، فأرجف به مصقلةُ بن هبيرة فحمله زيادٌ إلى معاوية وكتب إليه : إن مصقلة بن هبيرة يجتمع إليه مُراقٌ من أهل العراق يُرجفون بأمير المؤمنين ، وقد حملتُه إلى أمير المؤمنين ليرى فيه رأيه ، فوصل مصقلةُ ومعاويةُ قد برأ، فلما دخل عليه أخذ بيده ، وقال : يا مصقلة ،

أبقى الحوادث من خليـ ـلك مثل جندلة المراجم

قد رامني الأعداء قبـ ـلك فامتنعت عن المظالم

صُلبًا إذا خار الرِّجا ل أبل مُمتنع الشكائم

ثم جذبه فسقط ، فقال مصقلة : يا أمير المؤمنين ، قد أبقى الله منك بطشًا وحلمًا راجحا وكلأ ومرعىً لوليك ، وسُمًّا ناقعًا لعدوك ، ولقد كانت الجاهلية ، فكان أبوك سيدا وأصبح المسلمون اليوم وأنت أميرهم . فوصله معاوية ورده . فسئل عن معاوية ، فقال: زعمتم أنه كبر وضعف ، والله لقد جبذني جبذة كاد يكسر مني عضوًا، وغمز يدي غمزة كاد يحطمها .

(١٢٣) أريحية معاوية*

قال أبو جهم بن حذيفة لمعاوية : نحن عندك يا أمير المؤمنين كما قال عبد المسيح لابن عبد كُلال :

---

(١٢٢)* ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٣١١، ٣١٢ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن العتبي .

(١٢٣)* ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٢٣٧ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن العكلي عن أحمد بن محمد الحزني .

نـمـيـل عـلـى جـوانـبـه كـأنّـا نـمـيـل إذا نـمـيـل عـلـى أبـيـنـا
نـقـلـبـه لـنـخـبـر عـالـتـيـه فـنـخـبـر مـنـهـمـا كـرجـا ولـيـنـا

فأمر له بمائة ألف .

(١٢٤) وصف علىّ فى مجلس معاوية*

قال معاوية لِضرار الصُّدائى : يا ضرار ، صف لى عليًّا رضى الله عنه ، قال : أعفنى يا أمير المؤمنين ، قال : لتصفنه ، قال : أما إذ لابُدَّ من وصفه ، فكان والله بعيد المدى ، شديد القُوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يُقلِّب كفه ، ويخاطب نفسه ؛ يُعجبه من اللباس ما قَصُر ، ومن الطعام ما خَشُن ؛ كان فينا كأحدنا ، يُجيبنا إذا سألناه ويُنبئنا إذا استنبأناه؛ ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نُكلّمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ؛ يُعظم أهل الدين ، ويحبُّ المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد مثل فى محرابه قابضًا على لحيته يتململ تململُ السليم ، ويبكى بكاء الحزين ؛ ويقول : يا دنيا ، غُرى غيرى ، أَلى تعرضت ، أم إلىَّ تسوَّقت ، هيهات هيهات ! قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها ، فعُمرك قصير ، وخَطرُك حقير ؛ آه من قلة الزاد ، وبُعد السفر ، ووحشة الطريق ! فبكى معاوية رحمه الله وقال : رحم الله أبا الحسن ، فلقد كان كذلك ، فكيف حزُنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذُبح واحدُها فى حجرها .

---

(١٢٤)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٤٧ ؛ مسندًا إلى أبى على القالى عن ابن دريد عن العكلى عن الحرمازى عن رجل من همذان .

(١٢٥) معاوية يسأل عن قبائل العرب*

سأل معاوية – رحمه الله – بعد الاستقامة ، عبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان ، وكان عبد الحجر وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فسماه عبد الله ، فقال له : كيف عِلْمُك بقومك ؟ قال : كعلمى بنفسى ، قال : ما تقول فى مُراد ؟ قال : مُدرِكو الأوتار ، وحماة الذمار ، ومُحرزو الخطار . قال : فما تقول فى النخع ؟ قال : مانعو السرب[١] ، ومُسعِرو الحرب ، وكاشفو الكرب . قال : وما تقول فى بنى الحارث ابن كعب ؟ قال : فرَّاجو اللِّكاك[٢] ، وفرسان العراك ، ولِزاز الضِّحاك[٣] ؛ تراك تراك . قال : فما تقول فى سَعد العشيرة ؟ قال : مانعو الضيم ، وبانو الريم[٤] ، وشافو الغيم[٥] . قال : ما تقول فى جُعفى ؟ قال : فُرسان الصباح ، ومعلمو الرِّماح ، ومبارزو الرياح . قال: ما تقول فى جنب ؟ قال : كُفاةٌ يمنعون عن الحريم ، ويَفْرُجون عن الكظيم[٦] . قال : فما تقول فى صُداء ؟ قال : سِمام الأعداء ، ومساعير الهيجاء . قال : فما تقول فى رَهاء ؟ قال : يُنهنهون عادية الفوارس ، ويردُون الموت ورد الخوامس ، قال : أنت أعلم بقومك .

(١٢٦) معاوية : من هم الناس؟*

قال معاوية لصعصعة بن صوحان : صف لى الناس ، فقال : خُلِق الناس أخيافًا: فطائفة للعبادة ، وطائفة للتجارة ؛ وطائفة خُطباء ؛ وطائفة للبأس والنجدة ؛ ورجرجة فيما بين ذلك ، يُكدرون الماء ويُغلون السعر ، ويضيقون الطريق .

---

(١٢٥)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٥٩ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن السكن عن محمد بن عباد عن العباسى .

(١) السرب : الإبل وما رعى من المال . (٢) اللكاك : الزحام . (٣) الضحاك : الزحام . (٤) الريم : الدرجة . (٥) الغيم : العطش . (٦) الكظيم : المكظوم الذى رد نفسه إلى جوفه .

(١٢٦)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٥٧ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى عثمان عن التوزى عن أبى عبيدة .

(١٢٧) معاوية : ما صفات السادة؟*

قال معاوية لعرابة بن أوس بن حارثة الأنصارى : بأى شىء سُدْتَ قومك يا عرابة ؟ قال : أخبرك يا معاوية بأنى كنت لهم كما كان حاتم لقومه ، قال : وكيف كان؟ فأنشده :

وأصبحت فى أمر العشيرة كلها ... كذى الحِلْم يُرضى ما يقول ويُعرف
وذاك لأنى لا أعادى سراتَهُم ... ولا عن أخى ضرائهم أتنكّف
وإنى لأُعطى سائلى ولربما ... أُكلَّف ما لا أستطيع فأَكْلَف
وإنى لمذموم إذا قيل حاتم ... نبا نَبْوةً إن الكريم يُعنَّف

والله إنى لأعفو عن سفيههم ، وأحلُم عن جاهلهم ، وأسعى فى حوائجهم ، وأعطى سائلهم ، فمن فعل فِعلى فهو مثلى ، ومن فعل أحسن من فعلى فهو أفضل منى، ومن قصَّر عن فعلى فأنا خير منه ؛ فقال معاوية : لقد صدق الشماخ حيث يقول فيك :

رأيت عَرابة الأوسى يسمو ... إلى الخيرات مُنقطع القرين
إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجد ... تَلَقَّاها عرابة باليمين

(١٢٨) فى مجلس معاوية*

دخل الخِيار بن أوفى النُّهدى على معاوية فقال له : يا خيار ، كيف تجدك وما صنع بك الدهر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، صدع الدهر قناتى ، وأثكلنى لدَاتى ،

---

(١٢٧)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٧٤ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن الرياشي عن العتبى عن رجل من الأنصار .

(١٢٨)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٩٢ ؛ مسندًا إلى أبى بكر عن العكلى عن أبى خالد عن الهيثم بن عدى .

وأوهن عِمادى ، وشيَّب سوادى ، وأسرع فى تِلادى ؛ ولقد عِشت زمنًا أُصْبِى الكعاب، وأَسُرُّ الأصحاب ، وأجيد الضِّراب ؛ فبان ذلك عنّى ، ودنا الموتُ منّى ، وأنشأ يقول :

غَبَرْتُ زمانًا يرهب القِرنُ جانبى ... كأنى شتِيمٌ[1] باسلُ القلب خادر[2]

يخاف عدُوى صولتى ويهابنى ... ويُكرِمنى قِرنى وجارى المجاور

وتُصبى الكعابَ لِمَّتى[3] وشمائلى ... كأنى غُصنٌ ناعم النَّبت ناضر

فبان شبابى واعترتنى رَثْيةٌ[4] ... كأنى قناةٌ أطَّرتها المَآطر

أَدِبُّ إذا رُمت القيام كأننى ... لدى المشى قَرْم قَيْدُه متقاصر

وقَصْرُ الفتى شيبٌ وموتٌ كلاهما ... له سائق يسعى بذاك وناظر

وكيف يلذُّ العيش من ليس زائلا ... رَهِين أمورٍ ليس فيها مصادر

فقال معاوية : أحسنت القول ! واعلم أن لها مصادر فنسأل الله أن يجعلنا من الصادرين بخير ، فقد أوردنا أنفسنا موارد نرغب إلى الله أن يُصدِرَنا عنها وهو راض .

(١٢٩) معاوية يجلد أحد ولاته

ولَّى معاوية روح بن زنباع فعتب عليه فى جناية فكتب إليه بالقُدُوم . فلما قِدم أمر بضربه بالسياط فلما أُقيم ليُضرب ، قال : نَشَدتُكَ الله يا أمير المؤمنين ، أن تهدم منى رُكنا أنت بنيته ، أو أن تضع منى خسيسة أنت رفعتها ، أو تُشمِت بى عدوا أنت وَقَمْتَه[1] ، وأسالك بالله إلاَّ أتى حِلمُك وعفوك دون إفساد صنائعك ، فقال معاوية : إذا الله سنَّى عقد أمرٍ تيسَّر ، خلُّوا سبيله .

(١) الشتيم : الأسد العابس . (٢) الخادر : الأسد المقيم فى خدره . (٣) اللمة : الشعر المجاور شحمة الأذن . (٤) الرثية : الضعف .

(١٢٩)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٥٥ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن العتبى عن أبيه عن جده .

(١) وقمته : قهرته .

(١٣٠) آخر خطبة لمعاوية*

كان آخر خُطبة خطبها معاوية - رحمه الله - أن صَعِد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قبض على لحيته وقال : أيُّها الناس ، إنى من زَرْع قد اسْتَحْصَدَ ، وقد طالت عليكم إمرتى حتى مللِتكم ومللِتُمونى ، وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقى ، وإنه لا يأتيكم بعدى إلا من هو شرٌّ منّى ، كما لم يأتكم قبلى إلا من كان خيرًا منى ، وإنه من أحبَّ لقاء الله أحب الله لِقاءه ، اللهم إنى قد أحببتُ لقاءك فأحبب لقائى . ثم نزل فما صعد المنبر حتى مات .

(١٣١) معاوية يطلب البيعة ليزيد*

لما عقد البيعة معاوية - رحمه الله - لابنه يزيد قام الناس يخطبون ، فقال معاوية لعمرو بن سعيد : قم يا أبا أُميَّة ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإن يزيد ابن معاوية أملٌ تأملونه ، وأجلٌ تأمنونه ؛ إن استضفتم إلى حلمه ، وسعكم ، وإن احتجتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن افتقرتم إلى ذات يده أغناكم ، جذعٌ قارحٌ سُوبِقَ فَسَبَق، ومُوجد فَمَجَد ، وقُورع ففاز سهمه ، فهو خَلَف أمير المؤمنين ولا خلف منه . فقال معاوية : أوسعت يا أبا أمية فاجلس .

(١٣٢) نصيحة زياد لعماله*

كان زياد إذا ولَّى رجلاً عملاً قال له : خذ عهدك وسِر إلى عملك ، واعلم أنك مصروف رأس سَنَتِك ، وأنك تصير إلى أربع خلال فاختر لنفسك : إنا إن وجدناك أمينًا

---

(١٣٠)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٣١١ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن العتبى.

(١٣١)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٧١ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن العتبى .

(١٣٢)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٨٠ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة عن يونس .

ضعيفًا استبدلنا بك لضعفك وسلَّمتك من معرتنا أمانتك . وإن وجدناك قويًّا خائنا استهنا بقوتك ، وأحسنا على خيانتك أدبك ، وأوجعنا ظهرك وثقلنا غُرمك . وإن جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين ، وإن وجدناك أمينًا قويًّا زدنا فى عملك ورفعنا ذكرك ، وكثرنا مالك وأوطأنا عَقِبك .

(١٣٣) حميرى يبايع يزيد*

أقام معاوية – رحمه الله – الخُطباء لبيعة يزيد ، فقامت المعدِّيّة فشقَّقوا الكلام. ثم قام رجل من حِمير فقال : لسنا إلى رِعاء هذه الجمال ، عليهم تشقيق المقال ، وعلينا صِدق الصِّيال ؛ أما والله إنا لَصُبُرٌ تحت البوارق ، مراقيل فى ظلّ الخوافق ؛ لا نسأم الضِّراس ، ولا نشمئز من المِراس ؛ وإن واحدنا لألف ، وألفنا كهف ؛ فمن أبدى لنا صفحته ، حططنا علاوته ؛ ثم قام رجل من ذى الكَلاَع فأشار إلى معاوية فقال : هذا أمير المؤمنين ، فإن مات فهذا – وأشار إلى يزيد – فمن أبى فهذا – وأشار إلى السيف– ثم قال :

معاويةُ ، الخليفةُ لا تُمارى ... فإن تَهْلِكْ فسائِسُنا يزيد
فمن غلب الشقاءُ عليه جهلا ... تحكَّم فى مَفارِقه الحديد

(١٣٤) معاوية والأحنف*

قال معاوية لعِقال : بما سادكم الأحنف وهو خارجى ؟ فقال : إن شئت حدَّثتُك عنه بخصلة ، وإن شئت باثنتين ، وإن شئت بثلاث ، وإن شئت حدّثتك إلى الليل ، فقال حدثنى عنه بثلاث خَصال ، قال : لم أر أحدًا من خَلق الله كان أغلب لنفسه من الأحنف ، فقال : نِعْم والله الخَصلة ! قال : ولم أر أحدًا من خلق الله أكرم لجليس من

---

(١٣٣)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٦٠، ١٦١ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن العتبى .

(١٣٤)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٢٧، ٢٢٨ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة .

الأحنف ، قال نِعْمَ والله الخَصلةِ ! قال : ولم أر أحدًا من خلق الله كان أحظى من الأحنف ، قال : كان يفعل الرجل الشىء فتصير حُظْوَتُه للأحنف .

(١٣٥) الحجاج يعترف بعيوبه*

سأل عبد الملك الحجاج عن عيبه فتلكأ عليه ، فأبى إلا أن يخبره ، فقال : أنا حديد حسود حقود لجوج ذو قسوة .

(١٣٦) عبد الملك والأعشى والحجاج*

دخل أعشى بن ربيعة على عبد الملك بن مروان وعنده ابناه الوليد وسليمان ، فقال له : يا أبا المغيرة ، ما بقى من شِعرك ؟ فقال : والله لقد ذهب أكثرُه ، وأنا الذى أقول :

ما أنا فى أمرى ولا فى خصومتى ... بمُهتضم حقّى ولا سالم قرنى
ولا مُسلم مولاى عند جناية ... ولا مُظهر عينى ما سمعت أذنى
وفضّلنى فى الشّعر والعلم أنّنى ... أقول على علم وأعلم ما أعنى
فأصبحتُ إذ فَضَّلت مروان وابنه ... على الناس قد فضلت خير أبٍ وابن

فقال عبد الملك : من يلومنى على حب هذا ! وأمر له بجائزة وقطيعة بالعراق ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج علىَّ واجد ، فكتب له بالصفح عنه وبحسن صلته، فأمر له الحجاج بذلك .

---

(١٣٥)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١١١ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن العكلى عن أبيه .
(١٣٦)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٦٦، ٢٦٧ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن السكن عن محمد بن عباد .

(١٣٧) الهجاء وجليس الخليفة*

دخل العجاج على عبد الملك بن مروان ، فقال : يا عجاج ، بلغنى أنك لا تقدر على الهجاء ، فقال : يا أمير المؤمنين ، من قدر على تشييد الأبنية أمكنه إخراب الأخبية ، قال : فما يمنعك من ذلك ؟ قال : إنّ لنا عِزًّا يمنعنا من أن نُظْلَم ، وإن لنا حِلما يمنعنا من أن نَظْلِم ، فعلام الهجاء ؟ فقال : لكَلِماتُك أشعرُ من شعرك ؛ فأنّى لك عزٌّ يمنعك أن تُظلم ؟ قال : الأدب البارع ، والفهم الناصع ، قال : فما الحِلم الذى يمنعك من أن تَظلم ؟ قال : الأدب المُستطرف والطَّبع التالد ، قال : يا عجاج ، لقد أصبحت حكيما ؛ قال : وما يمنعنى وأنا نَجىُّ أمير المؤمنين .

(١٣٨) عبد الملك يسامر أهل بيته*

كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة فى سمره مع ولده وأهل بيته وخاصته ، فقال لهم : ليَقُل كلٌّ واحد منكم أحسن ما قيل فى الشعر وليُفضّل من رأى تفضيله ، فأنشدوا وفضّلوا ، فقال بعضهم : امرؤ القيس ، وقال بعضهم : النابغة ، وقال بعضهم : الأعشى ، فلما فرغوا قال : أشْعَرُ والله من هؤلاء جميعًا عندى الذى يقول :

وذى رحم قَلَّمْتُ أظفار ضغنه ... بحِلمى عنه وهو ليس له حِلمُ

يُحاول رغمى لا يُحاول غيره ... وكالموت عندى أن يَحُلَّ به الرَّغم

فإن أعفُ عنه أغضِ عينًا على قذى ... وليس له بالصفح عن ذنبه عِلم

وإن أنتصر منه أكُن مثل رائش ... سهام عدُوٍّ يُستهاضِ بها العظم

---

(١٣٧)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٤٧ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن ابن يزيد عن المفضل .

(١٣٨)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٠١ ، ١٠٢ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة .

صَبَرتُ على ما كان بينى وبينه وما تستوى حرب الأقارب والسِّلم
وبادرت منه النأى والمرء قادر على سهمه ما دام فى كفه السَّهم
ويشتم عِرضى فى المُغَيَّب جاهدا وليس له عندى هوانٌ ولا شتم
إذا سُمْتُه وَصْلَ القرابة سامنى قطيعتها ، تلك السفاهة والإثم
وإن أدعه للنصف يأبَ ويَعصِنى ويدعو لحُكم جائر غَيْرُه الحُكم
فلولا اتقاءُ الله والرَّحم التى رِعايتُها حقٌّ وتَعْطيلُها ظُلم
إذًا لَعَلاه بارقى وخَطَمْتُه بوسم شنار لا يشاكهه[1] وسْمُ

فقيل له : يا أمير المؤمنين ، من قائل هذه الأبيات ؟ قال : معن بن أوس المزنى.

(١٣٩) الرد على الإهانة*

أغلط رجل لعمرو بن سعيد بن عمرو بن العاص ، فقال له عمرو : مهلاً ، عمرو ليس بحُلو المذاقة ، ولا رِخْو المِلاكة ؛ ولا الخسيس والمخسوس ، ولا النِّكْس ولا الشَّكْس، الهالك فهاهة[1] ، الجاهل سفاهة ؛ والله ما أنا بكهام اللسان ، ولا كليل الحد، ولا عيىٌّ الخطاب ، ولا خطِل الجواب ، أيْهات ! جاريتُ والله الأسنان وجرَّستنى الأمور؛ ولقد عَلِمَتْ قريشٌ أنى ساكن الليل داهية النهار ، لا أنهض لغير حاجتى ولا أتبع أفياء الظِّلال ، وإنك أيُّها الرجل لأبيض أُمْلُود[2] رقيق الشَّعرة ، نقى البشرة ؛ صاحب ظُلمُات ، ووثاب جُدُرات ، وزوَّار جارات.

---

(١) لا يشاكهه : لا يشابهه .

(١٣٩)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٥٥ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن العكلى عن الحرمازى عن ابن الكلبى .

(١) الفهُّ : العى الكليل اللسان . (٢) الأملود : الناعم .

(١٤٠) بلاغة عبد الملك*

لما قَتَلَ عبد الملك مُصعب بن الزبير دخل الكوفة ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال : أيُّها الناس ، إن الحرب صعبةٌ مرة ، وإن السلم أمنٌ ومسرة ؛ وقد زبنتنا الحرب وزَبَنَّاها ، فعرفناها وألفناها ؛ فنحن بنُوها وهى أُمُّنا . أيها الناس ، فاستقيموا على سُبُل الهدى ، ودعُوا الأهواء المردية ، وتجنبوا فِراق جماعات المسلمين ، ولا تُكلفونا أعمال المهاجرين الأولين ، وأنتم لا تعملون أعمالهم ، ولا أظُنكم تزدادون بعد الموعظة إلاَّ شرًّا ، ولن نزداد بعد الإعذار إليكم والحجة عليكم إلاَّ عقوبة ؛ فمن شاء منكم أن يعود بعدُ لمثلها فليعُد ، فإنما مَثَلى ومثلكم كما قال قيس بن رفاعة :

مَـنْ يصـل نـارى بـلا ذنب ولا تـرة ... يصـل بـنـار كـريم غير غـدار

أنـا الـنـذيـر لـكـم مـنـى مجاهـرة ... كـى لا أُلام عـلـى نـهـى وإنـذار

فإن عصيتم مقالى اليوم فاعترفوا ... أن سوف تَلقون خزيًا ظاهر العار

لَـتَـرْجِـعُـنَّ أحـاديـثـا مُـلَـعَّـنـةً ... لَـهْـوَ المُقـيـم ولـهـو المُدلج السـارى

(١٤١) رموز عبد الملك*

كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج : أنت عندى كسالم ، فلم يدر ما هو ، فكتب إلى قتيبة يسأله ، فكتب إليه : إن الشاعر يقول :

يُـديـرونـنـى عـن سـالم وأُديـرهـم ... وجِـلـدَةُ بين الأنـف والـعين سـالم

ثم كتب إليه مرة أخرى : أنت عندى قِدْحُ ابن مقبل ، فلم يدر ما هو ، فكتب

(١٤٠)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١١ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن السكن عن محمد بن عباد عن ابن الكلبى عن أبيه .

(١٤١)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٥ ؛ مسندًا إلى أبى بكر عن أبى حاتم عن الأصمعى.

إلى قتيبة يسأله - وكان قتيبة قد روى الشعر - فكتب إليه : إن ابن مقبل نَعَتَ قِدحًا له فقال :

غـدا وهـو مَـجـدولٌ وراح كـأنـه مِن المش والتقليب بالكف أفطح[1]
خروجٌ من الغُمى إذا صُك صكةً بـدا والعـيـون المستـكـفة تـلـمح

(١٤٢) نصائح سياسية*

قال القرظى لعمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - لا تتخذن وزيرا إلا عالما ، ولا أمينا إلا بالجميل معروفا ، وبالمعروف موصوفا ؛ فإنهم شُركاؤك فى أمانتك ، وأعوانك على أمورك ؛ فإن صلحوا أصلحوا ، وإن فسدوا أفسدوا .

وقال عبد الملك بن مروان - رحمه الله - : يا بنى أمية ، ابذلوا نَدَاكم ، وكفوا أذاكم ؛ واعفوا إذا قدرتم ، ولا تبخلوا إذا سُئِلتم ؛ فإن خير المال ما أفاد حمدًا أو نفى ذمًّا، ولا يقولن أحدُكم إبدأ بمن تعُول ؛ فإنما الناس عيال الله قد تكفَّل الله بأرزاقهم ، فمن وسَّع أخلف الله عليه ، ومن ضيَّق ضيَّق الله عليه .

(١٤٣) عبد الملك والسياسة*

سأل الوليد بن عبد الملك أباه عن السياسة ، فقال : هيبة الخاصة مع صدق مودَّتها ، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها ، واحتمال هفوات الصنائع ؛ فإن شكرها أقرب الأيادى إليها .

(١) أفطح : عريض .

(١٤٢)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٩ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن التوزى عن أبى عبيدة.

(١٤٣)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٨٠ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن ابن يزيد.

(١٤٤) احترسوا من الشعراء*

قال عبد الملك بن مروان لأميَّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد : مالك ولحُرتان ابن عمرو حيث يقول فيك :

إذا هتف العصفور طار فؤادُه ... ولَيْثٌ حديدُ الناب عند الثَّرائد

فقال : يا أمير المؤمنين ، وجب عليه حد فأقمته ، فقال : هلا درأت عنه بالشبهات، فقال : كان الحد أبين ، وكان رغمه علىَّ أهون ! فقال عبد الملك : أحسابكم، أنسابكم لا تعرضوها للهجاء ، وإياكم وما سار به الشعراء ، فإنه باق ما بقى الدهر .

(١٤٥) صورة مثالية لموظف عام*

كتب الحسن بن سهل إلى محمد بن سَمَاعة القاضى : أما بعد ، فإنى احتجت لبعض أمورى إلى رجل جامع لخصال الخير ذى عِفة ونزاهة طُعْمةٍ ، قد هذبته الآداب ، وأحكمته التجارب ، ليس بظنين فى رأيه ، ولا بمطعون فى حسبه ، إن اؤتمن على الأسرار قام بها ، وإن قُلد مُهمًّا من الأمور أجزأ فيه ؛ له سِنٌ مع أدب ولسان ، تُقعده الرزانة ويُسَكِّنه الحلم ، قد فُرَّ عن ذكاء وفطنة ، وعضَّ على قارحة من الكمال ، تكفيه اللَّحظة، وتُرشده السَّكتة ؛ قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها ، وقام فى أمورهم فحُمِد فيها ؛ له أناةُ الوزراء ، وصولة الأمراء ، وتواضع العلماء ، وفهم الفقهاء ، وجواب الحكماء ؛ لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده ، يكاد يسترقُّ قلوب الرجال بحلاوة لسانه وحسن بيانه؛ دلائل الفضل عليه لائحة ، وأمارات العلم له شاهدة ؛ مُضطلعًا بما استُنهض ، مُستقلا بما حُمِّل ؛ وقد آثرتُك بطلبه ، وحَبَوْتُك بارتياده ؛ ثقة بفضل اختيارك ، ومعرفة بحسن تأتيك ، فكتب إليه : إنى عازم أن أرغب إلى الله جل وعز حولاً كاملا فى ارتياد مثل

---

(١٤٤)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٥٧، ١٥٨ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن العتبى .

(١٤٥)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٤٩ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن الحسن بن خضر عن أبيه .

هذه الصفة ، وأُفرق الرسل الثقات فى الآفاق لالتماسه ، وأرجو أن يمُنَّ الله بالإجابة ، فأفوز لديك بقضاء حاجتك والسلام .

(١٤٦) المُهلب وجاسوس بليغ*

قيل للمُهلب : إن فلانًا عينٌ للخوارج فى عسكرك ، وإنه يتكفَّن بالسلاح إذا دُعُوا للحرب ليغتالك ويلحق بالخوارج ، فبعث إليه ، فأُتى به فقال له : قد تقرر عندنا كيدُك لنا ، ولم نُقدم من أمرك على ما عزمنا عليه إلا بعد ما لم يدع اليقين للشك مُعترضا ، فاختر أى قِتلة تحب أن أقتلك ؟ فقال : سيفٌ مُجهز أَو عطفة كريم مُحتقِر لضِغن ذوى الضغائن ، قال : فإنها عطفة كريم محتقر الذنوب ، فخلى سبيله ، فكان بعد ذلك من أوثق أصحابه عنده .

(١٤٧) قرشى مع هشام بن عبد الملك*

قَدِمَ وفد على أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك وفيهم رجل من قريش يقال له: إسماعيل بن أبى الجهم ، وكان أكبرهم سنا ، وأفضلهم رأيا وحلما ، فقام متوكئًا على عصا وقال : يا أمير المؤمنين ، إن خطباء قريش قد قالت فيك فأطنبت ، وأثنت عليك فأحسنت ؛ ووالله ما بلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصى مُثنيهم فضلك ؛ أفتأذن لى فى الكلام ؟ قال : تكلم ، قال : أفأُوجز أم أُطنب : قال : بل أَوجز ؛ قال : تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحُسنى ، وزينك بالتقى ، وجمع لك خير الآخرة والأولى ؛ إن لى حوائج أفأذكرها ؟ قال : نعم ، قال : كَبَرت سنى ، وضعُفت قُواى ، واشتدت حاجتى ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبُر كسرى ، وينفى فقرى ؛ قال : يا ابن الجهم ، ما يجبر كسرك وينفى فقرك ؟ قال : ألف دينار وألف دينار وألفِ دينار ، قال : هيهات يا ابن الجهم !

---

(١٤٦)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن السكن عن محمد بن عباد المهلبى .

(١٤٧)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٤٧ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه.

بيت المال لا يحتمل هذا ، قال : كأنك آليت يا أمير المؤمنين ألا تقضى لى حاجة مقامى هذا ، قال : ألف دينار لماذا ؟ قال : أقضى بها دينًا قد فدحنى حمله ، وأرهقنى أهلُه ؛ قال : نعم المسلك أسلكتها ، دينًا قضيت ، وأمانة أدّيت ؛ قال وألف دينار لماذا ؟ قال : أزوّج بها من أدرك من ولدى ، فأشد به عضُدى ، ويكثُر بهم عددى ؛ قال : ولا بأس ، أغضضت طرفًا ، وحصَّنت فرجا ، وأمَّرْت نسلا ؛ وألف دينار لماذا ؟ قال : أشترى بها أرضًا فأعود بفضلها على ولدى ، وبفضل فضلها على ذوى قُراباتى ؛ قال : ولا بأس، أردت ذُخرا ، ورجوت أجرا ، ووصلت رحِما ؛ قد أمرنا لك بها ، فقال : الله المحمود على ذلك ، وجزاك الله يا أمير المؤمنين والرَّحِمَ خيرا . فقال هشام : تالله ما رأيت رجلاً ألطف فى سؤال ، ولا أرفق فى مقال من هذا . هكذا فليكن القرشى .

(١٤٨) حفيد عبد الملك*

قال العباس بن الوليد بن عبد الملك لِمسلمة بن عبد الملك :

ألا تـقـنـى الحيـاء أبـا سـعـيـد — وتُـقْـصِرُ فـى مُلاحـاتـى وعـدلى
فـلـولا أن أصـلـك حين تُـنـمـى — وفـرعك مُـنـتـمـى فـرعى وأصـلـى
وأنّى إن رمـيـتك هِـضتُ عَـظْمـى — ونـالـتـنـى إذا نـالـتك نَـبْـلـى
لـقـد أنـكـرتـنـى إنـكـار خـوف — يَـضُمُّ حشاك عن شَتْمى وأكلى
كـقـول المرء عـمـرو فـى الـقـوافـى — لـقـيس حين خـالـف كـلَّ عـدل
«عَـذيـرى مـن خـليـلـى مـن مُـراد — أريـدُ حـيـاتـه ويُـريـد قـتـلـى»

يريد عمرو بن بن معد يكرب ، وقيس بن مكشوح .

(١٤٨)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٤ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن السكن عن محمد بن عباد عن هشام .

(١٤٩) الرعية وعمر بن عبد العزيز*

وفد وافد على عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – فقال له : كيف تركت الناس؟ قال : تركت غنيهم موفورا ، وفقيرهم محبورا ، وظالمهم مقهورا ، ومظلومهم منصورا ، فقال الحمدلله ، لو لم تتم واحدة من هذه الخصال إلا بعضو من أعضائى لكان يسيرا.

(١٥٠) تصميم عبد الملك*

كان عبد الملك بن مروان – رحمه الله – يُوجِّه إلى مُصعب جيشًا بعد جيش فيُهزَمون ، فلما طال ذلك عليه واشتد غمُّه أمر الناس فعسكروا ودعا بسلاحه فلبسه ، فلما أراد الركوب قامت إليه أم يزيد ابنه – وهى عاتكة بنت يزيد بن معاوية – فقالت : يا أمير المؤمنين ، لو أقمت وبعثت إليه لكان الرأى ، فقال : ما إلى ذلك من سبيل ، فلم تزل تمشى معه وتكلمه حتى قرب من الباب ، فلما يئست منه رجعت فبكت وبكى حَشَمُها معها ، فلما علا الصوتُ رجع إليها عبد الملك فقال : وأنتِ أيضًا ممن يبكى ! قاتل الله كُثيرًا ، كأنه كان يرى يومنا هذا حيث يقول :

إذا ما أراد الغزو لم تثن همه ... حَصَانٌ عليها نظم دُرٍّ يزينها
نَهَتْهُ فلمَّا لم تَرَ النُّهى عاقه ... بكت فبكى مما شجاها قطينها[1]

ثم عَزَم عليها بالسكوت وخرج .

---

(١٤٩)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٣٧ ؛ مسندًا إلى أبى على عن ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى .

(١٥٠)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٣ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى عثمان عن العتبى عن أبيه .

(١) القطين : الخدم .

(١٥١) كيد امرأة ضد البخترى*

كان البخترى بن أبى صُفرة من أكمل فتيان العرب جمالا وبيانا ونجدة وشعرا ، وكان بنو المهلب يحسدونه لفضله ، فَدَسَّت إليه أمُّ ولد عُمارة بن قيس اليحمدى فراودته عن نفسه فأبى ، فحملت عليه عُمارة حتى شكاه إلى المهلب ، وأكثر فى ذلك بَنُوه القول فعرف ذلك فى المُهلب فكتب إليه :

جفوتَ امرأً لم يَنْبُ عما تريده ... وكان إلى ما تَشتهيه يسارع

تموتُ حِفاظًا دون ضيْمك نَفْسهُ ... وأنت إلى ما ساءه مُتَطالِع

كأنى أخو ذنب وما كنت مُذْنبا ... ولكن دَهَتْنى الساريات الشَّبادع

بغين أمورًا لستُ من أشاؤها ... ولو جُعِلَتْ فى ساعدىَّ الجوامع

أأصبو بعرْسِ الجار أن كان غائبا ... وتلك التى تَسْتك فيها المسامع

فلستُ ورَبِّ البيت أصبُو بمثلها ... وربى راءٍ ما صنعتُ وسامع

فلا تقطعن منِّى وشائج سُهْمَةٍ ... فلا يصلُ الأبناءُ ما أنت قاطع

وكافح بأجرامى الهيَاج إذا التظى ... شِهابٌ من الموت المُحرق لامِع

تُنَبِّهْ وعهدِ الله منى مُشيِّعا ... صَبورًا على اللأْواء والموتُ كانع

---

(١٥١)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٣٦، ١٣٧ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن السكن عن محمد بن عباد .

وهناك حديث آخر عن شخصية البخترى وهو يتصل بهذه القصة فى الجزء الثانى ص ٣١٣ ، وسنورده عقب هذا الحديث لتكتمل الصورة .

(١٥٢) البختري أمير مظلوم*

استعمل المُهلب يزيد على حرب خُراسان ، واستعمل المغيرة على خراجها ، ولم يولّ البَخْتريَّ بن المغيرة بن أبي صُفرة ، فكتب إليه :

اقْرَ السَّلام على الأمير وقُل له … إن المُقام على الهوان بلاءُ
أَصِلُ الغُدُوَّ إلى الرواح وإنما … أُذُني وأُذْنُ الأبْعَدين سواءُ
أُجْفَى ويُدعى مَنْ ورائي جالسًا … ما بالكرامة والهوان خفاءُ

فوجد عليه المُهلبُ وألزمه منزله ، فكتب إليه :

جفاني الأميرُ والمغيرةُ قد جفا … وأمسى يزيدُ لي قد ازْوَرَّ جانِبُهْ
وكُلُّهُمُ قد نال شِبعا لبَطنِه … وشِبْعُ الفتى لُؤْمٌ إذا جاع صاحِبُهْ
فيا عمُّ مهلاً واتخذني لنوبةٍ … تلمُّ فإن الدهر جمٌّ نوائبُهْ
أنا السيف إلا أنَّ للسيف نبوةً … ومثلي لا تنبو عليه مضاربُهْ

(١٥٣) ابحث عن الجود المدفون*

دخل أبو جُوَيْرِيَة الشاعر على خالد بن عبدالله يمدحه ؛ فقال له خالد : ألست القائل :

ذهب الجُودُ والجُنَيْدُ جميعًا … فعلى الجُود والجُنيد السَّلامُ
أصبحا ثاوِيَيْن في بطن مَرْوٍ … ما تَغَنَّى على الغصون الحمامُ

---

(١٥٢)* ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٣١٣، ٣١٤ ؛ بنفس إسناد الحديث السابق عليه والذي شفعناه به لاكتمال أحدهما بالآخر .

(١٥٣)* ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة .

اذهب إلى الجُود حيث دفنته فاستخرجه ؛ قال أبو جويرية : أنا قائل هذا ، وأنا الذى أقول بعده ؛ فوثب إليه الحَرَسُ ليَدْفعوه ، فقال خالد : دعُوه ، لا نجمع عليه الحِرمان ونمنعه الكلام ؛ فأنشأ يقول :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قومٌ بأولهم أو مجدهم قعدوا
أو خلَّد الجُود أقواما ذوى حسب ... فيما يحاول من آجالهم خلدُوا
قومٌ سِنانٌ أبوهم حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الأولاد ما وَلَدوا
جِنٌّ إذا فَزِعوا إنسٌ إذا أمِنوا ... مُرَزَّءُون بهاليلٌ إذا احتشدوا
مُحَسَّدون على ما كان من نعمٍ ... لا ينزعُ الله عنهم ما له حُسِدوا

قال : فخرج من عنده ولم يعطه شيئًا .

أحاديث
من عالم الحكمة والفصاحة

١٥٤ - للمرء عقلان *

العقل عقلان ، فعقلٌ الله بصنعه ، وعقلٌ يستفيده المرء بأدبه وتجربته ، ولا سبيل إلى العقل المستفاد إلا بصحة العقل المُركَّب ، فإذا اجتمعا فى الجسد قوَّى كلٌّ واحد منهما صاحبه تقوية النار فى الظلمة نُور البصر .

١٥٥ - الأعمى وقائده الجميل *

رأيتُ ببيشة رجلًا من أزد السَّراة أعمى يَقُودهُ شابٌّ جميلٌ وهو يقول له : يا سُميَ ، لا يغرَّنَّك أن فَسَّحَ الشَّبابُ خطْوَك ، وخلَّى سَرْبَك (١) ، وأَرْفَهَ (٢) وِردك ، فكأنك بالكبر قد أربَ (٣) ظوفَك (٤) ، وأَثقل أَوقك (٥) ، وأوهن طوقك ، وأتعب سوقك ؛ فهدجتَ بعد الهملجة (٦) ، ودججتَ (٧) بعد الدَّعلجة (٨) ؛ فخُذ من أيام التَّرفيه لأيام الانزعاج ، ومن ساعات المُهلة لساعة الإعجال ؛ يا بن أخى ، إن اغترارك بالشباب كالتذاذك بسمادِير (٩) الأحلام ، ثم تنقشع فلا تتمسَّكُ منها إلا بالحسرة عليها ، ثم تُعَرَّى راحلة الصِّبا ، وتشرب سلوةً عن الهوى ، واعلم أن أغنى الناس يوم الفقر من قدَّم ذخيرة ، وأشدهم اغتباطًا يوم الحسرة من أحسن سريرة .

---

(١٥٤) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٦٧ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم - عن العتبى عن أبيه .

(١٥٥) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٣١٢ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن السكن عن هشام عن محمد بن السائب عن أبيه .

(١) السرب : الطريف . (٢) الرفه : أن تشرب الإبل كل يوم . (٣) أرب : شد . (٤) تقول ظفت البعير إذا دانيت مواضع قيده . (٥) الأوق : الثقل . (٦) سرعة المشى . (٧) السير الضعيف . (٨) ضرب من المشى . (٩) سمادير : أباطيل .

١٥٦ - قسٌ بن ساعدة فى بلاط قيصر *

كان قُسُّ بن ساعدة يفِدُ على قيصر ويزوره فقال له قيصر يوما : ما أفضلُ العقل ؟ قال : معرفة المرء بنفسه ، قال : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف المرء عند علمه ، قال : فما أفضل المروءة ؟ قال : استبقاءُ الرجل ماء وجهه ، قال : فما أفضل المال ؟ قال : ما قُضى به الحقوق .

١٥٧-أعمدة الحكمة السبعة *

(كلام بعض الحكماء)

من كانت فيه سبع خصال لم يعدم سبعا : من كان جوادا لم يعدم الشرف ، ومن كان ذا وفاء لم يعدم المِقَة ، ومن كان صدوقًا لم يعدم القبول ، ومن كان - شكورًا لم يعدم الزيادة ، ومن كان ذا رعاية للحقوق لم يعدم السُّؤدد ، ومن كان منصفًا لم يعدم العافية ، ومن كان متواضعًا لم يعدم الكرامة .

١٥٨ - حكيم من العجم *

قال رجل من العجم لملك كان فى دهره : أُوصيك بأربع خلال تُرضى بهن ربك، وتُصلح بهن رعيتك ، لا يغُرَّنَّك ارتقاء السهل إذا كان المنحدرُ وعرا ، ولا تَعِدَنَّ عِدَةً ليس فى يدك وفاؤها . واعلم أن لله نَقِمَاتٍ فكُن على حذر . واعلم أن للأعمال جزاءً فاتق العواقب .

---

(١٥٦) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٣٧ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن السكن عن العباس ابن هشام عن أبيه .

(١٥٧) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٣٧ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم الأصمعى عن بعض الحكماء .

(١٥٨) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٥٤ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى الحسن بن خضر عن حماد بن إسحق الموصلى عن أبيه .

١٥٩ - من الحكم الفارسية *

وجد فى حكمة فارس : إنى وجدت الكُرماء والعقلاء يبتغون إلى كل صلة ومعروف سببا ، ورأيت المودَّة بين الصالحين سريعا اتصالها ، بطيئا انقطاعها ، كَكُوب الذهب سريع الإعادة إن أصابه ثلْم أو كسر ؛ ورأيت المودَّة بين الأشرار بطيئا اتصالها، سريعا انقطاعها كَكُوب الفخّار ، إن أصابه ثلْمٌ أو كسر فلا إعادة له ؛ ورأيت الكريم يحفظ الكريم على اللِّقاءة الواحدة ومعرفة اليوم ؛ ورأيت اللئيم لا يحفظ إلا رغبة أو رهبة .

١٦٠ - منزلكم غير حسن *

كان الهيثم بن جراد من أبْيَن الناس ، وإنه أتى قومًا لِيُزَهِّدَهم فى منزلهم فقال : يا بنى فلان ، ما أنتم إلى ريفٍ فتأكلوه ، ولا إلى فلاة فتعصمكم ، ولا إلى وزرٍ [١] فيُلجئكم، فأنتم نُهزة [٢] لمن رامكم ، ولُعقة لمن قصدكم ، وغرضٌ لمن رماكم ، كالفقعة الشرباح [٣]، يشدخها الواطئ ويركبها السافى [٤] .

١٦١ - عزاء العرب *

عزَّى رجل من العرب رجلا على أخيه فقال : محبوب فائت ، وغُنْم عارض ، إن ضيعته فات أيضا وبقيت حسيرا ؛ أمَّا أخوك فلا أخوك ، فلا يذهب بك جزعُك فتحُطَّ سُوددك ، وتَقِل ثَقةُ عشيرتك باضطلاعك بالأمور ، وفى كثرة الأسى عزاءٌ عن المصائب.

---

(١٥٩) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٤٠ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة .

(١٦٠) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٨ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعى عن ضخر بن فريط .

(١) الوزر : الجبل والملجأ . (٢) نُهزة : فرصة

(٣) الفقعة الشرباخ : الكماة التى لا خير فيها . (٤) السافى : الريح التى تسفى التراب .

(١٦١) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٩٩ ؛ منسوبًا إلى ابن دريد عن سعيد بن هارون عن التوزى عن أبى عبيدة .

١٦٢ - عزاء أهل اليمن *

مات أخ لذى رعين فعزّاه بعض أهل اليمن فقال : إن الخلق للخالق، والشكر للمُنعم ، والتسليم للقادر ، ولابُدَّ مما هو كائن ؛ وقد حلّ ما لا يُدفع ، ولا سبيل إلى رجوع ما قد مات ، وقد أقام معك ما سيذهب عنك وتتركه ، فما الجزع مِما لا بُدَّ منه، وما الطَّمع فيما لا يُرجى ، وما الحيلة فيما سيُنقل عنك أو تُنقل عنه ، وقد مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد الأصل ، فأفضل الأشياء عند المصائب الصبر، وإنما أهل الدنيا سفر لا يحلون عن الركاب إلا فى غيرها ، فما أحسن الشكر عند النعم والتسليم عند الغير ! فاعتبر بمن قد رأيت من أهل الجزع ، هل رَدَّ أحدًا منهم إلى ثقة من دَرْك؟ واعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف ، فأفق والمرجع قريب ، وأنا أعلم أنما ابتلاك المنعم ، وأخذ منك المعطى ، وما ترك أكثر ، فإن نسيت الصبر فلا تغفل عن الشرك .

١٦٣ - أرق شعر قالته العرب *

وحدثنا أبو بكر بن دريد - رحمه الله - قال : سألت عبد الرحمن يومًا فقلت له: إن رأيت أن تُنشدنى من أرق ما سمعته من عمك من أشعار العرب ! فضحك وقال : والله لقد سألت عمى عن ذلك فقال : يا بُنى ، وما تصنع برقيق أشعارهم ؟ فوالله إنَّه ليَقْرَح القلوب ، ويَحُثُّ على الصَّبابة ، ثم أنشدنى للعلاء بن حُذيفة الغنوى :

يقولون مَنْ هذا الغريب بأرضنا ... أما والهدايا إننى لغريب

غريبٌ دعاه الشَّوق واقتاده الهوى ... كما قِيدَ عَوْدٌ بالزِّمام أديبُ

وماذا عليكم إنْ أطاف بأرضكم ... مُطالبُ دَيْنٍ أو نَفتهُ حُرُوب

أمشّى بأعطان المياه وأبتغى ... قلائص منها صعبةٌ وركُوب

---

(١٦٢) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٩٨ ،٩٩. ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة .

(١٦٣) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٨ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه.

فقلت : أريد أحسن من هذا ، فأنشدنى :

لعمرى لئن كُنتم على النأى والغنى بكُم مثل ما بى إنَّكم لصديق
فما ذُقت طعم النوم منذ هجرتكم ولا ساغ لى بين الجوانح رِيق
إذا زفراتُ الحب صَعَّدْنَ فى الحشا كَرَرْنَ فلم يُعْلَمْ لهنَّ طريق

١٦٤ - تدليل الأطفال بالرجز *

دخل النبى ﷺ على عمه الزبير بن عبد المطلب وهو صبى فأقعده فى حجره ، وقال :

محمد بن عبدم عشت بعيش أنعم ودولة ومغنم
فى فرع عزٍّ أسنم مُكرَّمٍ مُعَظَّم دام سجيس الأزلم

ثم دخل عليه العباس بن عبد المطلب وهو غلام فأقعده فى حجره وقال :

إن أخى عباس عفٌّ ذو كرم فيه عن العوراء إن قيلت صمم
يرتاح للمجد ويُوفى بالذِّمّ وينحر الكوماء (١) فى اليوم الشّيم
أكرم بأعرافك من خال وعم

ثم دخل عليه ضرار بن عبد المطلب وهو أصغر من العباس ، فقال :

ظنى بمياس ضرار خيرظن أن يشترى الحمدو يغلى بالثمن
ينحر للأضياف ربات السمن ويضرب الكبش إذا البأس ارجحن (٢)

ثم دخلت عليه ابنته أم الحكم ، فقال :

---

(١٦٤) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١١٥ ، ١١٦ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه عن هشام عن رافع بن بكار ونوح بن دراج .

(١) الكوماء : الناقة السمينة . (٢) ارجحن : ثقل .

يـــا حـــبـــذا أمُّ الحكـــم كـــأنّـــهـــا رِيمٌ أحـــم

يـــا بـــعـــلـــهـــا مـــاذا يشـــم ســـاهـــم فـــيـــهـــا فسـهـــم

ثم دخلت عليه جارية له يقال لها أم مُغيث ، فقالت : مدحت ولدك وبنى أخيك، ولم تمدح ابنى مغيثا ، فقال : علىَّ به عجِّليه فجاءت به ، فقال :

وإنَّ ظـــنّـــى بمُغـــيث إن كَـــبِـــر أن يســـرق الحجَّ إذا الحجُّ كـــثُـــر

ويُوقـر الأعـيـار مـن قـرف الشجـر ويـأمـر الـعـبـد بـلـيـل يـعـتـذر

ميراث شـــيـــخ عـــاش دهـــرًا غير حـــر

١٦٥ - هند تُرْقِص طفلها بالرجز *

قالت هند بنت عتبة ، وهى تُرْقِص ابنها معاوية رحمه الله :

إن بُـــنـــىَّ مُـــعْـــرقٌ كـــريمُ مُـحـبَّـبٌ فـى أهـلـه حـلـيـم

لـيس بـفـحـاش ولا لـئـيـم ولا بُـطـخْـرُور [(١)] ولا سـئـوم

صـخـر بـنـى فـهـر بـه زعـيـم لا يـخـلـف الـظـنَّ ولا يـخـيـم

١٦٦ - وسلمة أيضا *

قالت ضُباعة بنت عامر بن قُرط بن سلمة بن قُشير وهى تُرقص ابنها المُغيرة بن سلمة :

نمى بـــه إلى الـــذُّرى هِـــشـــام قَـــرمٌ وآبـــاءٌ لـــه كـــرامُ

---

(١٦٥) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١١٦ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه عن هشام.

(١) الطخرور : عكس الجلد .

(١٦٦) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١١٦ ، ١١٧ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه عن هشام .

جَحَاجِحٌ خَضَارِمٌ عِظَام   مِن آل مخزوم هم الأعلام

الهامة العلياء والسنامُ

١٦٧ - وأمُّ الفضل كذلك *

قالت أم الفضل بنت الحارث الهلالية وهى تُرقص ابنها عبدالله بن العباس :

ثَكِلتُ نفسى وثَكِلتُ بكرى   إن لم يَسُد فِهرًا وغير فهر

بالحسبِ العَدِّ وبذل الوفر   حتى يُوارى فى ضريح القبر

١٦٨ - أعرابية ترقص ابنها *

كانت أعرابية تُرقص ابنها وهى تقول :

أُحِبُّه حُبَّ شحيحٍ مالَه   قد ذاق طعم الفقر ثم ناله

إذا أراد بذلَهُ بدا له

١٦٩ - الباقر يعظ عمر بن عبد العزيز *

دخل أبو جعفر محمد بن على بن الحسين على عمر بن عبدالعزيز – رضى الله عنه – قال : يا أبا جعفر أوصنى ، قال : أُوصيك أن تتخذ صغير المسلمين ولدًا ، وأوسطِهم أخًا ، وكبيرهم أبًا ، فارحم ولدك ، وصل أخاك ، وبر أباك ، وإذا صنعت معروفًا فَرَبَّه .

---

(١٦٧) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١١٧ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه عن هشام .

(١٦٨) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٩٣ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى .

(١٦٩) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٣٠٨ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أحمد بن عيسى عن أسد بن سعيد عن أبيه عن جده عن عصير .

١٧٠ - تأملات مسجوعة *

قعد المأمون الحارثى فى نادى قومه فنظر إلى السماء والنجوم ثم أفكر طويلا ثم قال : أَرْعُونى أسماعكم ، واصغوا إلىَّ قلوبكم ، يبلُغ الوعظ منكم حيث أريد ، طمح بالأهواء الأشر ، وران على القلوب الكدر ، وطخطخ الجهل النظر ، إن فيما نرى لمعتبرًا لمن اعتبر ، أرضٌ موضوعة ، وسماءٌ مرفوعة ، وشمس تطلُع وتغرُب ، ونجوم تسرى فتعزُب، وقمرٌ تُطلعه النُّحور ، وتمحقه أدبار الشهور ، وعاجزٌ مُثرٍ ، وحُول مُكدٍ ، وشابٌ مُحتضر ، ويفنٌ قد غبر ، وراحلون لا يؤوبون ، وموقفون لا يفرطون ؛ ومطرٌ يرسل بقدر ، فيُحيى البشر ، ويُورق الشجر ، ويُطلع الثمر ، وينبت الزَّهر ، وماء يتفجر من الصَّخر الأير، فيصدع المدر عن أفنان الخُضر ، فيُحيى الأنام ، ويُشبع السَّوام ، ويُنمى الأنعام ؛ إنَّ فى ذلك لأوضح الدلائل على المدبِّر المُقدِّر ، البارئ المصوِّر . ياأيها العقول النافرة ، والقلوب الناثرة ؛ أنَّى تُوفكُون ، وعنَ أىِّ سبيل تعمهُون ، وفى أى حيرة تهيمون ، وإلى أىِّ غاية تُوفِضُون ؛ لو كُشِفَتِ الأغطيةُ عن القلوب ، وتجلَّت الغِشاوة عن العيون ، لَصرَّح الشَّكُّ عن اليقين ؛ وأفاق من نشوة الجهالة ، من استولت عليه الضلالة .

١٧١ - العلم فى الرأس لا فى القرطاس *

سمع يونس رجلا ينشد :

استودع العلم قرطاسًا فضيَّعه   وبئس مُستودَعُ العلم القراطيس

قال : قاتله الله ! ما أشد صبابته بالعلم وصيانته للحفظ ! إنَّ علمك من روحك ، ومالك من بدنك ، فصُن علمك صيانتك روحك ومالك صيانتك بدنك .

(١٧٠) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٧٣ ؛ مسندا إلى ابن دريد عن أبى عثمان عن التوزى عن أبى عبيدة .

(١٧١) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٢٣ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى .

وقد ورد الحديث فى تعليق من أمالى ابن دريد ص ١٦٨ .

١٧٢ - غلام يصف بيت أبيه *

خرج رجل من العرب فى الشهر الحرام طالبًا حاجة ، فدخل فى الحِلِّ فطلب رجلًا يستجير به ، فدفع إلى أغلمةٍ يلعبون ، فقال لهم : من سيد هذا الحواء ؟ فقال غلام منهم : أبى ، قال : ومن أبوك ؟ قال : باعث بن عويص العاملى ، قال : صفْ لى بيت أبيك من الحِواء ، قال : بيت كأنه حَرَّة سوداء ، أو غمامة حمَّاء ، بفنائه ثلاثة أفراس ، أمَّا أحدُها : فمُفرع [1] الأكتاف ، مُتماحِل الأكناف ، ماثِلٌ كالطِّراف . وأما الآخر : فذَبَّال جَوَّال صهَّال ، أمينُ الأوصال ، أشمُّ القَذَال . وأما الثالث : فمُغمار مُدْمَج ، محبُوكٌ مُحَمْلَج ، كالقَهْقَر الأدعج . فمضى الرجل حتى انتهى إلى الخباء فعقد زمام ناقته ببعض أطنابه وقال : يا باعث ، جار عَلِقَتْ علاقُه ، واستحكمت وثاقُه ، فخرج إليه باعث فأجاره .

١٧٣ - يونس يدافع عن رؤبة *

كنت عند أبى عمرو بن العلاء فجاءه شُبيل بن عروة الضبعى ، فقام إليه أبو عمرو فألقى إليه لبدة بغلته ، فجلس عليها ؛ ثم أقبل عليه يحدّثه فقال شبيل : يا أبا عمرو ، سألت رُؤبتكم هذا عن اشتقاق اسمه فما عرفه ، قال يونس : فلما ذكر رُؤْبة لم أملك نفسى ، فزحفت إليه فقلت : لعلك تظن أن سعد بن عدنان أفصح من رؤبة وأبيه، فأنا غلام رؤبة ، فما الرُّوبة والرُّوبة والرَّوبة والرُّؤبة؟ فلم يُحِر جوابًا وقام مُغضبًا ، فأقبل علىّ أبو عمرو بن العلاء وقال : هذا رجل شريف يقصد مجالسنا ويقضى حقوقنا

(١٧٢) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٥٧ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه عن ابن الكلبى .

والحديث فيه من أوصاف الفرس ما يجعله من مصادر المقامة الحمدانية عند بديع الزمان بالاضافة إلى حديث الفتيات والخيول السابق ذكره .

(١) المفرع : المشرف .

(١٧٣) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٤٨ ، ٤٩ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة عن يونس .

وقد أسأت فيما واجهته به ، فقلت : لم أملك نفسى عند ذكر رؤبة ؛ ثم فسر لنا يونس فقال : الرُّوبة : خميرة اللَّبن . الرُّوبة : قطعة من الليل . وفلان لا يقوم برُوبة أهله ، أى بما أسندوا إليه من أموالهم ومن حوائجهم والرُّوبة : جِمام ماء الفحل . والرُّؤبة مهموزة: القِطعة تُدخِلها فى الإناء تَشْعَب بها الإناء .

١٧٤ - رسالة شكر *

كتب مالك بن أسماء بن خارجة إلى الهيثم بن الأسود النخعى ، يشكر له قيامه بأمر رجل من آل حذيفة بن بدر عند الحجاج حتى خلَّصه منه : أما بعد ، فإنه لما كَلَّت الألسن عن بلوغ ما استحققت من الشكر ، كان أعظم الحِيَل عندى فى مكافأتى إخلاصُك صِدق الضمير ، وكما لم نعرف الزيادة فى العلا إذ جَرَيْت غاية طَوْلك جَهِلنا غاية الثناء عليك ، فليس لك من الناس إلا ما أُلْهِموا من محبتك ، فأنت كما وصف الواصف إذ يقول :

فما تعرف الأوهام غاية مدحه ... يقينًا كما ليست بغايته تدرى

١٧٥ - عتاب على عدم الرد على الكتاب *

خرج أعرابى إلى الشام ، فكتب إلى بنى عمه كتبًا فلم يجيبوه عنها ، فكتب إليهم:

ألا بلغ معاتبتى وقولى ... بنى عمِّى فقد حَسُنَ العتاب

وسل هل كان لى ذنب إليهم ... هُمُ منه فأُعْتِبَهم غِضابُ

كتبتُ إليهمُ كُتبا مرارًا ... فلم يرجع إلىَّ لهم جواب

فلا أدرى أغيَّرَهُم تَنائى ... وطُولُ العهد أم مالٌ أصابوا

---

(١٧٤) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن العكلى عن ابن ابن خالد عن الهيثم .

(١٧٥) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٩ ؛ مسندًا إلى ابن دريد غن عبدالرحمن عن عمه.

فمن يَكُ لا يدوم له وفاء ... وفيه حين يغترب انقلاب

فعهدى دائم لهمُ ووُدّى ... على حال إذا شَهِدوا وغابُوا

١٧٦ - من حكم العرب *

وحدثنا أبو بكر قال أخبرنا عبدالرحمن عن عمه قال : قيل لبعض الحكماء : ما الداء العياء ؟ فقال : حَسَدُ ما لا تنالُه بقول ولا تُدركه بفعل .

قال أعرابى : من لم يضنّ بالحق عن أهله فهو الجواد . وقال آخر : الصبر عند الجود أخو الصبر عند اليأس : سخاء النفس عما فى أيدى الناس أكثر من سخاء البذل.

١٧٧ - دنيا الزهـاد *

وجد بخط العتبى بعد موته أن رجلاً سأل بعض الزُّهَّاد فقال : أخبرنى عن الدنيا. فقال جمَّة المصائب ، أنقة المشارب لا تُمتع صاحبًا بصاحب .

١٧٨ - عنزة ضائعة *

قال أبو عمرو بن العلاء : رأيت باليمن غلامًا من جرم ينشُد عنزًا ، فقلت : صفها يا غلام ؛ قال : حسراء [1] مُقْبِلة ، شعراء مُدْبِرة ؛ ما بين غِثرة [2] الدُّهسة [3] ، وقُنُوء [4] الدُّبية ؛ سَجْحاء الخدّين ، خطلاء الأُذُنين ، فشقاء الصُّورَيْن ؛ كأنَّ زَنَمَتَيْها تَتْوَا قُلَنْسِيَة ، يا لها أمُّ عِيَال ، وثِمال مال .

---

(١٧٦) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٨٠ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبدالرحمن عن عمه.

(١٧٧) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٨٠ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم .

(١٧٨) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص٣٤ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبدالرحمن عن عمه عن ابن عمرو بن العلاء .

(١) يعنى أنها قليلة شعر المقدم . (٢) غثرة : كدرة . (٣) الدهسة : لون الرمال . (٤) قنوة : شدة الحمرة.

١٧٩ - رد على التهنئة بغلام *

وُلِد للحسن البصرى غلام فهنأه بعض أصحابه ، فقال الحسن : نحمد الله على هبته ، ونستزيده من نعمته ؛ ولا مرحبًا بمن إن كنتُ غنيًّا أذهلنى ، وإن كنتُ فقيرًا أتعبنى ؛ لا أرضى له بسعيى سعيا ، ولا بكدّى له فى الحياة كدًّا ؛ أشفق عليه من الفاقة بعد وفاتى، وأنا فى حال لا يصلُ إلى من همّه حُزن ولا من فَرحه سُرور .

١٨٠ - الأعرابى والكلام الموجز *

قال الأصمعى : سمعت أعرابيا يمدح رجلا فقال : كان والله ساعيا فى طلب المكارم ، غير ضالٍّ فى معارج طُرُقها ، ولا متشاغل بغيرها عنها .

وسمعتُ أعرابيا يقول : شَيَّعنا الحىَّ وفيهم أدوية السُّقام ، فقرأن بالحدق السلام، وخَرِسَتِ الألسُن عن الكلام .

١٨١ - الموت كمدًا على أبنائه السبعة *

كان لرجل من بنى ضبة فى الجاهلية بنون سبعة ، فخرجوا بأكْلُب لهم يقتنصون ، فأووا إلى غار فهوت عليهم صخرة فأتت عليهم جميعهم ، فلما استراث أبوهم أخبارهم اقتفر آثارهم حتى انتهى إلى الغار فانقطع عنه الأثر ، فأيقن بالشر ، فرجع وأنشأ يقول :

أسبعة أطوادٍ أسبعة أبحر ... أسبعة آساد أسبعة أنجُم

رُزِئْتُهم فى ساعة جرَّعَتْهُمُ ... كئوس المنايا تحت صخرٍ مُرضَّم [(١)]

---

(١٧٩) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٩ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن ابن عثمان عن التوزى عن ابن عبيدة .

(١٨٠) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص٨٤ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن الرياشى عن الأصمعى، وبنفس السند الحديث الثانى .

(١٨١) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٦١ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه عن يونس .

(١) المرضم المنضد بعضه على بعض .

فمن تكُ أيام الزمان حميدة ... لديه فإنِّى قد تعرَّقن أعظُمى
بلغن نسيسى [2] وارتشفن بُلالتى [3] ... وصلَّيننى جمر الأسى المُتضرم
أحين رمانى بالثمانين مَنْكِبٌ ... من الدهر مُنح فى فؤادى بأسهُم
رُزِئتُ بأعضادى الذين بأيدهم ... أنُوءُ وأحمى حوزتىَ وأحتمى
فإن لم تَذُب نفسى عليهم صبابة ... فسوف أشُوبُ دمعها بعدُ بالدَّم

ثم لم يلبث بعدهم إلا قليلا ثم مات كمدا .

١٨٢ - من حكم الأحنف بن قيس *

قال الأحنف بن قيس : الكذُوب لا حيلة له ، والحسود لا راحة له ؛ والبخيل لا مُروءة له ؛ والملُول لا وفاء له ؛ ولا يسود سيِّئ الأخلاق ؛ ومن المروءة إذا كان الرجل بخيلًا أن يكتُم ذلك ويتجمَّل .

وقيل للأحنف : بِمَ بلغت ما بلغت ؟ قال : لو عاب الناسُ الماء ما شربته .

١٨٣ - أحلى من العسل وأمر من الصبر *

ذكر أعرابى رجلا فقال : نِعْمَ حشْوُ الدِّرع ومَقبِض السيف ومِدره الرُّمح ! هو كان أحلى من العسل إذا لوين ، وأمر من الصبر إذا خُوشن .

(٢) النسيس : بقية النفس . (٣) البلالة : الرطوبة .

(١٨٢) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن ابن زيد عن هشام بن حسان عن الحسن .

* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٣٢ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم .

(١٨٣) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١١٥ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن العتبى.

١٨٤ - من وصايا حكيم*

الحسدُ ماحِقُ الحسنات ، والزهو جالبٌ لمقت الله ومقت الصالحين ، والعُجب صارفٌ عن الازدياد من العلم داع إلى التَّخبُّط والجهل ، والبُخل أذمُّ الأخلاق وأجلبُها لسوء الأُحدوثة .

سُمع رجل يوصى آخر وأراد سفرًا فقال : آثِرْ بعملك معادك ، ولا تدع لشهوتك رشادك ؛ وليكن عقلُك وزيرك الذى يدعُوك إلى الهدى ، ويعصمُك من الرَّدى ؛ ألْجِمْ هواك عن الفواحش ، وأطلقه فى المكارم ؛ فإنك تَبَرُّ بذلك سلفك ، وتشيِد شرَفَك .

١٨٥ - من حكم لقمان*

كان لقمان الحكيم يقول : ثلاثة لا يُعرفون إلا فى ثلاثة مواطن : الحليم عند الغضب ، والشجاع عند الحرب ، وأخوك عند حاجتك إليه .

١٨٦ - من حكم الأحنف بن قيس*

قال التَّوَّزى : أخبرنى رجل من أهل البصرة عن رجل من بنى تميم قال : حضرتُ مجلس الأحنف بن قيس وعنده قوم مجتمعون فى أمر لهم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الكرم ، منع الحُرَم ؛ ما أقرب النقمة من أهل البغى ، لا خير فى لذة تُعقب ندما؛ لن يَهْلِك من قصد ، ولن يفتقر من زَهِد ، رُبَّ هزل قد عاد جِدًّا ؛ من أَمِن الزمان خانه ، ومن تعظَّم عليه أهانه ؛ دعُوا المِزاح فإنه يُوَرِّثُ الضغائن ، وخير القول ما صدَّقه الفعل ، احتملوا لمن أدلَّ عليكم ، واقبلوا عذر من اعتذر إليكم ؛ أطع أخاك وإن عصاك ، وصِله

(١٨٤) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٩٧ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عبدالرحمن عن عمه

(١٨٥) * ورد فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٧٩ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم .

(١٨٦) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٠ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى عثمان عن التوزى.

وإن جفاك ؛ أنصف من نفسك قبل أن يُنتصف منك ؛ وإياكم ومُشاورة النساء ، واعلم أن كُفر النّعمة لؤم ، وصحبة الجاهل شُؤم ؛ ومن الكرم ، الوفاء بالذّمّ؛ ما أقبح القطيعة بعد الصِّلة ، والجفاء بعد اللطف ، والعداوة بعد الوُدّ ؛ لا تكونَنّ على الإساءة أقوى منك على الإحسان ، ولا إلى البُخل أسرع منك إلى البذل . واعلم أن لك من دنياك ، ما أصلحت به مثواك ، فأنفق فى حقّ ، ولا تكونن خازنًا لغيرك . وإذا كان الغدر فى الناس موجودا ، فالثقة بكل أحد عجز ؛ إعرف الحق لمن عَرفه لك . واعلم أن قطيعة الجاهل ، تَعْدِل صِلة العاقل . قال : فما رأيت كلامًا أبلغ منه ، فقمت وقد حفظته .

١٨٧ - ولبعض الحكماء*

قال الأصمعى : بلغنى أن بعض الحكماء كان يقول : إنى لأَعِظُكم وإنّى لكثير الذنوب مُسرفٌ على نفسى ، غير حامدٍ لها ولا حاملها على المكروه فى طاعة الله عز وجلّ، قد بلوتُها فلم أجد لها شكرًا فى الرخاء ، ولا صبرًا على البلاء ؛ ولو أنّ المرء لا يَعظُ أخاه حتّى يُحْكِم أمر نفسه لَتُرِك الأمر بالخير والنهى عن المنكر ، ولكن مُحادثة الإخوان حياةٌ للقلوب وجِلاءٌ للنفوس ، وتذكيرٌ من النسيان ؛ واعلموا أن الدنيا سرورها أحزان ؛ وإقبالها إدبار ، وآخر حياتها الموت ، فكم من مستقبل يومًا لا يستكمله ، ومُنتظِر غدا لا يبلُغه ؛ ولو تنظرون إلى الأجل ومسيره ، لأبغضتُم الأمل وغروره .

١٨٨ - من وصايا عمر بن الخطاب*

كتب عمر - رضى الله عنه - إلى ابنه عبدالله فى غيبة غابها : أما بعد ، فإنه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكره زاده ، ومن أقرضه جزاه ، فاجعل التقوى جِلاءَ بصرك ، وعِماد ظهرك ؛ فإنه لا عمل لمن لا نيّة له ، ولا أجر لمن لا حسنة له ، ولا جديد لمن لا خَلَقَ له .

---

(١٨٧) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٥٥ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى.

(١٨٨) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، مسندًا إلى ابن دريد وأبى حاتم والعتبى عن رجل من داخل الكوفة .

١٨٩ - من حكم على بن أبى طالب *

بلغنى أن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - كان يقول : إنَّما المرء فى الدنيا غرضٌ تنتضِل فيه المنايا ، ونهبٌ للمصائب ؛ ومع كل جرعة شرقٌ ، وفى كل أكلة غصصٌ؛ ولا ينال العبد فيها نعمة إلا بفراق أخرى ، ولا يستقبل يومًا من عمره إلا بهدم آخر من أجله ؛ فنحن أعوان الحُتُوف ، وأنفُسُنا تسوقنا إلى الفناء ، فمن أين نرجو البقاء ، وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شىء شرفا إلا أسرعا الكرَّة فى هدم ما بنيا ، وتفريق ما جمعا ، فا طلبوا الخير وأهله ، واعلموا أنَّ خيرًا من الخير مُعطيه ، وشرًّا من الشر فاعلُه .

١٩٠ - علىٌ يعظ ابن عباس*

قال ابن عباس : كتب إلىَّ على بن أبى طالب - رضى الله عنه - بموعظة ما سررت بموعظة سرورى بها ! أما بعد ، فإن المرء يَسُرُّه درك ما لم يكن ليفوته ، ويسُوءه فَوْتُ ما لم يكن ليُدركه ، فما نالك من دنياك فلا تُكثِر به فرحا ، وما فاتك منها فلا تُتبعهُ أسفا ؛ فليكن سرورك بما قدَّمت ، وأسفك على ما خلَّفت ؛ وهمُّك فيما بعد الموت .

١٩١ - علىٌ يصف الدنيا*

سأل رجل علىَّ بن أبى طالب - رضوان الله عليه - قال : صِفْ لنا الدنيا ، فقال : وما أصِف مِن دارٍ أوَّلُها عناء ، وآخرها فناء ؛ من صحَّ فيها أمِن ، ومن سَقِم فيها نَدِم، ومن افتقر فيها حَزِن ، ومن استغنى فُتِن ، حلالها حساب وحرامها عذاب .

---

(١٨٩) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، مسندًا إلى أبى على عن ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى .

(١٩٠) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٩٤ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن العكلى عن أبيه .

(١٩١) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١١٧ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه عن هشام .

المصادر والمراجع

اكتفينا هنا بإيراد أهم المصادر والمراجع اعتماداً على ورود كل المراجع في الهوامش التفصيلية للكتاب ، وقد اعتمدنا الترتيب الهجائي لعنوان الكتاب :

١ - اتجاهات الشعر العربى في القرن الثاني الهجري . د. محمد مصطفى هدارة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية (د. ت) .

٢ - أخبار الحمقى والمغفلين ، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٨) الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٣م.

٣ - أدب الكاتب ، ابن قتيبة ، أبو عبدالله محمد بن مسلم ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى - الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٩٦٣م.

٤ - الأدب المقارن ، النظرية والتطبيق . د. أحمد درويش ، مكتبة الزهراء - القاهرة ١٩٨٥م . (الطبعة الثالثة : دار غريب ٢٠٠١) .

٥ - الاشتقاق ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، تحقيق عبد السلام هارون دار المسيرة - الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٩م.

٦ - الأمالى : أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، دار الحديث للطباعة والتوزيع - الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٤م.

٧ - البحث اللغوى عند العرب ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب - الطبعة السادسة القاهرة ١٩٨٨م.

٨ - بديع الزمان الهمذاني ، مارون عبود ، دار المعارف - الطبعة الخامسة ، القاهرة ١٩٨٠م.

٩ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، الحافظ جلال بن عبد الرحمن السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت (د. ت) .

١٠ - بناء لغة الشعر ، جون كوين ، ترجمة وتقديم وتعليق د. أحمد درويش ، الهيئة العامة لقصور الثقافة - الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٩٠م.

١١ - تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات ، دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٧م.

١٢ - تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، دار المعارف - الطبعة الرابعة ، القاهرة .

١٣ - تاريخ بغداد ، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، المكتبة السلفية المدينة المنورة (د . ت) .

١٤ - تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري ، د. محمد زغلول سلام، منشأة دار المعارف بالإسكندرية (د . ت) .

١٥ - تاريخ العلامة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨٢ م.

١٦ - تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، نور الدين محمد عبدالله بن حميد السالمي ، مطبعة الإمام بالقلعة ، القاهرة (د . ت) .

١٧ - تعليق من أمالي ابن دريد ، تحقيق السيد مصطفى السنوسي ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون ، الكويت ١٩٨٤ م .

١٨ - جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، تحقيق الدكتور رمزى منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت (د . ت) .

١٩ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة في الإسلام ، آدم ميتز ، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٧ م.

٢٠ - دائرة المعارف الإسلامية ، مادة «ابن دريد» ، بدرسن ، الترجمة العربية ، القاهرة.

٢١ - ديوان ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، تحقيق عمر سالم، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٧٠ م.

٢٢- ديوان المتنبي ، شرح أبي البقاء العكبرى ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ١٩٧١ م.

٢٣ - رسالة الغفران ، أبو العلاء المعري ، تحقيق محمد عزت نصرالله ، المكتبة الثقافية بيروت (د . ت) .

٢٤ - زهر الآداب وثمر الألباب ، أبو إسحاق إبراهيم بن على الحصري القيرواني ، مشروح بقلم د . زكي مبارك ، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل- الطبعة الرابعة ، بيروت ١٩٧٢م.

٢٥ - شرح مقصورة ابن دريد ، الأستاذ عبد الوصيف محمد ، مكتبة الحلبي ، القاهرة ١٩٣٩ م .

٢٦ - شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان ، محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي - وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ، سلطنة عمان ١٩٨٤م.

٢٧ - الصوت المنفرد ، فرانك أوكنور ، ترجمة د. محمود الربيعى ، المجلس الأعلى للفنون والآداب ، القاهرة ١٩٧٠ م .

٢٨ - ظهر الإسلام : أحمد أمين ، دار الكتاب العربي - الطبعة الخامسة ، بيروت (د.ت) .

٢٩ - العقد الفريد ، ابن عبدربه ، تقديم خليل شرف الدين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨٦ م.

٣٠ - فعاليات المنتدى الأدبي في سلطنة عمان ، مسقط ١٩٩٠ م.

٣١ - الفن القصصى ، سلسلة فنون الأدب العربى «المقامة» . د. شوقى ضيف ، دار المعارف - الطبعة الخامسة ، القاهرة ١٩٨٠ م .

٣٢ - المجتنى ، مختارات من الأخبار والأشعار والمعانى والحكم . أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي ، تحقيق السيد هاشم الندوى ، دار الفكر ، دمشق ١٩٧٩م.

٣٣ - مختار الحكم ومحاسن الكلم ، أبو الوفاء المبشر بن فاتك ، حققه وقدم له وعلق عليه د. عبدالرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - الطبعة الثانية بيروت ١٩٨٠ م.

٣٤ - مروج الذهب ومعادن الجوهر ، أبو الحسن على بن الحسين المسعودي ، شرح الدكتور مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٦م.

٣٥ - معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (د.ت) .

٣٦ - مقامات أبى الفضل بديع الزمان الهمذاني . شرح الشيخ محمد عبده المصرى ، الدار المتحدة للنشر - الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٣ م.

٣٧ - الملاحن ، الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، تحقيق أبو إسحاق إبراهيم إطفيش الجزائري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٧ م.

٣٨ - من أسرار اللغة ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية - الطبعة السابعة ، القاهرة ١٩٨٥ م.

٣٩ - موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية . د. أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثامنة ، القاهرة ١٩٨٥ م.

٤٠ - موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب ، جامعة السلطان قابوس ، مكتبة لبنان ١٩٩١ م .

٤١ - موسيقى الشعر . د . إبراهيم أنيس ، دار القلم ، بيروت (د . ت) .

٤٢ - النثر الفني في القرن الرابع الهجري . د . زكي مبارك ، المكتبة العصرية ، صيدا- بيروت (د . ت) .

٤٣ - النقد المنهجي عند العرب . د . محمد مندور ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة (د . ت) .

٤٤ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان . تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت (د. ت) .

٤٥ - النقد الأدبي الحديث . د . محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٧م .

محتويات الكتاب

كتب أخرى للمؤلف :

١ - ثقافتنا فى عصر العولمة - لونجمان - القاهرة ٢٠٠٢ .

٢ - الاستشراق الفرنسى والأدب العربى - دار غريب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، الطبعة الأولى - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة ١٩٩٧.

٣ - نظرية الأدب المقارن وتجلياتها فى الأدب العربى - دار غريب - ٢٠٠٢ .

٤ - خليل مطران شاعر الذات والوجدان - الدار المصرية اللبنانية - القاهرة ٢٠٠١ .

٥ - النظرية الشعرية (بناء لغة الشعر واللغة العليا) - مترجم دار غريب - ٢٠٠٠ .

٦ - فى صحبة الأميرين أبى فراس الحمدانى وعبد القادر الجزائرى - مؤسسة البابطين - الكويت ٢٠٠٠ .

٧ - إنقاذ اللغة من أيدى النحاة - دار الفكر - سوريا ١٩٩٩ .

٨ - فن التراجم والسير الذاتية (مترجم) - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة ١٩٩٩ .

٩ - تقنيات الفن القصصى عبر الراوى والحاكى - لونجمان - القاهرة ١٩٩٨ .

١٠ - تطور الأدب فى عُمان - دار غريب - ١٩٩٨ .

١١ - النص البلاغى فى التراث العربى والأوروبى - دار غريب - ط. الثانية ط أولى - مكتبة النصر ١٩٩٢ - ١٩٩٨ .

١٢ - دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث - دار غريب - ط. الثانية ط. أولى - مكتبة الزهراء ١٩٨٤ - ١٩٩٨ .

١٣ - التراث النقدى : قضايا ونصوص - (هيئة قصور الثقافة) مصر - ١٩٩٨ .

١٤ - متعة تذوق الشعر - دار غريب - ١٩٩٧ .

١٥ - الأدب المقارن ، النظرية والتطبيق - دار الفكر الحديث ط الثالثة ط . أولى مكتبة الزهراء ١٩٨٥ - ١٩٩٦ .

١٦ - الكلمة والمجهر (فى نقد الشعر) - دار الشروق - القاهرة ط الثانية ط. أولى - دار الثقافة ١٩٩٣ - ١٩٩٦ .

١٧ - فى النقد التحليلى للقصيدة المعاصرة - دار الشروق - ط الثانية ط. أولى . النهضة المصرية ١٩٨٨ - ١٩٩٦ .

١٨ - اللغة العليا (النظرية الشعرية) مترجم - المجلس الأعلى للثقافة - ١٩٩٥ .

١٩ - أحمد الشايب ناقدًا - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٤ .

٢٠ - بناء لغة الشعر (مترجم) - دار المعارف (الطبعة الثالثة) الطبعة الأولى . دار الزهراء ١٩٨٥ ، الطبعة الثانية ، قصور الثقافة ١٩٩٠ - ١٩٩٣ .

٢١ - مدخل إلى دراسة الأدب فى عُمان - دار الأسرة - مسقط - ١٩٩٠ .

٢٢ - جابر بن زيد - حياة من أجل العلم - مسقط (الطبعة الأولى) صدرت طبعة لاحقة للكتاب فى سلسلة أعلام العرب - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة ١٩٩٢ - ١٩٨٨ .

٢٣ - مدخل إلى الدراسات البلاغية - دار الثقافة العربية - ١٩٨٣ .

٢٤ - العربية لغة بسيطة - I, ARAB - LANG : SIMBLE - باريس ١٩٨٢ .

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص.ب (٥٨) الدواوين ت : ٣٩٤٢٠٧٩